

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 00845 5622

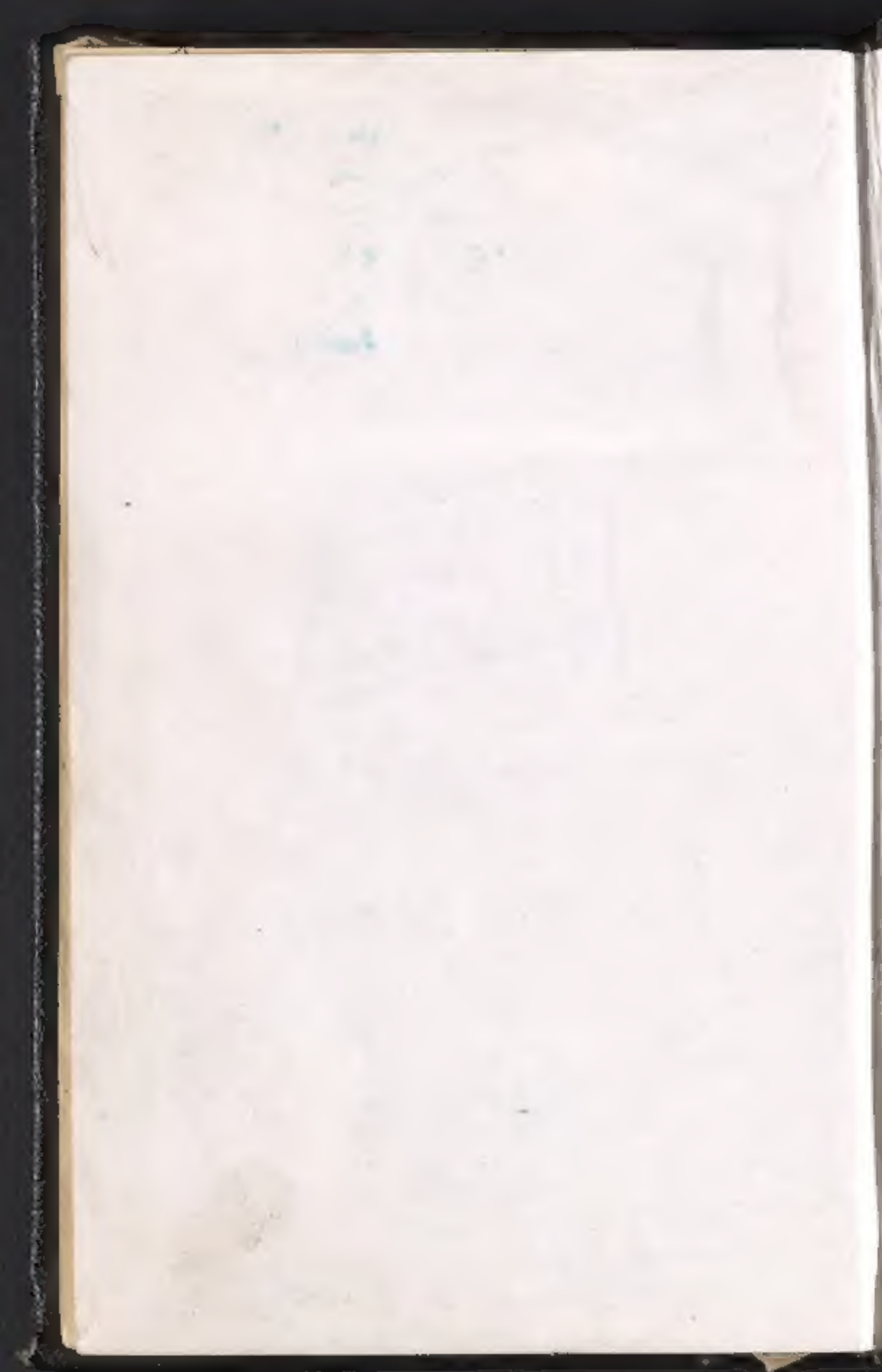
03-83593

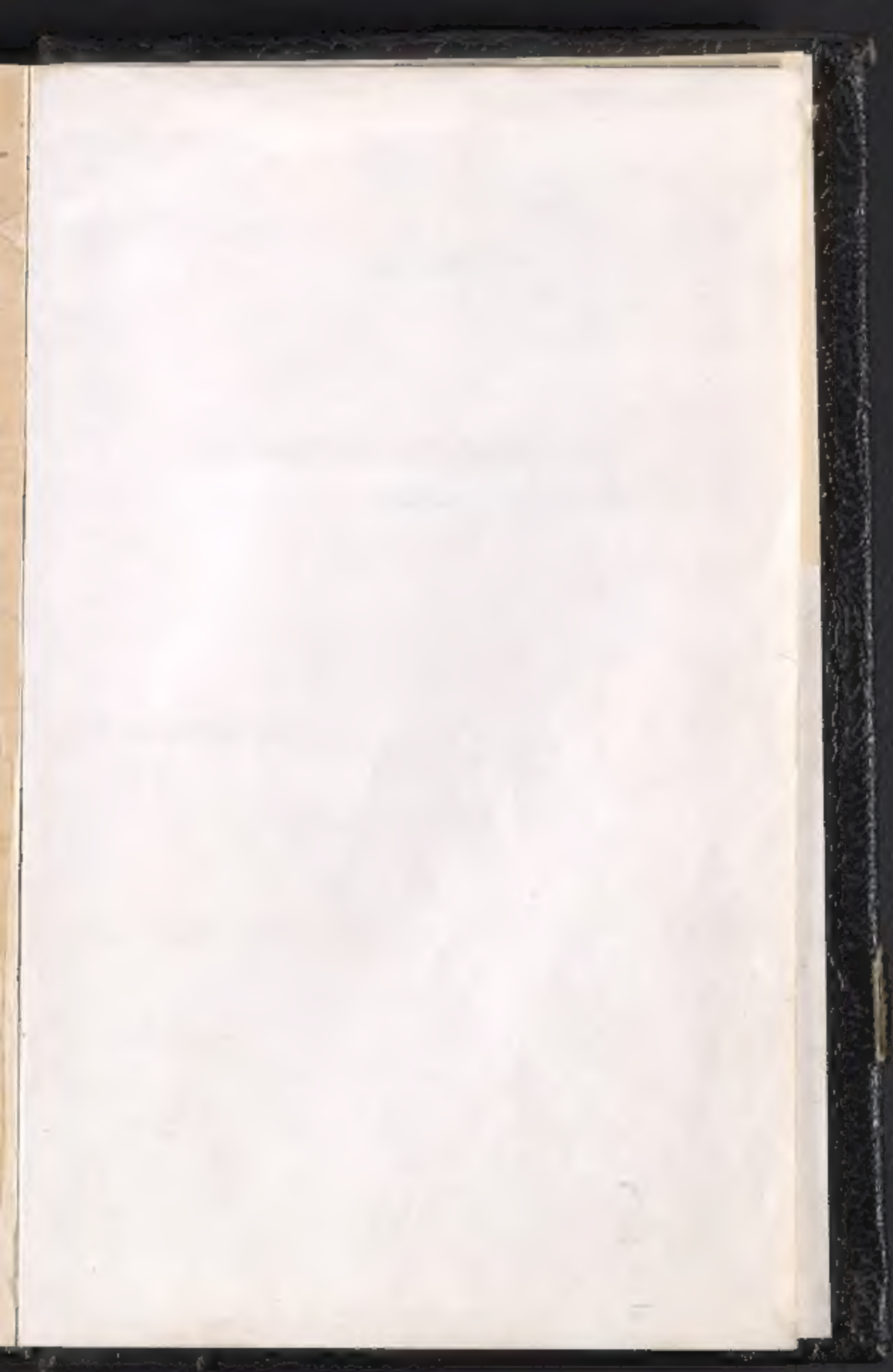
put Sep 8



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة





Jabir, Shafiq.

شفیق جبري al-Mutarrabbi

عضو المجمع العلمي العربي.

٩٦

٣٢

المحاضرات التي القاها المؤلف في كلية الآداب في دمشق

7750

سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠

M 8

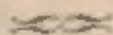
266

1930

المشايخ

صالح الدنيا وسكن الناس

يحفظ المؤلف بحقوق الطبع



اعتنت بنشره

فكرية النشر

لصاحبها محمد بن عبد العزيز وأخيه

تأيم مكية ثلث سنة ١٣٤٩

١٣٤٩

مطبعة ابن زيدون بدمشق

١٩٣٠

928

M98

٨١٠, ٩

OCLC
60505888

مكتبي ج.

B11843494

13159154

25171

هذا ما حضرت به سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ في كلية الآداب
دمشق، وقد جمعت محاضراتي في كتابي هذا دون ان ازيدها
انقصها شيئاً فعمساها ان تكون ذكرى طيبة لاول كلية ادبية أنشأ
ديارنا واني لارجو ان تظهر في اضعافها نيات صاحبها في ا-
المحبة للادب

تفيع جبر

حزيران ١٩٣٠

15672

THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN C. D.
LIBRARY

الأدب

واقفه . فعله . غايته .

فكرت في شيء من الكلام أهد به السبيل الى دراسة الادب في خلال هذه السنة ، قلت : دراسة الادب ، وكان يجب علي أن أقول : أحاديث الادب . لأن كلمة الدراسة تدل على شيء من جهد الذهن وغنت الفكر ، وما ينبغي للادب ان يكون الا الهية يتلاهى بها العقل ، لكنها الهية شريفة لا تشبه غيرها من الالهة ، ما ينبغي للادب ان يكون الا لذة الفكر وراحة البال . فكرت في شيء من الكلام أستعين به على الاستهلال ثم عدلت عن التفكير وقلت ماقاله الاستاذ (بروتير Brunetière) في محاضرة من محاضراته ^(١) : لعالم تعترفون بان المقدمات الطويلة لا تكون في كل حين اروع المقدمات وأفضلها ، فلنشرع في حديثنا الاول دون الاقاضة في التمهيد .

* * *

قلت : الادب الهية ولكنها شريفة . واذا اردنا ان نعرف مبلغ شرفها لزمنا ان ننظر الى أفق الادب المديد . ففى ادركنا العالم الذي يحيط به الادب علمنا مقدار اتساع افقائه وانبساط سلطانه .

قال : اناتول فرانس Anatole France ، في مقال له في معجمات اللغة ^(٢) : « اني أحب معجمات اللغة ، فانا لا احبها لمجرد قائدتها العظيمة ولكني احبها لانها تحتوي على شيء جميل نفهم . انظر الى معجم غازية او الى غيره من المعجمات وتصور انك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات التي يبلغ عددها الف صفحة او الفاً ومائتي صفحة عبقرية فرنسية وطبيعتها . ليتصور ذهنك ان

(١) اطوار الشعر الغنائي في فرنسة في القرن التاسع عشر - ص ٣

(٢) الحياة الادبية - الجزء الثاني - ص ٢٢١

فيها افكارنا وافكار اجدادنا وافراحنا وافراحهم واعمالنا واعمالهم وآلامنا وآلامهم .
ليخطر ببالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين استشقوا
الهواء الصالح وشموا النسيم العليل الذي تشمه اليوم . ليخطر ببالك ان كل كلمة من
كلمات المعجم يقابلها فكر من الأفكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عددهم .
وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم . ليهجس في
صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انها هي لحم الوطن والبشر ودمهما وروحهما .
اني احب ان اقتبس قول اناطول فرانس في اللغة فأقوله في الادب نقسه فاذا قلنا
في الادب ما قاله اناطول في اللغة ، اذا قلنا على سبيل التجوز ان الادب روح الوطن
وعبقريته ادركنا حينئذ معنى كلامنا : الادب ألوية شريفة لاتشبه غيرها من الالاهي

كنت أطلع رواية من الروايات ^(١) فعلقمت بذهني عبارة قيدتها في دفترتي قالها شيخ
إيطالي في حضرة قتي على درس اللغة اللاتينية :

« ان هذه اللغة الشريفة قد انسقت آثارها المنقطعة النظير آلامني وشجوني في
معظم الاوقات . كنت يا سيدي أنفدى وماغدائي الا صفحة من « تاسيت » ، وأتعشى
وما عشائي الا اهجية من « جوفنال » . »

لقد ادرك هذا الشيخ غاية الادب الادراك كله ، ادرك ان الادب يفرج الغم
ويكشف الكرب وينشئ في العقول لذة لا بعد لها كثير من لذات الدنيا فهي لذة
هادئة لا يضطرب صاحبها ولا يقلق . اني على رأي الذين يريدون ان لا يكون
الادب موضوع علم وانما اريد ان يكون الادب كما قال فيه الاستاذ (لانسون Lanson)
رياضة وذوقاً ولذة . ولا بأس بأن اتلو عليكم فصلاً للاستاذ (لانسون) في طبيعة
الادب وفعله ^(٢) :

« الادب لا يعمله المرء علماً ولا يدرسه دراسة وانما يمارسه ويحرثه ويحبه . »

(١) رغائب يوحنا سرفيان بقلم اناطول فرانس .

(٢) تاريخ الادب الفرنسي - ص ٨

واصدق كلام عليه انما هو كلام (ديكارت Descartes) الذي قال : قراءة الكتب الصالحة حديث يحدثك به اشرف رجال القرون الخالية ولكنك حديث لا يعرض عليك فيه اولئك الشرفاء الا احسن افكارهم .

ان الرياضيين — وانا أعرف طائفة منهم — الذين يلبيهم الادب فيذهبون الى المارح ويقرأون الكتب على سبيل التسلي انما هم اقرب الى الصواب من هؤلاء الادياء الذين لا يقرأون الكتاب قراءة ولكنهم يجرّدونه تجريداً ويظنون انهم يصيرون الاصابة كلها اذا جعلوه ابواباً . خلق الادب لينشئ لنا ولكنا لئلا تروض قوا العقلية فيخرج العقل من رياضة الادب اقوى سلطاناً وامرن طبيعة واغنى مادة وعلى هذه الصورة يكون الادب ثقافة الباطن . هذه هي حقيقة فعله .

والادب الفضل الاكبر في تدريب الناس على ذوق لذة الافكار : انه يروض الفكر فيجد المرء في هذه الرياضة مسرته وراحته وتتجدد قواه . انه يذهب تعبنا الذي تعبنا في ممارسة الاعمال ويرفع العقل فوق كل واجب وفوق كل مصلحة وفوق كل وهم . أصبحت الفلسفة في عصرنا هذا ضرورة العقل ولكن الفلسفة لا يستطيع درسها كل واحد منا ، أما الادب فانه يعمم الفلسفة . بالادب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقى هذه الجماعات وتغير أوضاعها . الادب هو الذي يتعهد النفوس التي أثقلتها تكاليف الحياة واغرقها مشاغل المادة فيحملها على الاعتناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنى او غاية . لقد ضعف الذين في كثير من رجال العصر وبعد أفق العلم عن كثير من الناس فالادب وحده هو الذي ينزع بنا عن الاثر الضيقة او عن الخرفة التي تغرس فينا غرائز الحيوانية ،

هذا ما قاله الاستاذ (لانسون) في طبيعة الادب وابلغ كلامه : الادب ثقافة الباطن . من هذا يتبين لنا ان الثقافة الادبية مجردة أي لا غاية مادية لها وكأن الذين قرروا انشاء مدرستنا قد فطنوا لهذا فأحبوا ان ينيها عليه فقالوا : غاية مدرسة الادب العليا تثقيف الجمهور تثقيفاً مجرداً وتعليمهم علماً عالياً في نظام الادب ، وهم يعنون بذلك ان الثقافة الادبية لا تكون غايتها الكسب فلا يدرس الانسان

الادب ليعيش به كما يدرس الحقوق أو كما يدرس الطب مثلاً وإنما يحصل الادب للذات .
اراد أحد شباب الفرنسيين أن ينصرف الى الادب فسأل (فلوير) عن رأيه في ذلك فقال له (فلوير Flaubert) :

« الاخلاص يدفعني الى أن أبين لك أن استثمار عملك أمر صعب جداً إن لم يكن ممتعاً ، أنك لا تزال ناعم الشباب فاعمل واعمل كثيراً واعتزل في عملك ولا ترج أن تكون لك مكافأة ولا تفكر في نشر ما تكتب ، تقبل طريقي فقد كان عمري سبعة وثلاثين سنة لما نشرت (مدام بوفاري) فإذا خطر ببالك أنت نستخرج فائدة من آثارك ضللت وكنت من الخاسرين فلا تفكر إلا في الفن ذاته وفي كماله وما عدا ذلك فهو تابع له .

لا تظن أن حياة اديب مثلي ناضرة بالازاهير فإذا ظننت شيئاً من ذلك كنت من الواهمين ، إذا كان حبك للادب خالصاً فحصل الادب لنفسك قبل كل شيء وأقرأ كثيراً كتب (المدرسين) وروض قلبك على كتابة أشياء شعرت بها وعلى وصف البيئة التي تأنس بها .

علمنا (فلوير) أن نحصل الادب لأنفسنا دون أن نرجو مكافأة . ينبغي لنا أن نحصل الادب لمسرة قلوبنا ورياضة عقولنا وتهذيب عواطفنا ، فإذا لم تكن هذه غايتنا لم نستفد من الادب ، إذا كنا توخى الكسب في نحصيل الادب انحط ادبنا عن منزلته الرفيعة وصار صناعة من الصناعات التي يمارسها الانسان ليعيش في هذه الدنيا ، والادب أجل من أن يكون حرفة ، أننا نحصل الادب لذوق لذة الحياة ، أننا نحب كما كان الشيخ الايطالي يحب آثار اللغة اللاتينية . أننا نحب لانه ينسنا الآلام والشجون ، على أنه قد يجوز أن يفيدنا الادب فوائد عظيمة ولكن لا ينبغي أن تكون هذه الفوائد غاية الادب وإنما نجنيها على طريقنا في نزهة العقل كما نجني الورد والريحان على طريقنا في نزهة البدن . أننا لا نتزده لتقطف الورد ولكننا نتزده لتروض أجسامنا ، وكذلك لا ندرس الادب لنعيش به ولكننا ندرسه لتروض به عقولنا .

قلت قديميد لادب فرائد عظيمة، واذا سمعتم لي فأت لكم عبارة من مقال لي عنوانه : « الكتاب ملوك »، ومن هذا المقال يتبين لكم ان الادب قد رفع كثيراً من سانس ولكن المصعة يحب ان تأتي على سنبلة كما يأتي الورد والريحان على سنبلة المترهين.

٢٠٥٥

اما وقد فرغت من الحديث الاول فما احب ان اخرج من محاسن هذا قبل ان يتأكد عدي اما ادركا غاية الادب ما احب ان اخرج من هذا المحل قبل ان اثنق ما اعلم ان الادب اما هو راحة ودوق ولذة، لا تفرح له بعرص من عراض الدنيا فهو اجل من ان يكون غاية الكتب وانما سارسه لدراسة حال هذا العالم اما سارسه لفرح به عم هذه الحدة يقول المول فرانس في « هوغو » في معرض النقد "عاش فيكتور هوغو مع الانسكة والالون ورمات الاصراة وقد اسك العالم بذلك، فاذا جاز لي هذا العصر قلت الادب يسكن بالوانه ورمات القاصه فيه راحة عقولنا وعم البرهة، يشهد الطبايع ويصح العس ويمر الصدر " في لا أرى اشتطاطاً في الحكم على الادب يشبه اشتطاط تاسو في Tassou الذي كان يعتقد ان الادب مصر بالخاعة والشرية. أي شيء احسن ترويضاً لمداركنا من الادب، أي شيء احسن هدياً للاهواء منه، أي نهافة عمل في التقريب بين البشر من الثقافة الادبية، واذا لم يكن لادبا في هذا العصر عاقبة المحمودة فهذا ما شيء عن انه لا يرال في عرلة عن الانواع الادبية الحديثة التي فعلت فعلتها في الاعم فارا كان الحديثنا خلاصة هذه خلاصة:

الادب الهبة شريفة وحسبها شرفاً ان يكون موصو عها روح الوطن وعفريته

٩ تشرين الثاني ١٩٢٩

(١) الحياة الادبية - الجزء الاول - ص ١٠٠

(٢) الجاحظ نفسه وهو شيخ ادمائنا يرى هذا الرأي في الادب - طالع فصله في محاسن الكتابة والكتب في كتابه، المحاسن والاضداد

ثقافة الذوق

دراسة المصادر الادبية . الانفراد بالرأي في الادب

ما أضلكم سييم ما حدثكم به في لاسوع انصرم . ما أضلكم سييم أفق
لادب وفعله وعايه . اني اعتقد الاعتقاد كله ان مصافكم في هذا الافق المسيح يوطي
لكم السبيل الى لاحاطه روح وطنكم وعمرته . واد قلت روح الوطن وعبقريته
عيت بذلك ثبات قرائحه وساخ حواطره من مستق ثخره الى يومنا هذا . اني اعتقد
الاعتقاد كله ان المطاف في هذا الافق يدخل السرور على العلوب وينقف الواطن
ويهب العوضف وليس فبين ان يسلح المرء من حيوانته ويخلق في حوا أعلى
من حوالشرية والارب هذا فعله في الامم . فادا كانت عايته محردة وثقافته حالصة
عم وثر هذا أفعه . وهذا فعله . وهذه عاته . ما أضلكم سييم شيئاً من ذلك .
غير اني أوقع عدان يست لكم أفق الادب وفعله وعاته على سبيل الابعار
وعلى قدر ما سمع به الرمن . غير اني أوقع ان تهولوا لي ادركنا هذا كله . ولكن
كيف السبيل الى ذوق لغة الادب . كيف السبيل الى الاصل بهذا الافق والعلم بهذا
الفعل والخصوص الى هذه العاية . ولو قلتم في شيئ من ذلك لوقع القول مني موقعه لان
السر كل السر في تمهيد هذه السبيل . قال الامتاد لاسون Lanson ..

لا أكاد أفهم كيف يدرسون الادب من دون ان تكون عايتهم في دراسته
تقدم وحدها . لا أكاد أفهم كيف يدرسه من غير ان يكون مرمي فكرهم الانداز
بالادب . لا ريب في ان الذين يتفرغون لتدريس الادب يلزمهم ان يجمعوا معارفهم
في صام واحد وان يهشوا لهم طرائق في التدريس وان يكون وجهتهم أصح وأوضح من
وحدة هواة الادب الصغار . ولكن لا ينبغي لنا ان نهمل عن أمرين الامر الاول

ان أستاذ الادب الذي لا يعنى تنمية الدوق الادبي في تلامذته ولا يستميلهم الى بحثوا كل حياتهم في الادب عم شعور افكارهم وسمعتهم عن مفهومهم لا يكون أستاذاً صالحاً، هذا هو الهدف الذي يجب على ان يرمي اليه لا ان يعد للطلاب جوائز الى يوم الامتحان، ولا امر الي لا يستطيع أستاذ الادب ان يضع تدرسه ان لم يكن هو نفسه من هذه الارب وان يكون من العناء، لا يمكن ان يشر تدرسه اذ لم يبدأ بتقريب نفسه بهذا الأرب الذي يعني له ان يجعله ثقافاً لغيره، لا يمكن ان يؤدي تدرسه الى الخوايم الحسة اذا كان يهرب عن الآثار الادبية وجمعها، ولم يكن عابته في تنقيبه وجمعه رغبة ادراكه للادب وزيادته بعد هذا الادراك . . .

ما أصبح هذا الكلام اما أصفه بالحقيقة ' الأستاذ الذي لا يعنى تنمية الدوق الادبي في تلامذته لا يكون أستاذاً صالحاً، منه لدوق هذا هو هدف الأستاذ وعلى حسب ذوقه الذي يكون شعوره بالحال، واحساساً للضعف، على حسب هذا الدوق يكون ارب كماله من شعوره فاد هذا دوقه الأدبي ضعف شعوره بحال العالم ووجه الحياة، ارب هذا الدوق انقلت أصواء الحياة طلبات بعضها فوق بعض، وما خط الادب الا انفسا 'دوق، أصبحنا في عصر لا يستطيع التمييز فيه، تعرض عيب الآثار الصالحة فلا تهدي الى التلذذ بصلاحها وتعرض عيب الآثار العارضة ولا تفهم عن مواضع فسادها، ولو سلم ذوقنا ليقطعنا لشعور بمتعة الآثار ونساعها ثم كل أثر من هذه الآثار الادبية فاد فيج، ولا كل واحد ما مع حيد، والدوق وحده هو الذي يهديا سواء السبيل في التمييز والاستاد هو الذي يقوي هذا الدوق، تنقيب الدوق الادبي هذا كل شيء في الأدب .

وقل ان أين كيف يستطيع الأستاذ ان يروض تلامذته على دوق لذة افكار أحب ان اطر في الامر الثاني الذي أشار اليه (لاسون) اي أحب ان أين ان أستاذ الادب الذي لا يكون من هؤلاء الادب لا يستطيع ان يثقف دوق تلامذته،

فلا بد شيء، وعدم نفعه شيء آخر وقد جربنا يصرف الاسماء في نفعه باسمهم
 العائروا ان أحدهم الخط لا يمر ولا يكون في هذا كله أرباب اي لا يعرف
 أماكن الحال ومواضع النفع في راحة الخدمه وشرح الاسماء من سب
 يكون أدياً، انما يضعه في يد غيره ليعلمه يدريس ونفسه الادواق
 ومن يفسد يد غيره في كل شيء في الاسماء أسس دوماً هذه كفة
 (قولته Votare)

فبت ثقاف الدولة لاري هذا كل شيء في الادب، فكيف يثق هذا
 السوق ويقوم، كيف يدرب على التعمية في لائر الادب، هذا العفة الكفوف،
 وهذا ظهر صعباً ويكشف امراً، سبب فيه عر رأبي في اسباب صلاب
 (الكأورما) في الاشياء، فبت عر، لتعجيب والافق في حلة ما قلت ان
 الصلاب لم يعمق نفعه في موضوعات "لي طرحت عليهم هذه صكت
 فكارهم صعباً على ان يكونوا يتعلمون بعض نفعهم "لعمري في موضوعات
 وبت في ذلك يرجع الى اسباب سبب فيه صلاب في كالأنتهم
 فبات حدة ان يعمق على كات وشاعر على وجه عام او على سطح
 عصر من اعصور على صفة دعة او على لظهور لادى في حال اعصور، ان
 الاسباب لا بد من مبدء على التفكير ولا يودون ان يكون هم افكار عامة في
 موضوعات حرة، وهذه المبادئ لدراس لادب يفسده الشيء الكثير فهو
 لا بد لي دراسة المصادر لانه يجب ان يدرس كلام المؤلف او شعر
 اشعر وخطة الخطب من مدير هذه المصادر هو المعتمد عليه في دريس
 "لادب والشعر ان هذا بعضه، ان كان في مدارس من حى حى في الاعاءت وزاره
 معروف به ٢٤ ١٩ من دريس لادب يجب ان يكون اساسه درس المصادر
 الاربعة قسم .

المعول عليه من كلام هذا درس المصادر الاربعة لان هذا الدرس هو الذي
 يقوم السوق فكيف يدرس امه در الاربعة، كيف يشرح كلام الكتاب وشعر

اشعره هذا الذي نعوذ به ونور الاكد صلى الله عليه وسلم كانوا لارل اذا شرحا شعراً نحو حتى سمير العرب من هذا الشعر واعراب المشكل من تراكيه والتنبيه على مداخل الاستعارات والكتابات وسائر فنون البحر هذا شيء وليس بكل شيء ان المفسر المعوي قد يورد فيها ميلا الى معرفة معاني اللغة ولكنه لا يولد فيها دوقاً ادبياً اي لا يقوي فيها الشعر بالحق . والمعرفة كما قلت شيء والادب شيء آخر . وكثير من علماء اللغة انفسهم لا يوفق لهم في الادب

من هذه المصادر الادبية التي سمرح ليدستها تسمن على امور غير امور اللغة ولا تبال هذه المصادر احد في امر حقه ينظر على كل واحد منها روح صاحبه وفكره وعاطفته فتدلكم على هذا صحتها . هوانه . قد ارمي من دوافع شتى من روح اشعر ومن فكره ومن عاطفته من المفسر لا يصلح لكم الوصول الى هذه المعرفة وكما مسك طلبه في مصنفات المصادر الالهية والادبية كلام المؤلف وشعر اشعر وحصلة الخطب من وراء هذا كله نحتاجاً بضعفون وشعر من هذا حالهم هذا المصدر من جهة اخرى صورة اخرى . واطم . وصله بالمرار والاعمال فحقه حصصهم وصدقهم واشد في اختلافهم واوصاءهم فشأت في انفسكم من هذا كله منصفة لطير ومن هذا ينشئ لكم به لا بدكم من لاجل هذه علم انفس حتى يستطيعون ان يعضوا القول في روح الشاعر وفي عواطفه .

قلت المصادر الادبية تدلكم على تارة العصر والبيئة فيها او تنهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وهذا معناه لا بد لنا من معرفة العصر الذي نحول درس شاعر من شعرائه فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولما هذا لشعر في عصره والعواصف التي أيقظها فاذا كنا ندرس المتن في ووقع نظراً على أسلوب غريب في شعره او على لفظ غريب فلا يصح ان نحرّم ونقطع قبل ان يتحقق عندنا هذا الأسلوب غريب قياساً الى عصر المصنف اذ انه قد يكون غريباً في عصره ومألوفاً في عصر اي اخص .

يستبسط بما هدم لنا ينبغي لنا ان نستعين بالصادر لادبية نفسها على فهم روح صاحبها وافكاره وعو غمه فاذا استطعنا ان نفهم شيئاً من ذلك نشأ فينا ذوق ادبي ومنى شأ هذا الذوق وكل سليماً خالصاً شعرنا بمحاسن الآثار الادبية وهذا الشعور ترداد لدنا بمحاسن العالم نفسه على اننا لا نستطيع ان ندرك حقائق المصادر لادبية الا اذا كنا معردين من الحث والتفتيش ولا ينبغي ان يكون لغيرنا تأثير فيها . لا ينبغي لنا أن نكرر كلام غيرنا على أثر من آثار الادب فاذا فعلنا شيئاً من ذلك كانت دراستنا الالسة جامدة لا روح فيها .

قال الاسكندر . لانسون ، Lauso

و اذا حاولت ان تصور خصائص المؤلفات وطائع صاحبها امكنك ان تلخيص آراء من أولعت بهم من الاساتذة في هذه المؤلفات أشبه . ديت ، د سانتوف ، د غاسون باري ، د د بروسير ، فالأولى في وأن الخوض في موضوع ليس فيه حقيقة عده على اصرار منة في بعض ان الحسن ما أنشأته في قراءة هذه المؤلفات من الانفعالات وما أحسرت به في من الآراء . د امديت اله من صبيح وذكر المؤلف وعاطفته ، وعلى ه د اصرار ، د و حدها يكون لدراسة صادقة فيها روح . اذ انه لا يستطيع أحد ان يستعمل غيره في الامور التي يحوس فيها الا اذا استعان على ذلك بالذوق الذي دفعه غير نفسه في هذه الامور .

هذا ما قاله لانسون ومن قوله هدايتين لنا أنما دارد الكلام على المنسي مثلاً لزم ان ندرس شعر المنسي بحسه دون ان نرى ما فيه من بعض الاساتذة كالشعالي والمجرحي وغيرهم . دارد الكلام على حسن المنسي لزوماً ان ندل على مواطن الحسن وعلى صائغه من دون ان نسمي كلام غيرا . وخلاصة اد حاول دراسة المنسي وجب علينا ان نقرأ شعره وندون الآثار التي تركها فينا هذا الشعر ونفل هذه الآثار الى غير ، حتى نكون في كلامنا شيء من الروح والحياة وعلى هدايتهم ذوقنا في ذوق ومنى بما هدا الذوق ما معه الشعور بالحال .

أي لا أرى أصلاً سبلاً من الأدب لا يريدون أن يقرروا آرائهم في الأدب .
وعلى الخصوص بعد أن عرف أن لأدب ليس فيه حقائق مبنية على أصول مستندة
إلى عقل ، أي ليس فيه شيء من حقائق العلم الثابتة وإنما الأدب سجع الدوق
والعاطفة فقير . إن الس في تعبير أذواقهم وعواطفهم انصروا مثلاً إلى
« ويكتور هوغو » ، فقد قال فيه « فاكه Faguet » : « هوغو من الخدبين لأن
جمال الأسلوب هو الذي وجد ، وقال فيه الماركس : « من يجد الشاعر الذي
حتمل أمس حر حتمل بوفاء أي عليه "لوه" صعب حرج . لقد ذهب
لحم المعجزة ، الذين كانوا يسمون الأدب حيدوا في ذلك الإعجاب حسن عشره .
وبدأت طائفة من ذويهم فقد كانوا يظنون أن شعراً كبير فكري أكثر من
ذلك فلا بد لئلا لا يغتروا في من همرة اللالط كان أكثر من همرة للأفكار .
أطروا إلى تدهن هذا الرأى في شاعر من « هوغو Hugo » ، وقد نظر له
أما « فرس » فأكبر من ناحية واحدة وحده القرب ، فأكبر طرأه من
حده للأسلوب على أنه من حده هو « لالط » . ومنه يدرك لكم من
أدب وصفاً له فاداً كان لا يكاد يصف في أحدر الذين يريدون أن يدعوا
به لأدب لأهلاً . ربه دون . يكون أميرهم سطل عليهم .
هذا ما حاولتة ربه في عهد محمد وما ربه أن اسقط القول أكثر من
ذلك . وإن كانت خلاصة حديثنا لأدب "لادب روح الوطن وعقده
خلاصة هذا الحديث : تثقيب «دوق هوغو» الذي يصي لنا الصبوت حتى يدرك روح
هذا الوطن و « ثمرة »

١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

تماريج الثقافات

ما رى صاحبه الى ان يجد في هذا المقام ما فيه في درجته لمصادر الالادة
فقد عرفتم ولا ريب في ذلك كيف يجب ان يكون كلام الكتاب او شعر
شعر او خطه الخط عرفتم كيف يجب ان يكتب الخط ، وحيث لمؤلفه فكاه
وهو ضامه ، فكل من اصاب هذه الامور ، حبه يصب بعض وفي بعضا
ومظاهره عرفتم كيف ينبغي ان يكتب عن الله عز وجل ، فصاحبه وعن
خصائصه عنه ، والله في حبه فقد عرفتم كيف ينبغي ان يكتب عن الله
دارسة ، وودعت سرانمة لمصدر الالادة ، اريد ان يكون في سبب عن
مكة مؤلف وعنايته ، وان يمكن من معرفة مريمه وان يكون في ملك ايد كرم
في كانت حظه في ، عاب الله ، كانه في اكد فسر كلامه فكما حاول
ان هو مقام صاحب كتابه ، وبقائه في ، حبه الله من مبداه ، ووش
ذكره وانفعالاته بعد ان ذهب الله وانطاع في ظله ، ولم تنق منه الا صفحات لا
في في في هذه الامر غير ص ، ووده سا ، ووده في حكمة لا روح فيها ، فاذا
عاجدها بقصص من مدتها فصحت صور باطمة شعر وشعر

كان يجب ان يكون في من هذا التمهيد ان شرع وراكم في ورايه
ثم في التلاوة من اقليدس وفي عذرة في حاء ، في اشك في في هذه الاسماء
العربية صدى في ذلك لا حده لغيرها من الاسماء ، في ان كانت قد استعنت
صائفة من آراء الافرنجة على الجوس في موضوع يعرف فيه المقام الاربع والمخ
لانحج ، فمارت ذلك ان اكتم بعمه ادب دعوت في الشقفة في كل منسوب ، ما
، دت ان كهر بعمه لغة اميرحت النفس بحتهم ، والموود عص وانعص رصيت
لا انه اذا كان ينسب الى الاستشهاد بعض ارمشوخ ادب في قديمه ندهر كالحاخط

ساند دينا رسلكوا هذا المسلك في دهم لولا معرفتهم بعض اللغات الاحداث
معاد الله ان ارمي في قولي هذا الى الخروج عن عقيدة ادينا فان الامة التي
لا تصلح بحسبها لا شق تحصرها وتأسسها وان ا من هذا الماضي الشيء الذي
يجري به على وجه الدهر ان ما من المصطفى بحسن لا تبلى سجنس الليالي، ولكن
تحديد الادب في هذا العصر أمر لا مندوحة عنه، فالافراط في المحافظة على
هذا الادب لا يقبل صرره عن الافراط في التجديد، ولو شئت لسبب عليكم
صفحة كتبها ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا المقيم من الف سنة بوجه
ايقريب، ما اضل حداً من اراء هذا العصر بعقد فصلاً ابلغ من هذا الفصل في
التجديد، قال ابو الحسين

ومن دخطر على المناخر مصرة المقدم، ومنه تأخذ بقول من قال، ما نرك
الاول للأحر شيئاً **بكتلوسع** قول الاحكامك لأول الأحر، وهل الدرا
الارمان ولكل من مبهرجان، ومن العيون عد الاصول المخصوصة لاططرات
الايهام ونتائج العقول، ومن قصه الارباب على زمان معلوم، ووقتها على وقت
محدود، ولله لا ينظر الاخر من مصلح ما قبل حتى يوقف مثل شئفه ويجمع مش
جمعه ويرى في كل ذلك رأيه، ومن يقول لعمري ان زمانهم من زماننا
الاحكام رزلة مخطر على باب من كان فيه، او ما عدت ان لكل قلب خاصراً
واكل خاطريته، ولله جيران يقل بعد اي هام من شعرة ولم حرك ان يؤلف مثل
تأنيده، وله حشرت واسه وخطرت مدها وحرمت حلالاً وسددت طريقاً
مسلوكاً، وهل حبيب لا واحد من المسلمين له ملامح، وعنه ما عديده، وما حرك
ان يعارض الفها في مؤلفاته، واهل البحر في مصنعاتهم والبصار في موضوعاتهم
وارباب الصناعات في صناعاتهم، ولم يجز معارضة اي بناء في كتاب شذعه في
في الابواب التي شرعها فيه أمر لا يسرك ولا يدري مديده، ولو اقصر الناس
على كتب القدماء لصاع علم كثير ولذهب ادب غريب واصلت فهم ثقافة ولكلت

السنة لسنة ولما وثى أحد خطابه ، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة ولجحت
الاسماع كل مردد مكرر وللفطت القلوب كل مرجع مخضع ،
ما أثقبت نظر ابي الحسين رحمه الله ! ما اهدى فكره ! ما أصغى ذهنه ! لو
اقتصرت الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب ادب غزير ان عقل البشر
ينبسط أفقه من عصر الى عصر ، ويتسع مجاله من دهر الى دهر فيولد في انبساط
هذا الافق واتساع هذا المجال انبساطاً ومغاني لم تكن من قبل ، وينشئ الادب
هذه المعاني أساليب طريفة ويفرغها في قوالب حديثة ، وعلى هذا يتقل الادب من
طور الى طور ويدرج من حال الى حال على تماثل الاحقاب ، ولو ثبت هذا
الادب على اساليب محدودة لاقى عليه حين من الدهر لم يكن فيه شيئاً ، لو تماص
هذا الادب من عوامن الحضارات والثقافات لما وسع شيئاً ، ما نجد مذاهب تولد
ومذاهب تموت والعباطة تدهن والعباطة تبعث واساليب تعيش واساليب تمقرض ،
ما اعظم انقلاب الافكار ! قال الاستاذ شارل ريشه Charles Richat ، احد
أعضاء معهد باريس .

• يسير العلم في سبيله • يبرأ حذر ثواقب لا طار في • مرعته ، على ان العلم لا
يزال في عصفوان امره ، وربعان عمره ، فالعالم ارض خبيدس وعلى سوغ فضله وبراغته
كل يجهل ما يعلمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، واجهل تلميذ من تلاميذ
المدارس التحضيرية يعرف من العلوم اموراً يجهلها العالم ، غيبه ، نفسه ، ما بين
العالم وفريكلان ، وبين العالم واشنتين ، مائة وحمسون سنة ، فتصور مسير العلم
في مئة وخمسين سنة ، ما اعظم انقلاب الافكار ! لم يكن في القديم علم الاحافير ولا
علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف
الشمسي فلا يتجاوز عمر عالم البشر قرناً ونصف قرن ، ما هو قرن ونصف
قرن ؟ المشي غير ويبدأ اسير في معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متصاعدة
وهي يوم من الايام سيكون للرجل عضل ما يقتبسه من العلوم سلطان عظيم على

المادة مهما اختلفت اشكالها .

هدا ما قاله ، شاول ريشه ، في كتابه العالم . ولو قلتم لي وما هي الاواصر
بين العلم والادب لاجبتكم بان العلم اذا امتد سلطانه فانه لا يحلو من التأثير في
المعروف بالادب كما اشترت الى ذلك في حديثي الاول تنقيض مذاهب الفلسفة والعلم
في طبقات الناس فتعمل علمها في أوضاع الجماعات . فلا ادب ظهر العلم ومعينه ،
ولو نظرتم في تحالط الامم في هذا العصر . وتقارب جماعاتها ، وشيوع لغاتها .
وآثار عقولها ، لرأيتم ان الثقافات لا بدحة لها عن التارخ والتواصل ، فالامم يأخذ
بعضها عن بعض ويهذي بعضها ببعض . لاشك في ان لكل أمة ثقافة أدبية
خاصة بها تصاح لها وقد لا تصاح لغيرها من الامم ، غير ان سائر الثقافات
اذا روعي فيه روح الامة وروح لغتها أقصى الى الخواصم الحسنة في تمنح العقول
وثمرات الالاب ؛ لنضرب مثالا لذلك

قلت لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها . هدا مما بين الشعوب السامية وبين
الشعوب الآرية وجدا ان المعكر في هذه الشعوب مختلف بعض الاختلاف ،
فالمعكر مثلاً في العربي لا يستطيع ان يتجرد من الصورة المادية التي تستر وتغطيها ، ولذلك
فانك تجد لغة التوراة لغة شعرية ساطعة الالها تعجز عن بيان المفكرة المجردة .
فالذهن في الامم السامية عبيده به يحفظ بالصورة ويحرص على طابع الالفعال
المادي ، اما الذين في الشعوب الآرية فانه أمرت وألين فهو يتسلع من المادة
ويرتفع الى تصور المفكرة المجردة وإدراكها ، ولعلك تجد في هذا الساب السبب في
شيوع الفلسفة في الجنس الآري واقطاعها في الشعوب السامية ، لان التجريد
من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية اصحاب خيال هم بعيدون عن التجريد^(١)
فلما تقارب العرب وبعض الشعوب الآرية كالعرب واليوانيين انتقلت آثار
هؤلاء الى العرب والفلسفة من جهة هذه الآثار فهي نتيجة من نتائج سائر
(١) رأي الاستاد دارمستر Damesteter ، صاحب كتاب : حياة

الثقوب وما أظن ان الفلسفة حالت من رسوم حسنة في الفكر العربي .
 ما أردت التوسط في هذا الموضوع ولا كانت عابتي اسنهاص مهمكم لتقليد
 فاني من المتشددين في الحرص على أوصاع أدبا والاحتفاظ بمبادئه . الا ان هذا
 التشدد لا يمنعنا عن اقتباس ما يريد في رونق لغتنا وأدبا فاني اخشى اذا حدد هذا
 لادب ان يصبق عن استيعاب ما استحدثته حضارة العصر فاذا اخذنا في بعض
 الاحاين عن ثقافات الامة ما يحسن أخذه فلا حرج علينا في ذلك ، وقديماً
 ستمن أدناؤنا ان من حاورهم وحالهم فما قصت مقاديرهم ولا حققت موارسهم
 وطلعواعى قومهم نادب مصقول الجور في مذهب الاطراف على اي لا أموال المصلحة في
 الاحد والاقتباس فان لميراثنا الادبي روحاً يحب علينا ان نحافظ عليه ،
 وان للعصر روحاً مالم يمه فلت ، فالتكيف بين الروحانية . صفات الادب ونموه .

٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

تاريخ الأدب

أما وقد أوجرت في الكلام على الأدب وتدريبه، وعلى الدوق وثيقته، ولمحت إلى تمازج الثقافات، فبنت دون شيء من الأسهاب كيف يأخذ بعض الأمم عن بعض، ويقنن بعضها من بعض، ويريد هذا الأقباس في عقيدة البشر. أما وقد فرغت من هذا كله، فقد لزمي على ما أعقد أن أحوس في الموضوع الذي اعتدت إليه وهو تاريخ الأدب. وما تاريخ أدب العرب إلا سلسلة من فرائضهم ونبات أفكارهم من يوم طهر هذا الشعب الكريم على وجه الأرض حتى يومنا هذا. ما تاريخ الأدب في الحقيقة إلا سلسلة آثار، إذا نظرنا إليها وجدنا فيها سلاسل شتى سلسلة آثار مؤلف من المؤلفين، سلسلة آثار عصر من العصور، سلسلة آثار تطور الأدب في حلال القرون الحديثة، ما تاريخ الأدب إلا الطر في تأثير بعض المؤلفات في بعض وأصل بعضها بعض وسلسلة في عايات الاحقاب. هذا هو تاريخ الأدب ومن هذين السطرين يتبين لكم حرج الموضوع وضيق مذاهبه، وسدو لكم سمع محاله ورامي أطرافه في وقت واحد، أما حرج الموضوع فانه شيء عن فقدان ما يحب علينا أن نوسس به من لوسن إلى معرفه قرائح العرب وتنازع عقولهم على حسب روح هذا العصر، وأما ضيق المجال فحسبكم أن تحذوا في تاريخ أدب العرب صوراً سطقة مصحح لكم عن اطراد آثار عقريهم في مطاوي الاحقاب.

ما طالعت مقدمة من مقدمات تاريخ الأدب الفرنسي الا وقع نظري على عبارة تدخل الخوف على قلوب من يصرع لتدريس تاريخ الأدب حتى بسبب الموضوع فيكاد يمسك عن الكلام لدهشه وتخييره، بعد وحدثني إحدى المقدمات هذه العبارة: تاريخ لأدب الفرنسي اما هو تبعة حياة أجمعها أو تنكي حياة أجمعها حتى يتم مثل

هذا التاريخ ، وإذا انتهر المؤرخ ذاته ونقبه ليشرع في موضوعه ، أليكتب هذا التاريخ ، على أنه يجب على المؤرخ أن يعمل على قدر مجهوده دون شيء من الاوهام .
وقال الأستاذ رونيير Prunehere في هذه مذهب سانتوف Sainte-Benve
وعلى هذا فإن دراسة كاتب كبير أن لم تستغرق حياته رمتها استغرقت سبع طيلة .
هذا قول كتاب اد أحوال ان يكتبوا في تاريخ الادب وجدوا السبيل بمدة ثمانية
يقول الكتاب بعضهم لعقبات ويحيط بهم المصاعب فتقف اعلامهم لتحميها .
الموضوع حديث لم يكتب العرب فيه على حسب روح هذا العصر وإنما كتبوا
بأساليب لا تناسب أوصاف هذا العصر . مات فلان سنة كذا . . . ومن قوله في
وصف كذا . . . وله شقيقات فرسة . . . كل هذا ليس من تاريخ الادب في
شيء . وإذا كنا نجد من غار المقدمين من ارتفع الى مرتبة أعلى ، وحلوا في جو
أوسع كالجرجاني في وسطه ، وكالغالي في كلامه على المنفى ، أو كعبد الحميد في دليل
على ان نقد الادب شيء وتاريخه شيء آخر .

قلت في صدر الحديث ، ربيع اد صق المذهب ، فسحبت عن شيء من
هذا الصق . د أحدث تاريخ اد عربي وحديث في فاحشه وصفهاون هذا الادب
كيف ولد وكيف عاش ، فلا يستعي التاريخ عن السقيف عن لغة قومه ، وكيف
شأت هذه لغة وما هو اصنامها ومجدها وما هي عناصرها ، لا يستعي المؤرخ
عن هذا كله حتى يصعب ان يظفر في تسلسل الآثار العقلية نظراً ثامناً ويحيط بمختلف
العوامل التي عملت في هذه الآثار ، فيكون منه في ذلك كتل المؤرخ الطبيعي
فكما ان هذا المؤرخ يصمم افعال المحبوبات الحية في الصيغة بعضها بعض على صورة
مرئية فكذلك يجب على المؤرخ الادبي ان يبين كيف تسلسلت آثار عقريه قومه
والتحق بعضها بعض من ماداتها الى حواشيها ، أفنيسر لنا في حالنا هذه ان
نعرف شيئاً عن مبدأ اعتنا ، كيف ولدت الفاطمة وكيف عاشت كما يعرف المرسيون
مثلا كيف تحدرت لغتهم من الاصل اللاتيني ؟

كنت أذكر مرة في أمر لغتنا الكريمة أسادا مطلعاً على اللغات السامية

فقدت له في حلة ما قلت . وددت لو اسعرف كف ولست لعنا في اول امرها
كما يعرف بعض الافرعه كف ولست لغاتيه فقل هذا امر متع الان ، ان بعض
الافرعه شهدوا ميلاد لغتهم فصوروا آثارها وتعبدها وكان مثبته في ذلك كمثل
من يعرس شجرة ثم يتعدها حتى يورق وترعرع وشعر ، اما نحن معشر الساميين
فانا لم شهد ميلاد لغاتنا فلا نطيع ان نعرف ان يوم كف او رقت هذه الشجرة
انما هو كيف اثمرت وكيف اثمرت وريسا وبين الذين عرسوها وتعبدها
أحبت مضاوله وعصوره متاخنة حقيقتا ، حتى لا نرى رسوماتها ولا
نعرف عن هذه الاحقاب شيئا

هذا صحيح . عرب الكنعانيون من ذن مقدر ان لغتهم عرب قد تكلمت
دفعه وحده دون شيء من المديح ومهمه (رن) Renan فقد قال :

« من اعرب ما وقع في درج الفسار وصعب ظهر سره . تشار اللغة العربية
فقد كانت هذه اللغة تير معروفة ردي . بددت فجأة عامة في الكيان ، سلسلة عنية
واي غنى ، كاملة بحيث ان من ذلك العهد الى يومنا هذا لم يدخل عليها اقل تعديل
مهم . فليس هذا طفولة ولا شبحوخة ، صهرت لاول امرها تامة ، ولا ادري هل
وقع مثل ذلك لغة من لغات الارض دون ان يدخل في طوار مجده » .

وان لا ادري كيف صدر هذا الكلام عن رجل من (رن) ، اي شيء يتكامل
في الطبيعة فجأة ، مثل اللغات كمثل الحيوانات الحية في عالمي الحيوان والنبات
فكما ان الحيوانات والنباتات تولد فتموت فكذلك اللغات فانها أشبه شيء هذه
الحيوانات . أم قول (رن) ليس لغة العرب طفولة ولا شبحوخة فهو مخالف
لاصول العلم ، لغة العرب عهد طفولة ولكنها لا تعرف شيئا عن هذا العهد ،
لعدم عنا وحفاء رسوماته عليها ، فلا يمكن ان يكون لغة جاهلية متكاملة على صورتها
هذه من دون ان يتسلسل فيها هذا الكمال عصورا مضائلة صفت اللغة وحسنتها
حتى طلعت علينا في حلتها الاليفة . وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى ذلك في

شعرهم ، فأحد حاجة لي ذكر قول عشرة

(هل عادر الشعر أم من مردود)

أوقول امرئ القيس

عرجا على السبل امرئ القيس

وقول زهير

ما أرى قول لا معرا لو مدأ من ف الماكروا

فأني يستند من كلام عشرة وامري القيس وزهير أنه قد قلم شعره
حاولوا في الشعر كل بحر وحاووا في سمنه كل بحر ، وقد استطاعوا أحبار
الدين أورثوا عشرة وامري القيس وزهير وأشعرهم فقص فيهم وصرت أذهابهم
والطوب آثرهم فلا عرف عنهم شيء ، ومة لعرب منهم من العرب فلا يمكن أن
نذكرهم ، وأحد على أصوله أي شأ غيبا في العصر الخاهي المعروف ، فلا
ريب في أنه قد سبقنا أصحاب مبيدة انشأت فيها لغة من طور إلى طور ، حتى
وصلت إلى ما وصلت إليه ، فاعصوا إلى سمعت لغة في الشام من مرتبة إلى مرتبة
غامضة مهمة فهي سر من الأسرار وهذه لغة في تارح أدب ولا تسد هذه
شعره إلا إذا درسنا لغات السامية وأدب الآدمي إلى حائط العرب في قديم الدهر
وعزنا على كتب مدممة منقوشة أن لغة العرب لم تنه إليها بخافيرها ، فإن
الذي جاءنا عن العرب عرج من قبض وكثير من الكلام ذهب بذهاب أهله . قال
أن فارس ذهب علمه وأو كثره إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل
ولو جاءنا جميع ما قالوه لحاءنا شعر كثير وكلام كثير

صو روا بعد هذا كله حرج موضوعا وضيق مذاهبه ؛ أني لا جد لغة في تاريخ
الأدب إلا إذا عرفت أوائل الآثار وأواخرها ، ومادى المصنفات وحواليها
واستطعت أن أصل الأواخر ، لا يزال ورط الخوازم بالمبادئ حتى أعلم كيف
تسلسلت شعرات لغتنا من نتائج الخواطر ، وكيف أثر بعضها في بعض وتحدت بعضها من
بعض فإذا لم ينهنا لي شيء من ذلك كان العلم ناقصا .

على أن هذه العقبة التي تعترضنا في سبيلنا ليست فريدة فأن من ورائها عقبات غيرها ، أطل انكم تذكرون قولي في ثقافة الدرف لا بد لنا من معرفة لعصر الذي درس شاعراً من شعرائه ، فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والأفكار التي وبها هذا الشعر في عصره والعواطف التي أيقظها ؛ فإذا كنا درس شعر المتنبي ، ووقع بصرنا في شعره على عطفه (استشاك) ومعناها : الكذب ، وهي لفظة غريبة ، فكيف نجزم أمر عرائها إذا لم يكن في معناها معجم يشير إلى تاريخ اللفظ ، كيف نعرف أن لفظ الاستشاك كان عربياً في عصر المتنبي إذا لم يكن في معناها معجم يس لنا أن هذه اللفظة استعمال في عصر كذا ثم نطل استعماله بعد ذلك العصر ، فإذا كان في معناها معجم لعوي نفسه فيه اللفظ نحسب تاريخها استطاع أن يحرم أمر عرائه اللفظ ، فلاسير في تفهيم واستقصائها على غير هدى وإنما نسند إلى مصادر موثوق صحتها ، فقطع دون شيء من الحيرة والارتباك فلا يزال تاريخ أدبا منوم الخواص فإذا كنا نبحث عن شاعر من الشعراء فقد لزمنا في مثل هذه الحالة أن نقرأ شعر أهل عصره كلهم ؛ حتى نعرف مصطلحات ذلك العصر وهل يتيسر شيء من ذلك ؟ فإما أن نقتصر على البحث عن هذا الأمر ، وإما أن نستعين عليه بالكتاب الذين طهروا في ذلك العصر وأشاروا إلى عرائه ألفاظ شاعر من شعراء عصرهم ، فإذا لم يكن شيء من ذلك بقيت في تاريخ أدبنا زاوية فارغة .

ولو جاورنا هذه العقبة لا تعترضنا عقبة غيرها فأن في تاريخ أدبا شيئاً من لغو من شأ عن أن طائفة من الأسماء أطلقت على مسميات لا يرى لها أثراً في هذا العصر ، لضرب مثلاً لذلك فقد قرأت في بعض كتب الأدب هذا الكلام دخل الاحمق س فيس عن معاوية وأعد لأهل البصرة ودخل معه اثمن من قطبة وعلى الأمر عباده قطواية وعلى الاحمق مدرعة صوف وشمة ، فالعبارة القطواية مدسوبة إلى قطواي — موضع بالكوفة — مه الأكسية غير أننا لا نعرف شيئاً عن نوع

هذه العبارة وكذلك المدرعة فانها ثوب ولا يكون الا من صوف ومن الذي يعرف هيئة هذا الثوب " .

فانهم يتحدثون في سطر واحد كلمتين أو ثلاث كلمات تدل على مسميات تكاد لا يعرفها في لغتنا كثير من الاسماء أطلقت في القرون الخالية على مسميات ثم انطوت تلك القرون فذهبت بدهابها المسميات وبقيت الاسماء في بطون المعاجم تدل على اشياء لا نعلمها ، وقد كانت هذه الاسماء وضعت للدلالة على أنواع من السلاح واللباس والطعام والشراب والدرهم وما شابه ذلك ثم ذهب الدين كالوا يتقلدون هذا السلاح ويلبسون هذا اللباس ويأكلون هذا الطعام ويشربون هذا الشراب ويصرون هذه الدنانير والدرهم ، فذهبت بدهابهم مسمياتهم وبقيت الاسماء وحدها فلا تزال طائفة من ادبا غامضة بعض العموض .

ما اردت الاستقصاء في البحث عن ثل تاريخ الادب وانما احببت ان المح الى طائفة من هذه الثل ، حتى يدرك مدح ما يقف في سبيل المؤرخ الادبي من لمصاعب التي يستعصي عليه تذليلها ، واني لأجد الى جنب هذه العقبات عقبات غيرها لا بأس بالاشارة اليها .

اقتصر الدين كثيرا في مؤلفي العرب على ذكر السير من آثار حياتهم العامة وحياتهم الخاصة فدكروا ميلادهم ووفاتهم ولمعاً من اخبارهم وقد ورد قليل من النقد في تضاعيف كلامهم وما عدا ذلك فانما لا تكاد تحيط بشيء من آثار حياة مؤلفي العرب ، فلا يعرف مثلاً كيف ولد هذا المؤلف وكيف عاش وكيف رماه اهله حتى نشأ ونزع وع ، لا يعرف كيف كانت حياته في مدرسته وما هي اخلاقه وأوصافه وعاداته واهوائه ومدامه ، وما هي وحيته في حياته ، ما هي انبائه الخاصة والعامة ، ما هي هيئته وصورته ، ما هي ملابسه ، ما هي الكتب التي كان يقرأها . كل هذا بمعنا في تاريخ الادب حتى تنكشف لنا اسرار المؤلفين فنستعين (١) اخترت هذه الاسماء عرضاً وقد يجوز ان تكون مسمياتها معروفة في بعض قبائل يادية الشام على ان في لغتنا اسماء كثيرة غيرها لا نعرف مسمياتها فكتب الادب ومعجمات اللغة مملوءة بهذه الاسماء في كل عصر من عصور اللغة .

بدلك على العلم بأفكارهم وعواطفهم . ونحن عقد هذه الافكار ولعواطف في اثناء بحثنا عن آثار عقولهم وألباسهم . وهذا النوع من المعرفة عصر من عاصر التمجيز والتدقيق . ودافع هذا العصر اضطربنا الى النظر في آثار المؤلف نفسها لاها تدل على فكره وعلى عاطفته وعلى روحه . لا ان قد اضطرب في خلال البحث والطر اضطراب نفق فيه حائرين فوكا نعرف دقائق حياة المؤلفين لما اضطربنا هذا المصطرب ، وقد استترك هذا الامر طائفة من المؤلفين في هذا العصر فكتبوا تراجمهم بأفلامهم ووضعوا دقق حياتهم وجليل وكشفوا العطاء عن كثير من أمورهم . والمرء ذا صدق اعلم طواهره وبواطنه ، وادرى مضائيه وردائه وافضل لمواطن القوة والضعف فيه . فصلا عن البدة التي تحدها في قراءة هذا النوع من التراجم . فبها رقة العقول وسوة القلوب . فكاننا نحضر رجال قد باحوا بأسرارهم فكان شهد حركاتهم وسكناتهم وكاد نسمع صوتهم وكلامهم ونرى انفسهم فقطبيهم وشاركتهم في لامهم وأفراحهم وما شاء ذلك .

قال د سننوف Sainte-Beuve ، في كلامه على هذه التراجم

أحدث في كل حق مراسلات اكار الكتاب واحاديثهم وافكارهم ، أحدث هاصيل طائمتهم واحلامهم وتفاعيل تراجمهم التي كتبوها ، قال الباحث بمكف خمسة عشر يوماً على آثار ميت مشهور سواء أكان هذا الميت شاعراً ام فيلسوفاً ؛ فيدرسه . ويمت النظر فيه . يخاله ما شاء من المسائل ، ويجعله قبالة عينيه .

هذه طائفة من بواقص تاريخ ادب ولوشئت لانيت على ذكر غيرها من الواقص . وانما مرادى بين ما يباعث المؤرخ من بعض المصاعب على ان التلوم في التصرع لوصع تاريخ الادب لا طائ فيه ، فاذا ظلنا نسطر قانا لا يصع شيئاً اذا كما ما يملك نردد ان تاريخ الادب يستغرق وصعه سدين طويلة فقد نمر هذه السوي من دون ان شرع في الوضع . فاذا اخرج شيوخ الادب مكنونهم واستقصوا سعيهم فصدى كل منهم لمادة من المواد ، وعمل على قدر مجوده . هبنا تاريخ الادب ومنى تها تاريخ ادب العرب مستظما انت بحيط تسلسل آثارهم وافكارهم وقرائهم من اول أمرهم الى آخره ؟

نقد المؤرخات الأدبية

ذكرت لكم اليسير من العفات التي يصعب قطعها على الذين يتصدون لوصف تاريخ الادب ، وقد خالج قلبي الرجوع الى هذا الموضوع وانتم لا تجدون رباً في سائر شأنه ، وروعة مقامه ، وكفى تاريخ أدبا ان يكون عوالياً لحسنات قوم ذهبوا من سمع الارض وبصرها ، فلم تق من جلالة ملكهم وفخامة سلطانهم الا آثار هائلة ، اذ نحن اعملنا الروية فيها رزق لنا بلاعة منطلق اهلها ، ورجاحة احلامهم وصحة عقولهم ، لم تق من قوم ملأوا الدنيا وشعلوا الدهر الا صور جامدة اذا نحن احياها اعرت لنا عما سجنه طماع ادب صوروها وسكنته افهامهم ، فرائهم كيف درج صوع انداهم في مواصي الليالي من طور الى طور ، وشهدتم اطراد عصورهم وما كان يتجلى هذه العصور من حلاله في الالاس ، او من شديق وتغير فيقلب بكم تاريخ أدبا من عصور السهولة والايثار الى عصور التكلف والبريد ، ومن الاقتصاد في النظر الى التوسط في التفكير وعلى هذا يكون التاريخ صلة بحكمة الاطراف محوكة الوشي ، من حاصر الخواطر وماضيها ، واذا استطعنا ان نؤلف بين الحاضر والماضي حافظت لعنا على وحدتها وازدادت عظمة سلطتها

هم ، خاليج قلبي الرجوع الى البحث عن تاريخ الادب لان هذا التاريخ هو الذي يزرع بالنفس الى النفع بأثر الاولين ويحمل رجال الادب على املاء قلوبهم من هذه الآثار ، فيطلعهم على روح اصحابها من حال الى حال وينبهم على توسعهم في أساليب شتى ومذاهب مختلفة ، كل عصر وله أسلوبه ، وكل دهر وله مذهبه ، وحالة المقال ان تاريخ الادب هو الذي يصي ، سيد العقل ، الذي حتى نذكر آثار العبقريّة في الاحقاب ، فصر أو اخرها ماوانها ، ومتى استحسنت هذه الصلة اتسعت افياء العبقريّة .

هذا هو تاريخ الادب وهذه هي فعلته في الامم ، بقي ان نعرف كيف ينبغي لهذا التاريخ ان يكون حتى يعمل عمله هذا . جعل تاريخ الادب لاهياء آثار الماضي ورسومه ، حتى تمثل الازمان هذه الرسوم والآثار فتصح بمحض من أشخاص ناطقين يصورون لنا صوراً شتى في كل صورة منها فكر وشعور ، ينبغي لتاريخ الادب ان يكون فيه شيء من الحياة حتى يمثل لنا حقائق الآثار على وجوه متباينة ، فرة يرى وضوح هذه الآثار وصفاءها ، ومرة لا يرى الا اسهامها وتنعيدها ، وحيث نسمع حفي صوتها وحيث لا يجد فيها الا الخود ، ان تاريخ الادب هو الذي يبعث أرواح هذه الآثار حتى تأخذ العين خصائصها وصفاتها ومحاسنها ومفاسدها وحمودها وحياتها وعلو قدرها وانحطاطه ومخلف الواهب ومتباين أساليبها ومذاهبها . ان تاريخ الادب هو الذي يبعث روحاً في هذه الآثار كلها مستعينة على التمكن من أحيائها بالفن وما أوتيته من سلطان ، فالص وحده هو الذي يحيي ما مات من الرسوم ، وحلاصة الامر اننا نطلب الى المؤرخ الادبي ان لا يذهل عن شيء في تصوير صفحات التاريخ ، فلا ينبغي له ان يعمل عن تفاصيل الآثار وطروفها وعن الواهب ومعارضها وخصائصها .

فلبحث بعد هذا كله هل عندنا تاريخ ادبي يستطيع ان يصور لنا حقيقة الماضي ، حتى نطلع على اطوار هذا الماضي وصروب أساليبه ومذاهبه ، اما المؤلفون في القديم فقد ذكرتكم انهم لم يصنعوا شيئاً في تاريخ الادب واما المؤلفون في هذا العصر فما اطل انهم سبقوا المتقدمين في هذا الميدان ، وسنظر في ذلك في مجلسنا هذا . اطل انكم ما سئتم قولي : التاريخ الادبي اما هو سلسلة آثار ولم اقل بمجموع آثار ، والفرق بين الجمع وبين التسلسل ظاهر ، فالآثار المجموعة ليست من تاريخ الادب في شيء وانما الآثار المتسلسلة هي التي تصور لنا الماضي . الآثار المجموعة لا تدلكم الا على نتائج خواطر لا يتصل بعضها ببعض ، فلا تحيطون بشيء من تأثير عصر في عصر ، وتأثير مؤلف في مؤلف وانما الآثار المتسلسلة تصف لكم ارتباط عصر بعصر ، واتصال مؤلف بمؤلف فتشبهون بسير العقل البشري وتقلبه من حال

الى حال ، ان ما وضع حتى اليوم من المؤرخات الادبية مجاميع لاسلاسل ، فان اصحاب هذه المجاميع اذا درسوا مؤلفا من المؤلفين فانهم لم يدرسوا من تقدمه ولا نظروا في الذي جاء بعده ، انهم لم يبطروا في اواخر المصنفات وارتباطها بجملة التاريخ الادبي ، ان الذين كسوا في تاريخ الادب كانت كتبهم مجاميع ولم تكن سلاسل مطردة ، فان كل عصر متصل بالذي سببه ويمهد السبيل للذي تلاه

تصفحت طائفة من كتب تاريخ الادب في هذا العصر ، واحسنت ان اجد فيها ما اصطالحوا عليه ان تكون اثناء هذه المكتبة . فلم اظهر شيئا وانما الذي تبين لي ان هذه المؤرخات الادبية مجاميع آثار فيها قليل من الدراسة الادبية والنقد الادبي ولكن هذه الدراسة مشوهة الاسلوب وهذا التقديم المنهزم المذهب فم بين هذه المؤرخات الآثار التي انماها شاعر من الشعراء في اهل عصره ، ولم توضح العوالم التي عملت في هذا الشاعر حتى قال شعره ، ولا ذكرت كيف شأ خيال هذا الشاعر ، وكيف به حسه وشعوره ، لم تبين الظروف التي قال في خلالها شعره ، على اني اعتقد ان ذكر هذه الامور لا ييسر في هذا العصر لمؤرخ ادبي . وعلى التحصيل ذكر الروح الادبي والروح القومي في عصر من العصور . لوعورة هذا المسلك وحشونة هذا المركب ، ولا ينبغي شيئا من ذلك الا بعد سيرة طويلة فكيف ارجع لادب في هذا العصر ليست من التاريخ في شيئا وانما هي مجاميع مشبهة على قابل من دراسة الادب وقده ، فليبحث هل تشمل في الحقيقة على شيئا من هذه الدراسة وهذا النقد

احدث عرسا تاريخيا ادبيا وضعه اسناد من اسانيد الادب في مصر ، وكتب لتاريخ قليلة ثلاثة او اربعة على ما اظن ، احدث عرسا هذا التاريخ وقرأت كلام صاحبه على المتنبي حتى اعرف كيف حاول ان يبحث عن المتنبي ، ولم تكن غايته الاستعانة بهذا الكلام ، قال الناقد الادبي بحث عليه . يقرأ آثار المؤلف حتى يستطيع ان يبدي رأيا فيها ، فاذا استعان بكلام غيره على هذه الآثار لم يكن نقده نقدا . قرأت الكلام على المتنبي في هذا التاريخ لا طالع على اسلوب المؤرخ او على

اسلوب الباقى على الوجه الاصح . فوجدته بعد ان ذكر اليسير من احجار حياته اشار
الى منزلته في الشعر محكم له وقال لم يبع احد عنده لم عاينه في الشعر ، الا اني
كنت احب ان اعرف شيئاً عن سوع المتعني به . فبادا لم يبع أحد بعد المتعني
فلم بين الباقى السماء التي خلق فيها المدي . ولم تطولها سماء . ولا الافق الذي امتد
اليه حسه . ولا الصور التي صورها . ولم يذكر شيئاً من شعور المدي . ودقائق
هد الشعور . وهو العاين الاكبر في شعره . ولما ذكر طبعة هذا الشعور ولا اشار
الى شيء من عاطفه . ولا وضح طبعة هذه العاصفة . ولا بحث عن فلق المتعني .
واضطرابه وعن سباب هذا قلق والاضطراب . ولا اشار الى ساقط المدي .
في اختلافه . ولا صور لثاميه الا اني في الحياة ولا ذكر من كان هذا المش مدياً
أم معوي . ولا تعرض لبعض رعات المدي في "فلسفه ولا اندى رأيه في حاود
مدي . من يخلد بو اظيب . وما هو السبب في حنوده . وفي حمله فقد قرأت البحث
عن المتعني . فلم تشأ في ذهني صورة عامة . قال المتعني في كل الاعراض . وهي هذه
الاعراض . أحد المدي في وصف المذارث . وانك أب مواطر لاحادة . المتعني
في كلامه . كثير من التعمد للقصي . من مواضع هذا التعمد . قرأت هذا كله فلم تشأ
في ذهني صورة مدي العامة . ولا صورة شعره . ولا صورة حسانه ولا صورة
سبثانه . فلم اعرف شيئاً عن حبه حبه وشعره وأسمه

فرغت من هذا ربيع . وجدت ربيعاً غيره فوق عري عرسا على بحث
صاحبه عن اي فراس حمادي . فليس لي في المواقف قد استعان برأيي لتعالي في
اي فراس حتى انه لم يأت في ذلك لي انصه مسها فدا . ولم اخرج قر ابيان من
سراره . وعشق له . الحرب من الراء . وفي مواضع آخر في كلامه على شعر
في فراس شعره على مثال الشعر القديم منه وأسلوباً الا ان عليه روه الطمع
وسمه لطرف وعرة الميث وم حرمه اخلاصه . لا في شعر عبد الله بن المعتز .
وهذا الكلام انما هو كلام المتعني به . ي امد في فقد لم يقرأ صاحبه الاثر
الادبي الذي يفده . اي روح في كلامه لم يصدر عن كاتب صاحبه . فلو قرأ هذا

المؤلف الاثر الادبي الذي يبقده لكان له رأي فيه خاص به . من المصادر الادبية في ماثيرها في ادائها كمثل مشاهد الطبيعة في تأثيره في حواسها فكما ان هذه المشاهد قد تترك في حواس مصو . اثر لا تتركها في حواس غيره من المصورين . وكذلك المصادر الادبية فانها قد تترك في ذهن رجل آثر لا تتركها في ذهن غيره . ويجب على الذي يتفرع لتقدير ان يقرأ الكلام الذي يبقده ؛ وأما اذا ورد ما قاله غيره فلا تجد أنه في قوله فاذ كان لا زال يكرر آراء المتقدمين وسعيهم على تحاشا كلامهم نفسه أو شدة هذا الكلام في بعض الاحايين فكأنهم خط خطوة في الفسحة اكتسبت بها القدر من الاستشهاد لا ين لكم ان فربها من المؤلفين في الادب لا يزالون ينسخون في هذا لسر احوال المدعيين . فهم يسجدون على ايديهم في كتابة المؤثرات الادبية مع شي يسير من التعديل . على ان اسحت عن مؤلف من المؤلفات في هذا العصر يختلف عما كان في القديم فقد استفاضت المناهج العلمية في دراسة الادب وشاعت مذاهب النقد وتبدلت لارض غير الارض والسموات واصبح هذا التطور علامة الحياة نفسها . ولو احترأنا آراء المتقدمين لمحدث المرائع ، ولصحت الخواطر . فان لكل نافذ أسلوباً وان لكل مؤرخ مذهباً وعلى قدر اختلاف هذه الاساليب والمذاهب يرداد روق الادب فاداً تشابهت صور الكتابة نفرت الأذان عن كل مرهده . واعتضت القلوب عن كل مكرره .

أما وقد أشرت الى مص المطاعين في المؤثرات الادبية ولا أرى ما ساء بان أبو عليكم صفات المؤرخ الادبي على حسب ما حددها الاسناد . فأكه . في كتابه . من القراءه .

• يجب على المؤرخ الادبي ان يسلح من دحيته " على قدر ما أعاد عليه الامكان " يجب عليه أن يتجرد منها كل الجرد . ولا يجوز له أن يعرب عن الاثر الذي أبقاه في نفسه مؤلف من المؤلفين ؛ وإنما ينبغي له ان يعصح عن الآثار التي أبقاها هذا المؤلف في أهل عصره وانباء زمانه . فاد كان سبحث عن عصر من

(١) دحيلة الرجل : مذهبه وجميع أمره وقد استعملتها بدلا من الشخصية .

العصور وجب عليه ان يبين روح هذا العصر العدم على حسب ما يعرف من تاريخه وان يوضح الروح الادبي والروح الفني في هذا العصر على قدر ما يعرف من التاريخ الادبي والتاريخ الفني . يجب عليه ان يقيس - وهذا الامر يكاد يكون ممكناً - العوامل التي عملت في مؤلف من المؤلفين وان يبين كيف نشأ عقل هذا المؤلف بحسب الكتب التي قرأها في حياته ، وبحسب الرسائل التي كتبها ، وبحسب رأي اهل عصره فيه ، يجب عليه ان يبحث عن محامع الظروف العامة التي كتب في خلالها : ظروف قومه ، و ظروف مكانه ، و ظروف اهله ، و ظروف شخصه . يجب عليه ان ينقب عن التأثير الذي اثره هذا المؤلف نفسه : اي ان يذكر الرجال الذين رافقهم كنياته والرجال الذين لم تعجزهم هذه الكتابة . فلا يجوز للمؤرخ ان يعرف الا الاحداث ولا ان يعلم غيره الا هذه الاحداث نفسها وبروابطها ، فلا يحق للقاري ان يعلم كيف يحكم هذا المؤرخ ، ولا يحق له ان يعلم انه يحكم ولا يجوز له ان يعرف كيف يشعر . ولا يجوز له ان يعرف انه يشعر .

أما الناقد الادبي فانه على خلاف المؤرخ فهو يبتدي من حيث ينتهي المؤرخ الادبي ، انه على سطح هندسي غير السطح الذي ترى عليه المؤرخ الادبي ، فالذي يطلب الى الناقد ان يبينه اما هو ففكره في مؤلف من المؤلفين ، او في اثر من الآثار العقلية سواء اكل هذا الفكر صادراً عن عوامل عقلية ام كل صادراً عن هوائج نفسية ، فلا يطلب اليه ان يصور خطأً وانما يطلب اليه ان يبين الآثار التي بقيت في نفسه بعد سفر من الاسفار .

٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩

أطوار النقد

أفلا يرال منكم على ذكر ما قلته لكم في آخر مجلس من مجالسنا، أفلا يرال عالقاً بحفظكم أن نار يبح الأدب شيء، وإن القدسي، آخر، وقد حدثكم بحصائص المؤرخات الأدبية، ونعرضت لبعض المطاع فيها، فأرى أن أحمل النقد حديثي في هذه الأمسية فألج إلى أطوار النقد في لفه الكريمة في الجاهلية وصدر الإسلام وفي زمن بني أمية وبني العباس؛ ثم أحمل الكلام على النقد الأدبي في بعض لغات العرب في الفرون الوسطى وفي العصر الحديث.

كان نقد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام وفي أيام بني أمية حكماً مختصراً يحكمونه على شاعر من الشعراء أو لشاعر منهم، وقد كان يحري شيء من هذا النقد في أسواق العرب وأندسهم في الجاهلية وفي مجالس الخلفاء وقد ملئت كتب الأدب بكثير من موجز هذه الأحكام، أقل اليكم مادح منها على سبيل الاستشهاد

قيل للحطيفة: من أشعر الناس، فأحرج أساناً دقيقاً كأنه لسان حية وقال: هذا إذا طمع.

وقال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أشدني لأشعر شعرائكم قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين، قال زهير، قلت: وكان كذلك قال: لا يعاظم بين الكلام ولا يتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال: أشعر الجاهلية امرؤ القيس وأصبرهم مثلاً طرفة، وأما شعراء الوقت فالمرردق وأخوه وجريز الجاهم والاختل أو صفهم.

من هذه الامثلة القليلة يتبين لكم ان النقد كان عبارة عن حطرات سريعة وطرقات عجيبة لا يستند الى شيء من قواعد الفن الشعري الا ان هذه الاحكام كانت صادقة في معظم الاحايين تصدر عن بديهة وفطنة حتى جاء القرن الثالث فدخل النقد في طور آخر وألف المؤلفون فيه كتباً ، منها طائفة رعم اصحابها انها تشتمل على تفصيل الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمحصريين ، وازالهم مازل والاحتجاج لكل شاعر بما وجدته اصحاب هذه الكتب من حجة له ، وما قال فيه العلماء ، من هذه الكتب طيفات الشعراء للجمعي ، غير ان صاحب هذه الطيفات لم يبحث الا عن الصور الغريبة كحسن الديباجة وكثرة الروق وجرالة البيت وما شابه ذلك ، كقولهم مثلاً : كال الحطيفة متين الشعر شرود القافية . وكان باعة بني جمعة شاعراً مدققاً فلا يختلف طراز هذه الآراء عن الطراز القديم ، ومهاطائفة تتضمن قواعد اشعر ككتاب ابي العباس نعلب الا ان بعض الذين توسعوا في هذا الباب هم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ، وابن قتيبة في كتابه اشعر والشعراء ، وقدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر ، وابن عبد ربه في عقده المرید . والآمدي في مواربه بين امي تمام والاحترى والحرجاني في وساطته بين المنسي وحصومه ، وابن رشيق في كتابه العمدة الى غيرهم من الذين كتبوا في تراجم الشعراء والكتاب كاشمالي وابن خلكان .

كانت هذه الكتب اشبه شيء بكتب الفن الشعري في عصرهم العرب فها تشتمل على قواعد الفن والدوق فلم يشر اصحابها الى الآثار الادبية الا من حيث الصور الغريبة فلم يخبر ابن قتيبة مثلاً في كتابه : الشعر والشعراء ، الا عما يستجد من شعر الرجل وما أحد العلماء عليه من العلط والخطا في المعاني ، فلم يخبر الا عن الوجوه التي يخار الشعر عليها ، ويستحسن لها ، وكل هذا لا يتعدى المحاسن اللغوية غير ان ابن قتيبة قد تبسط في بحثه عن القديم والحديث بعض التبسط فكان : ولا نظرت الى المتقدم من الشعراء بعين الجلالة لتقدمه ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، فالذي يدل عليه باطل كلام ابن قتيبة ان القديم انما هو قديم بالنسبة الى

العصر الذي ظهر فيه ولكن الذي توسع في قواعد الفن اما هو ان رشيق في كتاب
العمدة ، على انه مع توسعه هذا لم يتجاوز نقده الاقتصار على الصور الفنية فقد قال
في فضل الشعراء :

(كل مطوم احسن من كل مشور من جنسه في معترف العادة الا ترى ان
الدر وهو اخو اللفظ وسيد و اليه يقاس وبه يشبه ، اذا كان مشوراً لم يؤمن
عليه ولم ينفع به في الباب الذي له كسب ومن أحله انتخب وان كان اعلى قدراً
واغنى ثمناً فادا نظم كان اصون له من الانتدال واطهر لحسه مع كثرة الاستعمال
وكذلك اللفظ اذا كان مشوراً ندد في الاسماع وتخرج عن الطماع .)

فكان الشعر عبارة عن الفاظ شبه الدر على ان اس قبية كان يعرف
ان العرب احتاجت الى الشعر لتعني بمكارم أخلاقها وطيب اعرافها وذكر أيامها
الصالحة وأوطانها الدازحة ولحكه نظر الى ظواهر الاكسبة التي كانت
تصون كرم هذه الاخلاق وطيب هذه الاعراق وصلاح تلك الايام وزوج تلك
الايوطان ولم يتفعل في بواطن هذا الكرم وهذا الطيب وقد كانت في هذه
الكتب كلها شيء من النقد الغروي وهو على ما اعقد الاساس الذي لا يستغني
عه النقد الادبي نفسه ، وان كان يحلف عه ، فلا يكاد نجد نقداً ادبياً دون ان
يكون فيه نقد لغوي فالكتب التي ذكرتها لكم لم تنظر في روح الشاعر وفكره
وعاطفته فلم تفكك اجزاء هذا الشاعر وتبحث عن كل جزء منها ، فكان العصر
الذي ظهرت فيه عصر صور فية الا ان مريقاً من المؤلفين اشاروا الى تأثير
بعض العوامل في الشعراء كتأثير البيئة من حاضرة وبلد وتأثير المزاج من
سلاسة في الطبع وحماء في الحلقة ومهم المرحلي في وساطته وهذا مذهب طريف
في نقد الادب في لغة العرب يكاد يشبه مذهب Taine ، في النقد الحديث
وسياتي الكلام على هذا المذهب .

ومن هذا القبيل ابو عامر بن شهيد الاندلسي فالانار الادبية في نظره صور
ظاهرة تدل على بواطن اصحابها فمن قوله :

« ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه فمن كانت نفسه من اصل تركيبه مستوية على جسمه كان مطبوعاً روحانياً يطبع صور الكلام والمعاني في اجل هياها ، ومن كان جسمه مستوياً على نفسه من اصل تركيبه والغالب عليه جسمه كان ما يطبع في تلك الصور بأفصأ من الدرجة الاولى في التمام والكمال وحسن الروق ، وهذا الاسلوب في النقد يكاد يشبه اسلوب « سانتبوف » في هذا العصر ومذهب « سانتبوف » التعمق في روح المؤلف حتى يبعث من هدفه قنرى هيئته وصورته .

اما التراحيم فكنتم تجدون في معظمها اساليب متشابهة والفاظاً متقاربة بحيث يتحقق عندهم ان الشعراء الذين يقدم اصحاب هذه التراحيم منهاثلون في صيغهم وفعولهم فمن قول اصحاب هذه التراحيم . فلان احد افراد الدهر في النظم والشر وفلان فرد دهره وشمس عصره وفلان اغنوه لزمانه وندرته وفريد عصره ووافته ، فيكاد يحيل اليكم ان الناس كلهم اعاجيب الزمان وبوادره وآحاد الدهر وشموسه . افلم يعضس لئلا الى حسب شمس من تلك الشمس !

هذه هي حمة أطوار النقد في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني أمية وبني العباس أتيت على ذكرها على سبيل الابحار ثم وقف النقد وفهته فلتقل الى اطوار النقد في بعض لغات العرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

ما أطل ان أدباً من الآداب قد نمت مداها وامتدت طلاله في العصور الاخيرة دون ان يكون للنقد الاثر الايجابي في نمو هذه المداهب وامتداد هذه الطلال : فالادب الالماني في القرن التاسع عشر قد اسلم بوره من أفق البقاء ، لسيمع Lessing ، وقد كان النقد روح الادب الفرنسي من ثلاثة قرون ، ولم يحدث حادث في هذا الادب وفي أدواق أهله من القرن السادس عشر حتى يومنا هذا لا كان النقد مصدر هذا الحادث او أصله ، حتى ان كثيراً من شعراء دراسة أمثال « رونسار » و « مالمرب » و « والو » و « فولتير » و « شاتوبريان » و « هوغو » قد اعتمدوا على النقد ولجأوا اليه في بسط آرائهم ومفقاتهم في الادب .

نشأ النقد الادبي الحديث في ايطالية في القرن الخامس عشر وقد كان لشأنه عوامل شتى منها عاملان كبيران : عامل باطن وعامل ظاهر ، أما العامل الظاهر فهو اضطراب رجال التجديد في ايطالية الى تعارفهم وانصرافهم الى استجراح ما حفي من الكدور في متقدم العصور من مدافها ، وأما العامل الباطن فهو تيقظ الشخصية ، فقد كان الرجل في القرون الوسطى تابعاً لطبقه ولرجال نفاته ، قبل ان يكون مالك أمره ، فلم يكن له في كل حين تصرف في شأنه وعمله وفكره ولما طلع بحر التجديد تيقظت القوميات ، وحرح الفرد عن الرق فاصبح هم رجل الفن ان يدخل في عمله سواء أكان هذا العمل شعراً أم كان تصويراً شيئاً من روحه اي شيئاً من طابعه " .

ثم انتقل النقد من ايطالية الى فرنسا فصنع فيها بصيغة ادية فجعل بقية الكلام في آليهم المحل الاول لسبادي . والمذهب اي لا تعرض في هذا المقام لتطور نقد في فرنسا فهذا خارج عن موضوعي . فلا تعرض لكتب الفن الشعري في مصرين السادس عشر والسابع عشر ، ولما كانت تشتمل عليه هذه الكتب من قواعد الدوق والفن ، ولا أتصدى لاصحاح القوم في مسائله القديمة والحديث ، ولما شأ عن ذلك من خروج النقد عن طور ودخوله في طور آخر فبعد ان كان الناقد يدرس الآثار من حيث آثار شرع يدرسها من حيث انها صور الحصارا . اي لا أتصدى لتطور النقد بعد هذا كله فقد اصبح لتأثير الادبي في طر . فيلمان ، Villenain . ارتباط وثيق بالاصاح الاجتماعية والسياسية .

كل هذا لا حاجة بنا اليه في هذا المقام وربما مست الحاجة اليه في العام المقبل ، ربما احتجنا اليه في دراسة قدما لادبي في اطواره كلها في الحاهية وعصر الاسلام وفي زمن ي أمية وفي العباس وفي عصرنا هذا فقد مضى الى شيء من ذلك اذا درسنا هذا النقد وقلنا بين أطواره وبين أطوار النقد الحديث .

كل هذا لا حاجة بنا اليه اليوم على انه لا أجد لي بداً من ان اذكر لكم اربعة

(١) رأي الاستاذ برونيير في كتابه تطور الانواع في تاريخ الادب

نقطة قد استفاقت مذاهبهم في الادب الحديث وكان لها اثر فيه ، واريدهم فيلبار
وسانتبوف وتين وبروتير . فاذا اردنا ان نهم أوصاع الادب الحديث فلا مندوحة
لنا عن الاطلاع على مذاهب هؤلاء النقطة .

أما فيلمان Villemain ، (١٧٩٠ - ١٨٧٠) فهو مؤلف كتاب درس
الادب الفرنسي ، واستاذ البلاغة في السوربون ، وصاحب سر (الاكارمية)
وكتابه هذا كان فاتحة القدر الحديث فقد جعل فيلمان للمجالس الاجتماعية أثراً
في الادب فقال .

لم يحرج من المجالس الياية نوع حديث في الادب فقط او صفة خطايه
او بلاغة سياسية بدلا من البلاغة الدينية واما حرج مها شيء آخر ، هبت من
هذه المجالس صحة حياة ، حرج من هذه المجالس عصر حديث امتزج باجزاء
الادب كلها فدل منها وغير واعاد اليها شاسها .

وأما ، سانتبوف Sainte-Beuve ، (١٨٠٤ - ١٨٦٩) فقد حاول ان يطوي
من ظل العاطفة الشخصية في القدر على قدر الاكمل . فالناقد في طوره يجب عليه
ان يكون مزها عن كل غرض حتى يستطيع ان يكشف أسرار أرواح تختلف
عن روحه | يجب عليه ان يكون صاحب عقل مطلق لا يشغله غرض من اغراض
الفن والاخلاق والدين والسياسة .

فالقدر يلزمه ان يكون في حجة عن كل شيء ، على نحو حجة العلم .
لا يريد ، سانتبوف ، ان يكون القدر ناعاً لا فيسه محدودة فاذا كان قاعاً
لشيء من ذلك فكأنما يحاول ان يلزم الاشياء ان تكون ناعاً لمذاهبها والطبيعة ملوثة
بامور متنوعة وقوالب مخنفة فلا يلزم الناقد ان يكون حاصعاً لسلطان واحد ، وقد
اعترض على تيعه تين ، لما شاء هذا ان يطبق مذاهب العلم في العقل البشري
ويجعل للعبقرية الشخصية أساساً عامة . يقول سانتبوف ، يدعي للناقد ان
يتجرد من نفسه في القدر ، في شروط عبقرية لئلا يكون للناقد في وال لا
يكون له أسلوب فاذا كان للناقد شيء من ذلك صرف همه الى اثره الخاص فظاهر

استوفيه في خلال الاثر الادبي الذي يبقده .

فإذا احتاط الناقد في هذه الامور كلها وجب عليه يومئذ ان يبحث كل مؤلف من مرقده حتى يرى هيئته الخاصة على ان يعتني بكل الظروف التي أتى على ذكرها المؤلف في ترجمه ومن هنا يتبين لكم ان النقد أصبح كتابة عن تعمق في روح المؤلف . اراد سانتوف ان يدرس آثار الرجال على نحو درس علماء الطبيعة لنادج الاوراع المختلفة في عالمي الحيوان والنبات الا انه يرى ان اليوم الذي يستطيع فيه تصنيف الكتاب اصنافاً ، ان اليوم الذي نستطيع فيه وضع تاريخ طبيعي للعقول انما هو يوم بعيد ، على ان اندي بهم انما هو وصف الافراد على وجه الضبط .

واما تين Taine (١٨٢٨ — ١٨٩٣) فكل اثر من الآثار العسية في نظره يصدر عن صاحبه حتماً امة من العال الخارجية لان الرجل في الطبيعة يتبع القوانين عامة على نحو المخلوقات واليك قوله :

قد يمكن ان يعتبر الرجل حيواناً من نوع سام يضع فلسفة ويقول شعراً كما سح ديدان القز يونما وكما ندي الدحل خلاياها فاداً وجداً مستاناً ونحلاً فاساً يريد ان نعرف كيف يكون ساء الخلبة

من هنا يظهر لكم ان تين ، قد حاول ان يطابق بين العلم وبين نقد آثار العقل والاعاطفة وعلى هذا فقد أراد ان يجعل النقد تاريخاً طبعياً كبيراً تفسر فيه الآثار والقرائح والامرجة بحسب الحس ، البيئة والزمـن ، لقد ادخل تين عناصر جديدة في دراسة الآثار الادبية الا ان مدبه لا يحو من بعض المبالعات وقد أثر في الفلسفة وفن الرواية .

ثم جاء برونيتير Brunetière (١٨٤٩ — ١٩٠٧) فابسط مداهانه على العقول حيناً من الدهر ومذهبه في الادب مذهب النشوء والارتقاء قال :

انما تعلم ما استعاده التاريخ الطبيعي والتاريخ والفلسفة من هذا المذهب ، فليد ان احث عن هذا الامر : أولاً يستطيع التاريخ الادبي والنقد الادبي ان ينمعا بهذا المذهب ، اما مثل الانواع الادبية في ظره كمثل انواع الحيوان والنبات

فإن تولد فتعيش فتعوت أو تتحول وهو لا يؤمن بذهب التولد الذاتي في
الادب. والطريقة العمانية في القرن التاسع عشر لم تظهر وجدة وإنما قد هيئت
من القرن الثامن عشر.

هذه نظرة عامة في أطوار النقد الأدبي الحديث ليس فيها شيء من التطويل
والتفصيل وإنما عايتي اطلاعكم على الرعي من مبادئ هذه الأطوار حتى لا تكون
عربية عن أدهانكم وقد تيسر لكم من هذه النظرة كيف امتد سلطان العلم إلى آفاق
الادب فامتزج بالادب علم النفس والتاريخ الطبيعي وعلم التشريح وعلم
الفيزيولوجية ومذهب الشوهر والارتقاء ثم دخل النقد حدس روتير في طور آخر
وقل اعتناء النقد بالافيسة والمداهب وجعلوا همهم أن يقولوا الدنيا آثار التي
رسخت في هوسهم من قراءة كتاب من الكتب أو أن يهتموا هذه الكتب ويفسروها
لها

وحله القول الممد بحيط بالملاحة والاداب والفلسفة والتاريخ وما شابه
ذلك فلا يصح أن يكون النقد في حال من الاحوال ثرثرة وهديانا أو خلطاً
وتخيلاً

١٤ كانون الاول سنة ١٩٣٩

الأسلوب

مرحبكم وانا الحص لكم منهج ، ساندوف ، في النقد ان الناقد ينبغي له ان يتجرد من نفسه في نقده من شرائط عمقيرة النقد ان لا يكون للناقد في وان لا يكون له أسلوب فادا كان له شيء من ذلك صرف ناله الى العابة بالولوه بظهرت آثاره على الكلام الذي ينقده هذا الطراز من النقد اسمه ، النقد الموضوعي وصاحب هذا المذهب يقتصر على الافاضة في الموضوع نفسه دون التعرض لاشياء لا تتعلق بالموضوع فكأنه يحاول ان يسلح من عاطفته في نقده وقد اعترض على هذا المذهب ، انابول فرانس ، فقال : " "

والنقد انما هو سطر من الروايات على نحو الفلاسفة والداريخ تراوله العقول العظيمة الطلعة وكل روية اذا نحن فهمناها كل الفهم ان هي الا ترجمة المؤلف قلعه ، فالناقد الخائق هو الذي يوضح عن حراج منه في تصاعيف روائع المؤامات ، لا يوجد نقد موضوعي كما انه لا يوجد من موضوعي وكل الذين ينجحون بهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير روحهم وهم واهمون ، فالحقيقة ان المرء لا يخرج من اطله أبداً ، وهذا من اكرم شفاء البشرية ، انا قيد انفسا فكأننا في محس دائم ، والذي يليق بنا عمله انما هو الاعتراف بهذه الحالة القطيعة والافرار باننا مكلم بكلام على انفسا كل ما نغربنا عن السكوت ، فاد كان النقد حراً وحب عليه ان يقول : ساداتي ابي اريد ان اتكلم بكلام على نفسي في بناء كلامي على ، شكسبير ، او د راسين ، او د باسكال ، او د غيت ، فان في ذلك فرصة حسنة .

وهذا النوع من النقد اسمه ، النقد الذاتي ، وصاحب هذا المذهب لا يستطيع ان يتخلص من الاعراب عن لوايح صدره في حلال كلامه على مؤلف من المؤلفين .

(١) الحياة الادبية - الجزء الاول - الصفحة ٤

مالا ولهذا كله ، إنما يغني الكلام على الأسلوب من حيث هو أسلوب دون
الانفعال في التنقيب عن طبقات الأساليب والتدريج إلى محاسنها ومقاييسها إلى غير
ذلك مما يرجع إلى صناعة الترسل والأشياء .

من شرائط عقوبة النقد أن لا يكون لناقد أسلوب فما هو الأسلوب ؟
قرأت من ير من كتباً دوت فيه أحاديث ، أنا تول فرانس ، في مجامع ، قال
جامع هذه الأحاديث وهو من الذين كانوا يحضرون محاسن أنا تول ^(١)
طلبوا إلى أنا تول أن يقص عليهم قصة ، ريان ، مع راحة الدير في لبنان
فقال أنا تول .

اسمعوا الحديث من فم ريان نفسه ولست أعني هدياً به حسن القصص ولكنه
كان صاحب طريقة خاصة ، فكان يملأ أحاديثه شواهد وبتأوه باوهات
البر بوبين ويسم ويدبر أدهمه على بطة و بورم خديه الضاحمين في شاة الحديث
والخلاصة كان يطعم أحاديثه بطابع خاص

أحب أن استلط تعرف لأسلوب من هذا الكلام فالأسلوب هو الطابع
الخاص الذي يطعم به الكاتب كتابته ، والشاعر شعره ، والقاص قصته ، الأسلوب
هو الغالب الذي يصب فيه كل واحد ما فكره وعاطفته .

يقول ، بوفون Buffon : الأسلوب إنما هو الرجل نفسه ، ومعنى هذا أن
الأسلوب إنما هو فهم المؤلف وطبع عقله فالأسلوب على هذا الوجه إنما هو الشيء
الذي يملكه المؤلف ويحتص به في أي كتاب من الكتب ، لا يراد بهذا الكلام أن
الأسلوب صورة طبع المؤلف أو صورة اختلافه ، وإنما المراد به المصاح الذي يهجه
هذا المؤلف في الإفصاح عن فكره يخلق في ذهنه أو عاطفة تضطرب في قلبه ،
فهو جملة ما يتدرع به المؤلف من الدرائع إلى تصوير فكره ، تصوير عاطفته .

لنصرف مثلاً للأسلوب ، فلنرجع إلى أديب من أدباء العرب ، فلنرجع إلى شيع
أدبائنا في القديم وأعني به الجاحظ ، من أساليب الجاحظ أنه يلجأ إلى أحقر

موضوع وأي موضوع أحقر من الكلام على الخاح الدباب، فبمعز هذا الفكر في قالب ويطعه طابعه الخاص، وإذا هو موضوع يستوي النفس ويستميل القلب قد استخلص منه حكمة من أرواح الحكم، وأي حكمة أروع من عجز الإنسان عن اصعاف المخلوقات أي عن الدباب، فالجاحظ يعظم المعاني الحقيرة فتعظم، ويحقّر المعاني العظيمة فتحقر: من هذا النوع كلامه في كتاب الحيوان على الخاح الدباب على أحد فضاء البصرة في أيامه، عبد الله بن سوار، وصف الجاحظ وقار هذا القاضي بصورة في سطر فقال "": لم ير الناس حاكماً قط صلب من نفسه وملك من حركته مثل الدير ضبط وملك: ثم وصف جلوس هذا القاضي بصورة في صورة بناء مسي أو صخرة منصوبة فقال: بياقي مجلسه فيحتني ولا يتكنى، فلا يزال منتصباً لا يتحرك له تضو ولا يلتفت ولا يجر حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى تأتيه ماء مسي أو صخرة منصوبة، ثم أقام في غير ذلك من دقائق الصفات حتى إذا فرغ من وقار القاضي وجلوسه ومن الخاح الدباب عليه وحركة القاضي في أطباق جهنم على جهنم والمواالات بين الأطباق والفتح وقع في نفس كل واحد منا أنه يستطيع أن يقص هذه القصة بأسهل من هذا الكلام ولكنه إذا جمع ذهنه وفاتت طرء في الموضوع وعرض على ناله مفردات اللغة وتراكيبها واحد فله لم يكتب أتى عليه يومه كله ولم يقل شيئاً.

هذا هو الأسلوب وهذا هو معنى كلامي: الأسلوب ملك المؤلف لا يارعه فيه مازع، فافكر الذي يبه الجاحظ أما هو فكر عام يخطر على بال كل واحد منا ولكن المعرض الذي عرس به هذا الفكر أما هو معرض جاحظي لا يقلده فيه مقلد ولا يراحمه عليه من أحرم. قال صاحب كتاب ثقافة الأفكار الأستاذ ريمي دي غورمون Remy de gourmont

« المكتابة صناعة من الصاعات ولكن الأسلوب ليس من العلم في شيء فإذا قلنا الأسلوب هو الرجل نفسه أو إذا قلنا الأسلوب هو شيء مقدس نقولنا واحد، فالأسلوب

خاص صاحبه وكما ان لكل واحد ما صوتاً خاصاً به او لوناً خاصاً عنده فلكل واحد ما أسلوب خاص به ، انك تستطيع ان تتعلم صاعه الكتابة واليكك لا تستطيع ان تتعلم كيف يكون لك أسلوب من الممكن ان تنور أسلوبك على نحو خضتك اشعرك ولكك انك ان تستأنف هذا التلويح في كل صباح دون شيء من اللوم ، قد يتعلم المرء قليلا ان يكون له أسلوب الا انه يسي في حلال الحياة ما تعالاه ، فالرباه التي تحسن سائر المواهب تعمد في بعض الاحايين موهبة الاسلوب .

الكتابة على بحر ما يفهمها ، فلور ، او ، عوكرور ، اما هي ان تكون شيئاً وان لا تشبه غيرك ، فالخصول على أسلوب انما هو ان يكون لك في لغة عامة مشتركة لمحة خاصه بسيحة وحدها على ان تكون هذه اللهجة لغة كل الناس ولغة واحد من الناس في وقت معاً . .

ومن اصحاب هذا الرأي ، ان اتول فرانس ، فقد قال

، أي الرجال يستطيع ان يصر بانه فكر في امر لم يفكر فيه غيره ، فالاديب يعلم علم اليقين ان افكار ملك الناس باجمعهم ولا يفدر احد أن يقول هذا الفكر لي ، الاديب يعلم ان قيمة الفكر بالقال الذي يصرخ فيه هذا الفكر ، فافراع فكرة قديمة في قالب حديث هذا هو الفن كله وهذا ما يستطيع البشر ابداعه وإشاعه . ليس الفكر ملكاً لمن يدعه وانما هو ملك الذي يشته في أدهان الرجال . .

وقال في موضع آخر .

الفن لا يكون موضوعه الحقيقة فالحقيقة تلمس في العلوم لاها غرض هذه العلوم فلا تلمس في الادب لان الادب لا موضوع له الا الخيال ولا يمكن ان يكون له الا هذا الموضوع . .

هذه آراء كتاب الافرجة في الاسلوب فلندخل الى ناحية اقرب ما فطر الى ادبائنا انفسهم والى آرائهم في هذا المذهب ، قال اوهلان العسكري صاحب كتاب الصنائعير وكه به هذا من أع امكذب اني صحت تواعد افن والذوق :

ليس لاحد من اصناف القائلين من غير تناول المعاني من تقديمهم والصب على قول من سبقه ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظاً من عندهم ويرروها في معارض من تأليفهم ويرددوها في غير حليتها الاولى ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها فاداء فعلوا ذلك فيه احق بها من سبق اليها ولو لا ان القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته ان يقول ، وانما يطلق الطفل بعد استماعه من البالغين وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه : لو لا ان الكلام يعاد لتفقد وقال بعضهم : كل شيء ثمنه قصر الا الكلام فانك اذا ثبتته طال .

على ان المعاني مشتركة بين العقلاء فرسما وقع المسمى البحر بسوقه والسطي والريحي وانما به ضل الناس في الالفاظ ورصعها وتاليفها وعظمها وقد يقع للمناحر معنى سبقه اليه المتقدم من غير ان يلزمه ولكن كما وقع للاول ورفع الآخر . وقال ابن رشيق في العمدة نقلاً عن بعض العلماء :

ان المعاني موجودة في طبع الناس يسوي الحاصل فيها والحاذق ولكن العمل على جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف الا ترى لو ان رجلاً اراد في المدح تشبيه رجل لما أختار ان يشبهه في الجود بالبيت والحر ، وفي الاقدام بالاسد ، وفي المضاء بالسيف ، وفي العزم بالسيل ، وفي الحسن بالشمس ، فان لم يحسن تركيب هذه المعاني في احسن حلالها من اللفظ الجيد الجامع للرفة والجرالة والعذوبة والطلاوة والسهولة لم يكن للمعنى قدر ، وبعضهم مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فان لم تقابل الصورة الجسم ما يشاكلها ويلتق بها من اللباس فقد غشت حقها وتضائلت في عين مصورها .

من هذا يتبين لكم ان اكابر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمعوا على فضل الاسلوب فالاعتناء بالاسلوب قديم عهده في الامم فاليونانيون كانوا على هذا المذهب والرومانيون اولعوا بالولع كله بجمال الاسلوب حتى افراطوا في هذا الامر فادى بهم افراطهم الى التقصير في الكتابة الحسنة ، ان الاسلوب سلطاناً لا يقاوم

وما قيمة الكاتب الا أسلوبه ، يقول بعض الادباء ان أكثر فواجع شكسبير ،
لم تكن الا سلسلة استعارات طرست على آثار القصة الاولى التي جاءه ، انه لم
يبتزعع الا شعره وعباراته فالصور التي صورها حديثة وحداثتها هذه هي التي
بعثت روحاً في هوائجه انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن المحترق ثم
انظروا الى الذين طوامهم لم يمد لهم ظل ولم ينسج لهم في أبيعش البحر
وبموت شعراء وقته لو لا الاسلوب ، ان احتراع المعاني محدود ولو لم يكن
للمرء أسلوب يختلف به عن غيره لهد الكلام في العصر الاول من عصور الآداب
ولو كان مدار اللاعة على المعاني وحدها لكل الانس على رأي اني هلال العسكري
بليغاً لانه يفهم حاجته بل لزم ان يكون كل الناس بلغاء حتى الاطفال لان كل
واحد منهم لا يعلم ان يدل على عرصه ، معجته او لمكته او ايمانه او اشارته
ل لزم ان يكون السور بليغاً لانا استدلل مضاعته على كثير من ارادته .

هذا هو الرأي الذي اطلقوا عليه وما شدة بعض الناس ولا طمحوه فيه
الا لعجزهم عن ان يكون لهم أسلوب حسن ولا يقنع في خلد احدكم ان المراد
بالاسلوب مجرد الالفاظ فهذا طهر الاحالة لان الالفاظ تدل طبيعتها على معان
ولا ترون الفاضل من دون معان وبدون عيون لهم أنساب صحمة ولا تجدون
هم معاني صحمة هم أصحاب أسلوب احواف فارغ لا هم لم يحوكون الكلام على
حسب الاماني ولا حاطوا لالفاظ على حدود المدي

سحر العبقرية

احملت الكلام حتى اليوم على امور كانت على غير قصد مني شبه تمهيد لدراسة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب و ابي عذبة و ابي تمام ، وافق التمهيد مديده . قلنا اخشى اننا مصيت في هذه المقدمات ان نقصي سبنا ولم نحالس أحداً من شعرائنا الثلاثة ولا احطنا بشيء من وشي طابعهم وصورت قرائحهم فارى ان اجترى بهذا المقدار من التمهيد وان ادرس واياكم مد اليوم اول الشعراء الذين ذكرتهم واريد به انما الطيب المسي . مالي الدنيا وشاغل الناس دون العمق في دقائق الشعر وما يتعلق به منه ، فما هو الشعر ومن هم الشعراء ؟

الشعر ومعناه في اليونانية : الابداع ، انما هو في متعارف الاصطلاح الفن الذي يستخدم الالفاظ المباشرة في تصوير الخيال ، اي في تصوير افكار وعواطف لاصقة بما يباسها من الصور . العرص من العيون بمجامعها تصوير الخيال وقد علمتم ان تصوير الخيال انما هو الافصاح عن فكر من الافكار او عن عاطفة من العواطف على ان تكون هذه الافكار والعواطف قد كسبت ما يشاكلها من ضروب الناس ، والتأليف بين الافكار والعواطف ومن قولها انما هو من عمل الخيال اي خيال صاحب الفنون ، فاد حطر على مال واحد منه موضوع من الموضوعات وقع في حالة شبه شيء بالوحي يرفع فيها الى جو اعلى من جو العامة ويحقق في سماء امد من سمائمهم فيغترق الموضوع ذهبه وفي هذه الاثناء تنكشف الافكار له في شكلها الحسي فيزل الوحي عليه .

وعلى هذه الصورة . الفنون كلها متباينة وانما تختلف باختلاف الوسائل التي يتوصل بها اصحابها الى بيان اعراضهم ، فالمصور يسجاً الى الخطوط والالوان ، وصاحب الموسيقى يرجع الى الالحان والاصوات ، والشاعر يعتمد الى الالفاظ

قد ، اتناول فرأس ، في سحر الالفاظ قلق الشعراء ليدن ، فلا ترثواهم ان
الدين يعنون يعلمون كيف يحلمون حلة يضاء على سواد قسوطهم ، فلا سحر الا
سحر الالفاظ فالشعراء يتعززون كما يتعزى الاطفال وما عرازم الا الصور ،
فالشعر لا يتم بالاوران والقفية وانما يتطلب صوراً لانه بالصور وحدها
يستطيع ان يحلج على الافكار والعواطف لباساً محسوساً .

(متى يكون الشعر)

لا يكون الشعر الا اذا حملت الفاظ مناسفة وكانت هذه الالفاظ تنصم
صوراً تناسب المعاني التي تصورها ، فلا تردد الافكار والصور تناسباً ولا تردد
الالفاظ من جهة ثابة تناسباً ، سواء أكان هذا التناسق في الالفاظ نفسها ام كان
في الافكار وفي الالفاظ التي تمثلها ، لا ارداد الشعر كالا .

قد يكون الشعر في مدوحة عن الاوران طال ما ان الشاعر يستطيع ان ينسق
كلامه من دون وزن ، الا ان الاوران باقية لان الالفاظ الموزونة اشد تناسقاً
دع عنك ان هذه الاوزان حل لكل نوع من انواع الفكر والعاطفة لغة خاصة
فلكل جنس من احساس العروس مقام وادا امكن ان يكون شعر دون أبيات
موزونة ولا اقول دون سابق او اذا امكن ان تكون ابيات موزونة دون
شعر فلا بد انما في كل حال من اعتبار الاوران قال ، شبیه Chaignet ، في كتابه
علم الخيال " ليت من الشعر ما هو الا لباس ولكنه لباس طبيعي لطيف
باسمه المكرة لشعرية ، ليت من الشعر جناح يعين هذه الفكرة على الارتفاع
من الارض ويحول دون تطلح ردها القشيب بالوحل ، ليت من الشعر انما هو
المثل الاعلى للكلام .

وقال ابن رشيق في العمدة .

، فاذا احده — اي اذا اخذ الشعر — ساك الورس وعقد القافية تألفت
أشأنه وازدوجت فرائده وبيانه واتخذ اللباس جمالا والمدخر مالا فصار قرطه

الاذان وقلائد الاعناق وامامي القموس واكاليال الرؤوس ، بقاب بالاس ويحيا في
القلوب مصونا باللب ممنوعا من السرقة والغصب .

(ماهو ارتباط الشعر بالموسيقى)

العناء الذي يريد في تاسق الكلام يريد ايضا في كمال الشعر وقد كان الشعر
والموسيقى في هذه الجماعات متحدتين فكان كل شاعر صاحب موسيقى على ان اتحاد
الموسيقى والشعر لا يجمع الشعر الا اذا كانت الحال الموسيقي نصاحب في الشعر
الالفاظ وحدها ، اما اذا حالت الموسيقى دون فهم الشعر اضع الشعر ، ولم
يزاول الناس الموسيقى في الاصل للموسيقى دوا ولهم حادثة نشء وهذا لم
تتكامل اعالي الامم في مدنها بكمال الموسيقى في عصرنا هذا .

وهذا لا بد من تلخيص هذا الامر الموسيقي من يختلف عن من الشعر وان
كلنا يستخدمان الالحان في تصور نحن ، الا ان الموسيقي تستخدم الالحان
للالحان ذاتها فلهذا العاطفة موصولة ، لالحان ، فكل من عرفت الموسيقى في تاسق
الالحان وتحدثت من الفكرة الى تصور لها العاطفة هذه الالحان كانت الموسيقى
مكاملة ، اما الشعر فانه على خلاف هذا الامر فهو يعنى نحن بمنزلة علامة لنقل
الفكرة والصورة فاللحن ليس مرص الشعر الحقيقي وانما حقيقة عرس شعر
الفكرة المحسوسة التي يمثلها اللحن للذهن .

للاصاح عن الفكرة والدعاء منه آخر من الكلام وهو الشر ، فالشعر
يختلف عن الشر من وجهين من حيث المعنى ومن حيث المعنى .

اما من حيث المعنى فامطوره من الكلام عرصه تصوير الجمال أي جمل
الافكار محسوسة فهو بصور الحال للحال منه ولا يكون عاينه الا الذلة ولكن
الشر قد يكون من دون ان يحدوا فيه صيغة محسوسة للافكار ، واذا عني
الكتاب في بعض الاحيان ، الحال فما هو الا ليحصلوا على منفعة ما ، فهم
يستبدون من سحر افعال ما يمكنهم من التهديد والافاع وما شابه ذلك .

الشعر لا يعرض علي افكار المحردة كما يفعل الشر ولكنه يعرض علينا

حقائق هذه الافكار المحسوسة حتى تكاد يدرك الافكار ذاتها وطواهر صيغها ،
كل هذا في شكل مرصوص كأنه ساء مني لا حبل فيه فاذا قلنا الربيع فاما نفهم
الذي يراد بكلمة الربيع ولكننا لا نتصور شيئاً في أذهاننا واما اذا سمعنا
البحقري يقول :

أناك الربيع الطلق بحال صاحكاً من الحس حتى كاد ان يتكلم
ادركنا الفكرة عسا اي فكرة الربيع ولكن سحر العبقرية قد بعث في
هذه الفكرة حياة حتى كأننا نحضر شخص باسم الثغر ضاحك الوجه قد
همّ بالكلام .

فالشعر عرصه ان يعرض الفكر في ممرص طاهر فهو يتجاذى التجريدات
ومصطلحات العم واستدلالات الفلسفة التي هي من حصائص الشرفي تحمل
الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة . قال : انا تول فرانس ،
• بحق للعلم ان يطلب اليها ان يجتهد ذهناً ويبدع فكراً ولكن الفن ليس
له هذا الحق ، شأن الفن ان يلدك ويسرك ليس له غير هذا الشأن ، ولكنهم في
هذا المصير قد حلقوا وحسوا فاحسوا ان يطبقوا في سائح الادب ما طلق من
الطرائق في العلم على ان بين اشودة من الاشيد وبين الهندسة الوصفية بواً
عظيماً فالشعر غير الهندسة وما يسمى لملاذ الفن ان تكون منعة للدهر .

ولست ادري الى اي غرض رمى ابن رشيق في كلامه لما قال
• والشعر ما حود بكل علم مطلوب بكل مكرمة لا يساع الشعر واحتاله كل
ما حمل من نحو ولغة وفقه وحساب وفريضة .
اما ان يكون الشاعر مثقفاً فهذا لا بد منه ، واما ان يحمل الشعر ما تحمله
اراء من فقه وفريضة وحساب فهذا مالا قدرة له عليه ، فالشعر شيء والجمع
والطرح شيء آخر .

قلت : الشعر يختلف عن الشر من حيث المعنى وهو يختلف عنه من حيث
المنى فلكل فكر من الافكار صورة تناسبه من الكلام والفكرة الشعرية تختلف

عن الفكرة الشرية هو حب ان يكون اكل من الشعر والنثر لغة حاصة قال ابن رشيق :
« وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر ان يمدوها ولا
ان يستعمل غيرها كما ان الكتاب اصطالحوا على اللفاظ باعيانها سموها : الالفاظ
الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها . »

والشعراء هم اساتذ اللغة ان لهم ألفاظاً أشرف من اللفاظ الكتابية فهم
يستعملون كلاماً اندر واقدم ويولنون اللفاظاً وتراكيب كقولهم امرئ القيس
لهذا التركيب بعيدة موى القرط ، وكقولهم غيره من الشعراء .

هذا موحى القول في الشعر وما اطل اي بلغت العاية في الكلام عليه فان في
الشعر شيئاً غير ناسق الالفاظ وغير ناسق المعاني والصور ، ان في الشعر سرّاً
روحانياً يدركه الذي يراوله وقد لا يدركه غير الذي يراوله وهذا السر الروحاني
هو الذي يجعل الشعر شعراً يهر الفوس ويحرك الطامع ، ما اجل قول صحر
العبد لمعاوية وقد قال له معاوية .

ما هذا الكلام الذي يظهر منك ، فقال صحر : شيء يحيش به صدورنا فتقدمه
على السمتنا ، نعم الشعر شيء ، والشعر كل شيء ، ولكن ما هو هذا الشيء . ان
هو الا وحي يوحى ، فما الاوران وما القوافي وما التنسيق ، ان في الشعر شيئاً
لا تنه صناعة وانما تنه الطبيعة وحدها ، تاهمه الهاماً فيقطع على خاطر صاحبه
فيقدمه على لسانه فمن كان الشعر غير مناسب لطبيعته وغير ملائم لقريحته فليسمع
ما قاله له ابن عبد ربه .

« فلا تمض مطيتك في التماسه ولا تنصب نفسك الى استعانة باستعارتك اللفاظ
الاسم وكلامهم ، فان ذلك غير مشعر لك ولا مجد عليك ما لم تكن الصناعة
بمراجعة لذهبك وملتحة بطمك ، واعلم ان من كان مرجعه اغتصاب نظم من
تقدمه واستضاءته بكونك من سقته وسحب ذيل حجة غيره ولم تكن معه أداة
تولد له من سات دهنه وتناج فكره الكلام المحرم والمعنى الجزل لم يكن من
الصناعة في غير ولا غير . »

من هذا كله تستخلصون ان الشعر قد ركب في الصنع وامتزج بالنفس
فالمطالع هو المائل لا كبر في الشعر واممري كيف يكون الشاعر رديماً اذا قدت
طعمه من الصخر ، و تحت قله من الحجر ، أم كيف يكون صريفاً اذا شأ على
الغفلة والمحافظة وطبع على فتور الدهن وحمود النفس ، فالداس كلهم يستطيعون
ان يتكلموا الشعر وما كل شعر يقولونه حاله سي وحده لدهر فدا لم يكن الشعر
ابن الوحي والالهام ذهب جفاء ولم يمكث في الارض .

هذا هو الشعر ، هذا هو سحره القوية . فمن هم الشعراء . من هم هؤلاء السحرة .
فدا اردتم ان تعرفوا من هم الشعراء فستمعوا ما قلناه فكمور هو عو ،
من الخطأ لا بل من الحجة . يحظر ال لاديب ان يحق له ان يكون
معمل عن مصالحه وورعائه . وان مدل فـ يحته عن التأثير في اهل عصره
واساء زمانه و ان يرد عيانه فلا يكون له عمل في اقبال الاحياء . من لدي
يخص اليه في هذه الاعمال بخلاف سير اشياء في صوت ما في العواصف
غير صوته . ام اي وتر استطاع ان يحذف من شدة العواصف غير وتر فيشارته . من
الذي يقتحم العواصف يذهب صفاً بها ويهجم على الاستدار ويدرج مكارمه وهدية
كان الشاعر صاحب الامر الذي في الجمع بين الشعوب و ملوك وحديثه له الامر
في التعريق بينهم .

فدا عنتم مكانه الشعراء في المجتمع امثري . ركنتم معنى احتدال فائز العرب
في القديم بشعرائهم . قال ابن رشيقي .

كانت القبيلة من عرب اداسع فيها شاعر أنت لفائل فيها وصيحت
الاطعمة واجتمع الناس بلبعض المراهير كما يصعدون في لاعراس . وتناشر الرجال
والوئدان لانه حماية لاعراسهم وحب عن احبهم . وتحيده هـ ثرهم واشادته بذكرهم
وظاوا لا يهتوب لا يلام يربوا شعر . وعـ وـ من مدح . فمن سمى
قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق هم سعاد عند القيس فبلغ ذلك زياد وهو منهم
فبعث اليه . لاجعل والامهد بك هدية فليطر الفرزدق الهدية فجاءه من مددة .

فترك الملاحون لي ان هجوته مصحاً أراه في أديم الفرزدق
ولا تركوا عظامي ترى تحت نحيه ~~احكاسره~~ انقوه للمتفرق
ساكس ما أقواله من عظامه وأنكت في الساق منه وأسقي
فما وما تهدي لـ ان هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر نمرق
فلما بلغت الايات كف عما اراد وقال .

لا سبيل الى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العدد فيهم .

وكيف لا تحتفل العرب بشعرنا وهم الذين صورون الحق في صورة الباطل
ويصبون الباطل في قالب الحق فداقوا أنجحت قلوبهم في القلوب ، قال الماور
فرانس : " .

الشاعر ملك ، الشاعر أكثر من ملك ، به فوق أفق الشعر . يزل عليه إله
الشعر هندوء الفكر ومسرات لعل ، انه يكشف عوام حديثه عن شيء ، كقولهم :
دون ان يرل مركزه ويهتج الالاد على نحو ، شارلمان ، من غير ان تحرك
من مكانه .

انه يجمع هوائج القوس فسمت حاة كل واحد من الشعر . يشعر بهرح
كل من يهرح ويحس بأن كل من يأنه في هذا العالم
اي سلطان في يديه انه يجمع الالفاظ ، تلك الالفاظ الناضجة التي تملأ العالم ،
اشاعر يحكم على الاحياء وعلى الاموات

نظرو الى الملك ، مكنت ، دل اسفهاء المؤرخين على انه لم يقتل احداً وعنى
ان زوجته كانت امرأه صالحة فلم تكن على ديني ، مكنت ، لطفة دم ولكن من
لدي يؤمن بعد ليوم ، صلاح الروح من اعاذهين أرا . شكسبير ان يصور لماك
، مكنت ، في صورة محرم فصيح فطرح يد زوجته لصحة حمراء فطر الناس بعد
تصويره شكسبير ، الى الملك ، مكنت ، والى زوجته فلم يروا في ، مكنت ، الا
رجلاً غافلاً غامضاً ولم يروا في زوجته الا انامل غميسة في الجمع فلا يستطيع

أحد أن يتصفهما بعد كلام شكسبير ، وإن يطر في مطلبتهما مرة ثانية فقد نطق
الشاعر وإذا الشاعر نطق فلا تسمع العصور غير صوته ..

ما أعظم سلطان الشاعر . ما أعظم كلامه . من كلام الأزدي على سيف الدولة
إن كان جائراً على رعيته ، ومن كلام قاضي سيف الدولة أبي الحضير كل من
هلك فليسبف الدولة ما ترك ، ولما قتل هذا القاضي في إحدى المعارك دأبه سيف
الدولة بحصانه وقال لا رصي الله عليك فإني كنت تنفح لي أبواب الظلم ، وذكر
بعض المؤرخين أن بني حمدان أكلوا على أبناء عمهم بني حبيب بنصوف الجور حتى
مرق بنو حبيب من ديبهم والنحوق بالروم . كل هذا سي مدي ، ذهب جور
سيف الدولة إن كان جائراً وذهب ظلمه إن كان ظالماً ولم يبق في أدهال بعض
الناس من سيف الدولة إلا الصورة التي صورها أبو الطيب المتوسي في شعره .
ستكر الأيام وتمر العصور وسيف الدولة

تشرق عذاب به لا ربيعة ودمح الدباب به لا العواصم

هؤلاء هم الشعراء . —

دخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت قال . ابن هرم
ابن سنان قال : صاحب رهير ، قال هم قال أما إن كان يقول فيكم فيحسن قال :
كذلك عطية وحمل قال ذهب ما أعطينوه ونبي ما أعطاكم

وما أريد بعد هذه الحامه أن أقول شيئاً بالشعراء هم الذين إذا سطوا بقيت

عطاياهم على شباب الأيام وعلى هرمها

٢٨ كانون أول سنة ١٩٢٩

(١) لا يراد بهذا الكلام أن حكم التاريخ على مكبت ، أو على سيف الدولة قد

ظل دفعة واحدة وإنما يراد به تصوير تأثير الشعراء وملح هذا التأثير .

المستقبل

١

اول عهدي به — دراستنا في الماضي والحاضر

كتب التراجم

أرجع بالخاطر الى الماضي ، ويدي وبين هذا الماضي سبع عشرة سنة ، وماهي هذه البرهة قياساً بالزمان الذي لا يهتدي الى اوائله ، ولا يتصل باواخره ، ماهو العمر كله سواء اطال هذا العمر ام قصر ، وسواء أسمت جناته ام عسيت ؛ ما هو عمر الانسان الى جنب اعمار العوالم في الطبيعة والى جنب اعمار طبقات الارض ما لنا ولهذا المعجب ، فاننا اذا امعنا في اشياء هذه المسائل غرقنا في حضم الزمان ، وتبين لنا اننا لم نك شيئاً في العالم ، ارجع بالخاطر الى الماضي ؛ وقد كان الشاب شديد الغصن ، أملد العود وكان البان هادئاً والمكر ساكناً لم يشغله شيء من شواغل الحياه وما اكثر شواغلها ، اللهم الا انصرافه الى الادب ونمته آثاره الخالدة ولكن هل كنا همهم هذه الآثار ، هل كانوا يفهمونها اياها ، هل كان يحسن فهمها وتفهمهم ؟ كنت ورفيق لي اذا اغتمنا حصة من زحمة مدرستنا نتردد الى مكتبة مطمئنة مستقرة ليس فيها شيء من العطمة وانما عظمتها في حقارة شأنها ، كنا ننتاب هذه المكتبة في حي ريفي أي في حي البصاري فما كنا نحالس من الشعراء الا شيخنا اما الطيب ولا كنا نحادث من الكتاب الا استاذنا عبد الله بن المقفع .

اني لا ازال اذكر الايات التي كنا نرددناها ونستعظمها ونحن لا نعرف

المر في عظمتها، ومن هذه الايات. وهي كريمة علي. لاها رقيقة الصورة
وشقيقة الروح

وانا لتلقى الحادثات بانفس كثير الزوايا عندهم قليل
يهون علينا ان تصاب جسمنا وتلم اعاض لنا وعقول
ومها.

واحتال الاذى ورؤية جايه عدا. تصرى به الاجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش احب منه الخمام
من بين يسهل الهوان عليه ما لخرح سميت ابلاد
ومنها في استعطاف سيف لدولة
ان كان سركم ما قال جاسدا في لخرح اد. ارضاكم ألم
ومها في رثاء حدثه

انما كتاني بعد ياس وترحة فانت سرورا بي فت بها عما
حرام على قاسي السرور قاسي اعد الذي مات به ماها سما

بعم هذه طائفة من الشعر الذي كما يحدث به انا ورويتي من دون ان يخصص
في شيء من الكلام على واطل هذا الشعر او تصدى لكشف الغطاء عن اسراره
واما كان يسجرا بظاهرة فيشملنا حال هذا الطاهر عن لطر في جمال الباطل
فكما يحل المدني و يحل طبيعة عنقرته وانما صكا تنمي شعره حتى افترقا
وطرحني القوي مطرحهم واذا انا في شارع من شوارع الاسكندرية واذا انا
في دكار وراق من الوراق فاحدت عيني ديوان ابي الطيب الذي شرحه الشيخ
البارجي فاشتريت هذا الديوان وحفظت منه ما تيسر لي حفظه وقد ذهب المحفوظ
الاقله والالم اردد معرفة المدي وبخاتمة حاله وشعره وانما زدت عبادة له
هذا اول عهدي شيخنا ابي الطيب وما قدمت من الكلام عدا ولا رجعت
الى الماضي عرضاً فلم اعود ان اقلق عيري واصجره بكلامي على نفسي وانما
المره لا يكون امياً كل الامين الا اذا جرى على لسانه ما تصوره فكره. هذ

ما قاله . اتناول فرانس . لم اعرض الماصي عليكم عبثاً وإنما اردت أن اصف لكم طوراً من اطوارنا في فهم الادب . اردت ان اصور لكم كيف كانت دراستنا للادب من سبع عشرة سنة . كما لا يدري شيء من حياة الشاعر وحملته اخلاقه وطائفة وحملته عنقريته ، حسبنا ان نستظهر بعض اشعاره وروى هذا المستظهر في مجالسنا حتى يطعمنا الادب بطوابعه ويصننا في قواله . اما اليوم فلا يكفيننا ان نملأ اذهاننا ببعض ابيات يجمع بها في محفل الادب . تلك حالة قد خلت ، ليس صاحبها في شيء من الادب / قرأنا المتنبي فلم نعرف عنه كل شيء . نهضنا معرفته ، لم نعرف أين ولد وأين نشأ وكيف حصل وقراً ، وما هي اخياره من مبادئها الى خواتيمها ، كيف جال في الاقطار وكيف اتصل بسيف الدولة ثم انفصل عنه وكيف قصد كاهوراً ثم تركه ، وكيف عاد الى بغداد ثم خرج منها ، وكيف رحل الى بلاد فارس ثم عاودها فقتل في طريقه الى وطبه الكوفة ، قرأنا المتنبي فلم نخط شيء من سلسلة اخباره . فلم يتبين لنا طراز حياته المتنبي وما قصد . ان نعرف انه اتصل بفلان او فلان من الوزراء والامراء ، وإنما إذا عرفنا حيلة اخباره استخلصنا منها بمط حياته فتبين لنا ان هذه الحياة كانت حياشة بالحوادث والعرض . فتأصفت بالقلق والاضطراب بكاد صاحبها لم يعرف الهدوء في يوم من ايامه . ولم يذق الطمأنينة في ساعة من ساعاته . اعصاب هائجة مانحة اذا حركوا منها طرفاً انتفضت ولا انتعاض البرق فويل للذي مسها سوء .

هكذا قرأنا المتنبي ، اما اليوم فاني احاول ان ادرسه واباكم على صورة أتم . ووجه اكمل ، احاول اليوم ان اقرأ شعره وان ادون في دفتر ي ما توجه اليه هذه القراءة ، وان احدثكم في كل اسوع عما بقي في نفسي من آثارها على مختلف صعات هذه الآثار . وعلى ما به لا بد لنا من ان ننقل الى وطن شيخنا ابي الطيب وراقبه في اطوار حياته بمجاهمها وبصحبته في اسفاره كلها في جولاته في الشام وفي اتصاله بسيف الدولة ، وفي دخوله مصر وخروجه منها . وفي رجوعه الى العراق وفي شخوصه من العراق الى فارس وفي مغادرته بلاد فارس وعودته الى

وطنه وفي مقتله على طريقه الى الزكوة الا بد لنا من أن نصحب شيخنا ابا
الطيب من مبدأ مشأه الى حانته حياته وأن يعنى جميع ما حدث له من الحوادث
في مجالسه كلها وما أكثر هذه الحوادث . وان نستطع معها صراز حياته وما ملئت
به هذه الحياة من قلق واضطراب وما تقلت فيه من علو وهبوط . لا بد لنا بعد
الوقوف على دقائق هذه الحياة من معرفة مراجع وحجته مستدين في هذه المعرفة
الى آثار عبقريته نفسها الا بد لنا من الطر في آثار عصره في شعره وآثار شعره
في عصره ، ما ادبي اوحاه اليه عصره وما الذي اوحاه الى عصره . لا بد لنا من
الطر في عبقريته وفي خصائصها راجعين في الاطاعة بهذه الخصائص الى مصادر شعره ،
وحمله القول لا بد لنا من ان يعيش مع المتنبي حتى يعرف من هو المتنبي ، وقد
يجوز ان يعرض لي في أثناء هذا كله فكر عام بحره فكر خاص ، لان المرء اذا تصور
موضوعاً أو هيأ له عناصره ثم أحدها ليكتب هم على ذهنه شي ما كان يتصوره ، كان قلم ان
المفتع كثيراً ما يقف . فقبله في ذلك ، فقال تر دحم الافكار في صدري وقص له لم لتجيره .
أول ما بهما علمه الاطاعة بحياة المتنبي من أولها الى آخرها ، والوقوف
على اجباره وحوادثه من دون ان يكون هذه الاحار مقتضة معثرة فاذا وقع
الاقتضاب في الاحار فانتها صورة صاحبها المتكاملة ، فاذا كنا نبحث عن حياة
المتنبي وتعرضنا في حلال بحثنا للكلام على شعره دون ان يكون لهذا الكلام ارباط
بحياة صاحبه شاعت صورة هذه الحياة وقبحت فالاجدر به ان ترسل اخبار
الحياة دفعة واحدة . وقد غني الافرقة هذا النمط من الترتيب العناية كلها ، اذكر
اني قرأت كتاباً عمله . انا تول فرانس . سماه المقربة اللاتينية ، وصف فيه طائفة
من كبار شعراء فراسة وكتابتها ومن حملة هؤلاء الشعراء . راسين Racine . وكاد
راسين يكون أكبر شعراء فراسة ، عقده انا تول فصلا في كتابه يشتمل على
خمس وثلاثين صفحة لم يذكر فيها الا حياة راسين من صدورها الى انجازها وقليل
ما كان يتعرض للكلام على عبقريته في تضاعيف كلامه على حياته الا ما اقتضاه
المقام . من هذا يتبين لكم مبلغ اخبار الكاتب او الشاعر في الادب الحديث لان

لهذه الاخبار تعلقاً بروح الشاعر وباحلاقه وبطائعه وبعقريته نفسها
 رجعت الى المصادر التي استطيع ان اهتدي بها الى معرفة حياة المتنبي ومن
 حلة هذه المصادر : ابن خلكان ، طبقات الادباء ، نبتة الدهر ، الصبح المبني .
 تصمحت كتاب ابن خلكان بدلاً من ان يبدأ بالكلام على مولد المتنبي ثم على اهله
 ثم على تحصيلة ثم على اخباره ثم على شعره . بدأ بالكلام على تحصيلة ثم انتقل الى
 الكلام على شعره وشره ثم ذكر بطر الناس فيه ثم رجع الى اخباره ثم بين مولده
 ثم ذكر سبه حتى ركب البحث بعضه مضاً دون شيء من الترتيب وكذلك صاحب
 الصبح المبني فانه عوصاً عن ان يروي لنا اخبار المتنبي دفعة واحدة رواها على
 صورة مفردة مددة وله ايروي لنا اخبار المتنبي عند سيف الدولة اذ يقلب
 بنا فجأة الى اخباره عداس العميد بحيث قضيت ثلاث ساعات ونصف ساعة
 في التدقيق والتدريج حتى اجمع اخبار ابي الطيب حكما . وأصل بعضها
 بعض من بدء حياته الى يوم مقله . فهو ذكر صاحب الصبح المبني الاخبار دفعة
 واحدة من دون ان يتحالفها شيء من نقد الشعر او غيره مما لا محل له في وصل
 الاحبار لكفى القارى كثير من العناء . ادنا في القديم لا يزال موصى بقصه
 كثير من الترتيب ، وهذه حقيقة واضحة حتى ان هذه الفوضى قد حملت بعض
 الدس على ان يعتقدوا اما لا أدب لنا في القديم ، او ان هذا الادب لا قيمة له .
 وما اعتقدوا هذا الاعتقاد الا لمة الترتيب في ادبا طو روى المؤلفون اخبار شاعر
 من الشعراء على حدة حتى يستخلص من هذه الاحار طراز حياته باجمعه . ولو
 قدوا شعر هذا الشاعر على حدة حتى سنبط من هذا النقد رأيهم في الشعر دون ان
 يتحالف الاخبار شيء من النقد . او ان يتحسن لنقد شيء من الاحار مما لا يتعلق
 بالنقد . لو فعل المؤلفون هذا كله لكل ادبا في شكل اتم فاذا قلنا ادنا في القديم
 فوضى فما في مقالنا شيء من المبالغة وما اطل ان ادنا في الحديث احسن ترتيباً
 ومن المؤلف ان يدعوا استاذ روسي في المجمع العلمي في لينيفرد وهو الاستاذ اغناطيوس
 كراتشكوفسكي ، ادباء العرب الى تنظيم ادبهم في هذا المصير قبل ان يفكر احد

من هؤلاء الادباء في التنظيم . فقد كتب هذا الاساذ مقالة بالعربية سماها : درس
الاداب العربية الحديثة — مناهجه ومقاصده في الحاضر — نظر واقتراح وارسل
مقاله الى مجلة المجمع العلمي في دمشق ، وستظهر هذه المقالة قريبا في مجلة المجمع
وقد قرأتها كلها فان صاحبها دلتنا على ما يجب علينا ان سهجه من المناهج في ترتيب
الحديث واقتراح ان يكون دخول بايليون مصر فاتحة عصر هذا الادب ؟

١١ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

(١) نشرت هذه المقالة في الجزء الاول من المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي

وطن المتنبى

خذ العنبرا

٢

«موقع الكوفة أوتيتم وصفه»

انتقل بكم في غسق ليلا هذه من البلد الذي رمى ظله عليه حبار بني أمية الى
البلد الذي أوفت طلاله به حبار بني العباس ، انتقل بكم من دهشوق الى بغداد :
محضتك يا بغداد ودي على النوى والى ان أحضر ودادي أصدق
فما بردى لو لا الفرات بعدورد لطمان ان يشرب من الماء يشرق
ولا دجلة لو لا مناهل جاق مجرى برود كالرحيق مصفى
انتقل بكم من شواطئ بردى الذي تكاد سمع بجواه وراءه فاعه مدرستنا الى
شواطئ الرافدين : دجلة والفرات ، تصوروا الامم التي طويتها هذه الالهر الثلاثة .
صوروا العقريات التي بنت على صفاف هذا الماء السادر في علوانه ، الخام
في جيلانه ، الذي ما املك بسحر في ماضيه حاصره وآنيه من كل حبار عبيد مال
ولهذه الذكريات الالهية ، استغفر الله وهن لأمم لا سلاسل ذكريات . هل كان
الحاضر الا ان الماضي ، هل كان الآتي الا سجة المحاصر ، انتقل بكم من مزار
العصاة الذين نادهم حسان في الزمان لاول بحلق ، من مازل اناء جصة على
بردى الى مزار العمان على الفرات ، من منزهات العوطة جنة الدنيا الى سرهت
الخورق والسدير

اني لأجوز هذه المواضع كلها دون ان أقف بكم على موضع منها ما خلا

موضعا طلع على الدنيا والناس من عشرة قرون ونيف رجل ملأ الدنيا وشغل
الناس ، وقبح بها انفاق شيخا انا الطيب في صحبته ونعته من مرقده من غير
ان يطوف بالوطن الذي است امثال ابي الطيب . ولا مثل له ، ويعرف شيئا من
خصائص هذا الوطن . والمأمن ارضه وسنائه ودهنه وهوائه يأخذ من ترابه ويطعمها
و ياحه ويأحها ، يؤثر فيه كل ناحية من نواحي هذه التربة فلا يملص من عوامل
طبيعتها ولا يسلخ من عوامل السياسة ولا اجتماع والتاريخ في آفاقها لم على ان يعصم
لم يجعل للمثلة اقام الاول في شوء العقريات قال الاستاذ بروبير :
لا تنسوا ان المرء وان كانت ينشئ توثيقه فهو يستطاع ان يتملص من
آثارها وانه يستطاع ان يبرتها في صلح له وقد أجمع علماء الطبيعة على هذا الامر
لا شك انهم لا يكررون آثار اليتيم والكمه بعيدون عن ان يعملوا لها حتى في
علم الحيوان المحل الذي جعله هاءين في مذهبه . . .
وسواء أتركت الكوفة في شعراي الطيب أثرأ من آثارها ام لم تترك .
وسواء أكان هذا الاثر عامضا ام كان واضحاً لا بد لنا من السياحة في الكوفة .
اين هو هذا الوطن على التحقق ، نقرأ ان المذني ولد في الكوفة في محله يقال
ها كدة ، ولكننا قليلا ما نهم بمعرفة موقع الكوفة وقليلا ما نالي بمعرفة طبيعتها
ولا نسال هل تعني المذني بوطه ، هل عقي وطه ، وحسبنا ان علم اب الكوفة
مدينة من مدن العراق ، فان باقوت في معجمه الكوفة بالصم المصر
المشهور بارسي بال من سواد العراق لا شك في ان هذا التعريف
العام لا ير ل مبهماً ، فهو لم يردنا علماً بموقع الكوفة ، فلم يبين باقوت اين
الكوفة من بغداد واين هي من دجلة او الفرات حتى انه أورد ابياتاً في
هواء اهل الكوفة من حملتها بيت من الشعر أنتحاشي عن ذكره في مثل هذا
المقام يدل هذا البيت على ان الكوفة قرية من دجلة وهذا خطأ لم ينبه
عليه باقوت .

مصر عمر المصرية على طريح فارس ، ومصر الكوفة على جرة الرهبة (١) فإن
 الرهبة ، يقول لنا الفيروز آبادي في قاموسه المحض . ورهبة كخبة عين بين
 الشام والكوفة وهذا التعريف لا يقل عموصاً عن تعريف ياقوت للكوفة ،
 وردت الرهبة في شعر المتنبى معرفة بال . لما خرج أبو الطيب من مصر ورجع
 إلى الكوفة وصف مازل طريقه فقال في حلة ما قال :

فيا لك ليلاً على أعكش أحمّ اللادخي الصّور
 وردنا الرهبة في حوزة وباقه أكثر مما مضى
 فلما انحأ ركزنا الرماح بين معكروما والعلی

من هنا يستدل على أن الكوفة قريبة من الرهبة لأن الرهبة آخر ما ذكر
 المتنبى في قصيدته من المواضع ، وقد ذكر عشرين موضعاً بعد أن ورد الرهبة
 قال : ركزنا الرماح أي بلغنا الكوفة

فالكوفة على التحقاق واقعة على الجانب الجنوبي من بغداد ، في الجانب الغربي
 من العرات ، وبينها وبين بغداد مائة وأربعون كيلومتراً ، وصفاً عراقياً لي فقال :
 فيها سنانين ولا تزال أنار مسجدها لقدم قائم

ولأن طولت الكلام على موقع الكوفة فقد تعمدت هذا التطويل لتعرفوا قلة
 التوضيح وقلة التحقيق في كثير من كتبنا

فامعنى الكوفة وسماها قوم جد العداً أو سماها عدة من الطيب . كوفة الجند فقال
 ابن التي وصفت بين مهاجرة كوفة الجند فدعالت بها عول

قال ياقوت في معجمه :

قال أبو بكر محمد بن القاسم : سميت الكوفة لاستدارتها ، اخذ من قول

(١) قال ياقوت في معجمه : الرهبة عين بعد خفة إذا اردت الشام من

الكوفة وبينها وبين خفة ثلاثة أميال وبعدها القطيفة معركاً

وعلى هذا الا يكون تعريف الأستاذ دي فرجر ، صحيحاً كل الصحيح فقد

يحوز أن تكون الكوفة قريبة من الرهبة ولكنها لم تكن على الرهبة نفسها

العرب رأيت كوفانا : وكوفانا بضم الكاف ومنحها الهمزة المسدرة ، وقيل
سميت الكوفة كذلك لاجتماع الناس من قومه تكاتف الرمل دارك ، معناه عصاً ، ويقال
أحدثت الكوفة من الكوفان . هو في كوفان أي في بلاد وشر ، وقيل : سميت كوفة
لانها قطعة من البلاد من قول العرب قد أعطيت فلان كيفة أي قطعة من
كفت اكيف كيفة اذا قطعت فالكوفة قطعة من هذا . اعلنت الياء فيها واوا
لسكوها واصنام ما قبلها . وقال طرب : قال العموم في كوفان أي في أمر يجمعهم
قل ابو القاسم قد ذهب جماعة الى انها سميت كوفة لموضعها من الارض وذلك
ان كل رملة يحيط بها حصاه تسمى كوفه . وقال آخرون . سميت كوفة لان جبل
سايدها يحيط بها كالكاف عليها . وقال ابن الكلبي . سميت بجبل صغير في وسطها
كان يقال له كوفان ، وعنده انحطت مهرة موضعها . وكان هذا الجبل مرتفعاً
عليها فسميت به . وقد في اشتقاقها كوف . .

ثم هذا في اشتقاقها كاف . وهذا اكثر من الكافي ، ثمينة اسباب في تسمية
بلد ، بخار المرء في معرفة الاصلح منها ، ويخرج من حيرة هادي البال ، مطمئن
الصكر بقوله والله اعلم .

مالنا ولهذه الفوضى ، فليطير الى اولى الكوفة في الاسلام ، فلنرجع الى
أوائل الفتح الاسلامي ، فلنرجع الى ايام عمر بن الخطاب حين انت تجاوز هذا
الرمس بحافة اب نضج في محافل العصور .

بنت الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب على مقربة من اطلال الحيرة ،
مازل المادرة والاكسرة من الاسلام . قال قوم . مضرت الكوفة في السنة
التي مضرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ وقال آخرون . مضرت الكوفة بعد
البصرة سنتين ، وقالوا سنة . والسبب في سائرنا ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب
(١) استعمل ابو الطيب المنسي في شعره كوفان بدلاً من الكوفة فقال في

مدح سيف الدولة :

ابن المعفر في نجد فوزسها بسيفه وله كوفان والحرم

كانت تقدم عليه وفود العرب بعد الفتح والواهم شاحبة ، وسحاتهم متغيرة
فكتب الى سعد بن ابي وقاص : ان العرب لا يصلحها من اللذان الا ما اصلح
الشاة والسعر ، فلا تجعل بيديهم محرراً . وعليك بالريث موقع اختيار سعد
على ارض يقال لها قبل الاسلام رستان في بها الكوفة وكان اول ما حط
فيها المسجد ودار الامارة وقد نزل الكوفة في اوائل الفتح الاسلامي جاءه
من نزار واهل اليمن ، اما اهل البس فكانت حططهم في اجاب الشرق من
اللد ، وهو حير الحاسين ، واما رار فقد كانت حططهم في الجاب العربي من
وراء الغابات ، ابي الصكم من اليوم الى مارل اهل البس في الكوفة فيسير بكم
ان المتني ينتسب لي حي . مان فكان اهل البس الذين رلوا الكوفة في اول
امرها في الاسلام اخوان يسموا بملهم فيها كنده احياء لذكر كنده ابي حي
من البس ، والمتني ولد في هذه المحلة حتى فار قوم بني الشعر بكندة . بصور امرا
القيس ، وختم بكندة يعنون ابا الطيب .

هذا موقع الكوفة وهذه اوليتها ، أفلا يلق ان اسمع وصفها ، وعرى طبعها
وللشاعر ارتباط بطبيعة وطه ، وصف الكوفة محمد بن عمير العطاردي بعد المالك
اب مروان فقال : الكوفة سملت عن الشام وروائها وارنعت عن الصرة وحرها
فهي رية مربعة اذا اتسا الشمال دعت مسيرة شهر على مثل رصاص الكافور
واذا هبت الجنوب جاءتنا ربح السواد وورده وسميه وانجمه ، ماؤنا عذب
وعيشنا خصيب .

ووصفها الحجاج فقال : واما الكوفة فكر عاطل عطاء لا حي لها ولا زبة
وكان علي اذا اشرف على الكوفة يقول : يا حندا مقادا بالكوفة — ارض سواء
سهلة معروفة — تعرفنا بها المظالم العوفة .

وكان زياد يصيف في الكوفة ويشنو في الصرة .
والظاهر ان الكوفة صبغت في بده امرها بصفة دينة فكان سلمان الفارسي
(١) هكذا ورد الضمير في تعرفنا ولعل الرواية الصحيحة تعرفنا حالما العوفة

يقول: اهل الكوفة اهل الله؛ وهي قبة الاسلام يحس اليها كل مؤمن وكان علي يقول: الكوفة كنز الايمان وحجة الاسلام وسيف الله ورمحه يضمه حيث شاء والذي نفسي بيده ليصرن الله باهلها في شرق الارض وغربها كما انتصر بالحجاز. وقال سفيان بن عيينة: خذوا الماسك عن اهل مكة وخذوا القراءة عن اهل المدينة وخذوا الحلال والحرام عن اهل الكوفة.

هذه صورة الكوفة التي عرصرها علياً، ولكن سرعان ما عركت بالوارثين وركبت بالزلزال كما قال علي، ولقد أشه المتني امه الكوفة ما ظلم فما كان الا ان الوازل ولا كان الا صو الزلازل، مارسته ومارسها، وطاعنته وطاعها فما هو ملها ولا هي ملته.

نعم هذا هو وصف الكوفة على قدر ما تيسر، ولقد شأ في الكوفة من الشعراء مطيع بن أبياس وحماد بن محمد وابو دلامة ودعل الخزاعي وابو العتاهية وغيرهم حتى قال بعضهم: الشعر ميراث في الكوفة، ولما استنصر علي اهل الكوفة لقتال اهل الشام ولم يعرفوا معه خطب فيهم فقال: «اذا تركتكم عدتم الى محاسنكم حلقاً عزيزين تصرسون الامثال ويشدون الاشعار، ترست ايديكم وقد سيتم الحرب واستعدادها، وأصحت قلوبكم فارغة من ذكرها وشعلتموها بالباطيل والاصاليل». فالظاهر ان الشعر كان يجد في خلد العنقاء تربة صالحة وهواء صالحاً حتى رعم حماد ان العمان بن المنذر امر فنسخت له اشعار العرب في الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض بالكوفة فلما وثب المحارب بن ابي عبيدة الثقفي بالكوفة سنة ٦٦ في سلطان ابن الزبير قيل له: ان تحت القصر كنزاً ما تحضره فاخرج تلك الاشعار فان: فمن ثم اهل الكوفة أعلم بالشعر من اهل البصرة.

وفي الكوفة نشأ أكار السادة: معاذ الهراء والكسائي والفراف واهل السكيت فكان الشذوذ من طبع الكوفيين.

وفي الكوفة نشأ أكابر علماء اللغة والادب كحماد الراوية والمفضل الضبي وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي وابن قتيبة وفيها نشأ كثير من الحفاظ.

من كل ما تقدم يبين لكم ان الكوفة مدينة الشعر ومدينة النحر والشذوذ
ومدينة اللغة ومدينة الدين ، فقد ظهر فيها شيء من هذا كله وطهر على شيخنا
ابي الطيب شيء من هذه الاثار باجمعها فالشعر من طبع المتنبي والشذوذ من
سبحته واللغة محترمة فيه الا الذين فاني لا اجد في شعره نزعة اليه ، وانما لما اتصل
بسيم الدولة ووصف غزواته في بلاد الروم وردت في شعره آيات قلائل
فيها شيء من النزعة الاسلامية اقتضتها طبيعة الحرب بين الروم والمسلمين .

ولست اعني بهذا ان الكوفة هي التي حلفت الشعر في طبع المتنبي او طبيعته
على الشذوذ ولو كان الامر كذلك لوجب ان يكون شعراء الكوفة كلهم مثل
المتنبي وانما المتنبي مطبوع على الشعر ومطبوع على الشذوذ ، وادا كان
للبيئة اثر في المرء فقد يحوز ان يكون للكوفة بعض الاثر في نحو هذا الطبع
وليس في هذا شيء من المبالغة على ان هذا المقام انما هو مقام الكلام على وصف
الكوفة وطن ابي الطيب لا غير ، فلا أخرج عن هذا الكلام .

هذا آخر ما أحببت ان اذكره لكم بما يتعلق بالكوفة ، ولقد وددت لو ان الخد
العذراء أترأ في شعر المتنبي ألمع من الاثر الذي وجدته فليتي لم اعرف الكوفة
الامر شعر ابي الطيب ، واذا الشاعر لم يغف يوطه فمن الذي يغف به ؟ ان النورس
لتحركها حمة الالوان والاشكال أي أشكال هذا الوطن الكريم والوانه البراقة الوضاعة
حتى استطعنا ان تغنى بجبالنا واودينا وبمروجنا وسهولنا ومنى استطعنا ان تغنى
بهذا النسيم العليل الذي شقه آماؤنا وأجدادنا ، وهذا الماء العذب الذي وردوا
عليه وصدروا عنه وبهذه القرطة الغناء بجلى الطبيعة ، ومعنى الاس عرفنا حينئذ
قيمة الوطنية القية الهادئة التي لا تقوى على قنبا العصور والاحقاب فما تكر
عليها الايام الا ازدادت رسوخاً في القلوب وتمكناً من الصدور

ان شيخنا ابا الطيب لم يبر وطنه المبرة التي نريدها في هذا العصر فكانت
فكرة الوطن حديثة ؛ واسكها غير حديثة الا ان شعراءنا لم يعالجوها في القديم
معاجلتها في هذه الايام .

لم يترك المتني في شعره أثراً للكوفة . ولكنه تغنى بعض موارل قريبة من
وطنه فتارة كنت أجده شديد الحب إلى كعدة محله بالكوفة حتى جعل هذه المحلة
مسرلة والدته فقال لعلي بن ابراهيم التوحلي :

أمنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكعدة والسبيعا
ونارة كنت أجده لا يوحشه وطنه اذا شعنت به النوى فهو أفلق بضرب في
البلاد مكتسباً فقد قال :

وما بلد الاناس غير الموافق ولا اهله الا الذين غير الاصادق
نعم مرة كان يستوحش فيشتاق الى وطنه وإلى اهل من مصر
وما التمال لا اهل ولا وطن ولا يدهول كائن ولا سكن

✓ أحسن إلى أهلي وأهوى لقاءهم وابن من المشتاق عقاء مغرب
ومرة كان يستعي عن هذا الوطن فيصيب له المقام بكل ارض يأمل فيها ضيعة
أو ولاية . فقد قال لكافور في مصر :

ادالم نط في ضيعة أو ولاية خردك يكسوني وشعك يلب
وقال له .

✓ وكل امرئ يولي الجبل محب وكل مكان بنت العز طيب
والخلاصة لم يمتن أبو الطيب بالثوبة التي أنبتته وناهوا الذي شمه وبالطلال
التي أظلمت وادأحس في بعض الأحيان إلى شيء من هذا كله وذكر بعض أماكن
قريبة من وطنه احتصر الكلام ولم يطول به .

ولبلا نوسلنا الثوبة تحته كأن ثراها عبر في المرافق
بلاد اذا رلر الحسن يغيرها حصى ترها ثقه للمحائق
والثوبة موضع على مقربة من الكوفة .

(١) قال ياقوت في معجمه : الثوبة موضع قريب من الكوفة . وهبل بالكوفة .
وقيل خربة إلى جانب الخيرة على ساعة منها ذكر العلماء أنها كانت سجناً للمعاني .

وكم دون الثوية من حزين يقول له قهوهي : ذا بذاكا
 على ان المتني كان جواب آفاق قد دعا الارض فلم تشتد الفتة لوطنه .
 كاني دحوت الارض من خبرتي بها كاني بنى الاسكندر السد من عزمي
 فكان اذا برل مرلا وكرمه اهل هذا المنزل وجلوه . استظانه فلم يحزن
 الى ربهه

١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠

- من المنذر كان يحبس بها من اراد قتله فكان يقال لمن حبس بها ثوي اي اقام
 فسميت الثوية بذلك ، وقال ابو حيان : ذو المعيرة بر شعبة بالكوفة بموضع يقال
 له الثوية ، وهناك دهر ابو موسى الاشعري في سنة خمسين
 مولدات زياد بر ابي سفيان دهر ، ثوية

نسب المتنبى

٣

انصله بفدائل اليمس تاني الدم فخره بقومه

فهم الناس لشعره - فله

استوقفتم وانا اطوف بكم في وحد المدرج على الجانب الشرقي من هذا
البلد الطيب . مهبط الشعر والعقريه ، وذكرت لكم ان اهل اليمس الذين نزلوا
الكوفة في اول تعصيرها كانت حطيم ومار لهم في هذا الجانب ، وهو خير
الجانبين ، والمتنبى ولد في كنده وهي محلة في الكوفة ، فكان الياسين الذين استوطنا
الكوفة ، احبوا ان يحجروا فيها سماه طوسج ، فسماوا محلة كنده ، وكنده ابو حي
من اليمس ، وسماوا محلة ذبة السبع ، والسبع من سجع ابو طار من همدان .
وهمدان قبيلة ياسين . وقد جاء ذكر المحتلين في شعر ابي الطيب . ورويت لكم
البيت الذي تضمنهما

أمدني السكون وحصر موتا ووالدتي وكنده والسبع

فلسطر هل للمنتبي اتصال بهذه القدس اليبانية وما هو نسب المتنبى .

لست ادري كيف يؤلفون في مثل هذا العصر ، عصر النقيب والاستقصاء كتاباً
يحدث بخلافه عن حياة المدي وحلقه وشعره واسلونه . من دون ان يهتموا
بالبحث عن اصل المتنبى ، سواء أكان هذا الاصل طاهراً بعض الطهور ام كان خفياً
بعض الخفاء . لست ادري كيف يفهمون كلام الذي يقول :

وفؤادي من الملوك وان كان لاني يرى من الشعراء

من دون ان يعتنوا بالسؤال عن آباء الذي يحمل هذا القواد ، فاداني عليا

اصل المتنبي ، نحي عليا ادراك روحه الذي يترقرق في شعره ، واذا نحن لم نهم
روح الشاعر فما الذي نفهمه من شعره .

اجمع الرواة على ان شبحا ابا الطيب اسمه احمد ، وقد صرح باسمه في شعره :

(تحمل المسك عن غداثرها لريح وتفر عن شيب يرود
جمعت بين جسم احمد والسقم وبين الجفون والسيود)

واجمعوا على ان اناه اسمه الحسين ، فالمتنبي احمد بن الحسين ، والجميع
اختلفوا في اسماء اجداده ، فقال بعضهم : هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد
الصمد ، وقال آخرون : هو احمد بن الحسين مرة بن عبد الجبار ، ولئن اضطروا
في اسماء اجداده فقد اطلقوا على ان ابا المتنبي جمعي . قال صاحب طبقات الادباء :
وذكر القاضي ابو الحسن بن ام شيكان الهاشمي الكوفي ان عياد كان جعفاً صحيح
السب . وعياد السقاء لقب والد المتنبي ، فقد هدا بالنسب من ناحية سب ابيه
فانظر اليه من ناحية سب امه فليسمع بطبقات الادباء فقد جاء فيه :

قال ابو الحسن وكانت جدته المتنبي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت
جارتنا وكانت من صلحاء النساء الكوفيات ، من هما يتبين لكم ابن والد المتنبي
جعفي وان جدته همدانية ، فاكشفت لنا ناحية من نسبه نستطيع الاستعانة بها
فللمتنبي اصل من الاصول فلدقق هذا الاصل على قدر الامكان .

[قلت نزل الكوفة في اول امرها جماعة من اهل اليمن ومن هذه الجماعة
همدان ومدحج ، وهمدان ومدحج استعد رباب وهو امير البصرة والكوفة على
القبض على حمر بن عدي صاحب فتن الكوفة في يومه وعلى شاب همدان
ومدحج في الكوفة كان يني زياد فاذا علمت ان ابن السدة التي مضت فيها
الكوفة وهي سنة ١٧ وبين السنة التي ولد فيها المتنبي وهي سنة ٣٠٣ ثلاثة قرون
على التقريب واذا احطتم من جهة ثالثة باسماء ثلاثة من اجداد المتنبي تحقق عندكم
ان اصل المتنبي من هذه القبائل اليمنية التي رمت اطلالها على الكوفة في اول ساكنها .
والد المتنبي جمعي وحدثه همدانية فالمتنبي بماني الاصل من الناحيتين من .

ناحية أبيه ومن ناحية أمه وفي فضائل بيوتات اليعرب يقول عبد الله بن عباس
له من اليمانية لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن الشرف صميمه .
فلسطر الى المنسي من ناحية أبيه . كان الحسين جوهياً صحيح النسب وجمعي
على وزن لرسى من بطون سعد العشيرة وإنما سمي سعد العشيرة لانه لم يمت حتى
ركب معه من ولده وولد ولده ثلثائة رجل وسعد العشيرة من قبائل مذحج
وبنيان مذحج اقر ابو عتبة قحاش ، ولسان العرب مذحج .

ولسطر اليه من ناحية جدته . كانت جدته همدانية صحيحة النسب ، وبفروسية
همدان اعترف ابن الكلبي فقال وهمدان احلاس وفي همدان الخيل يقول الشاعر :
ناديت همدان والابواب معانقة ومثل همدان سنى فتحة الباب
كالهدواني لم تغفل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
وفيهم يقول علي :

فلو كنت واباً على باب جنة افات لهمدان ادخلوا بسلام

ومن همدان اعنى همدان وهو شاعر كوفي من شعراء الدولة الاموية وكان
العماد بن شير عامل حمص يقول فيه : هذا شاعر اليمس ولسانها —

فالعروسية والصلاح من جملة اخلاق القبائل التي ينتسب اليها المنسي
والبيان في هذه القبائل :

اذا اخطأ بهذا كله هان علياً ان يفهم كلام الذي يقول — وفؤادي من الملوك
فان الذي ينتسب الى قبائل فيها شيء لابل اشياء من العروسية والصلاح
وان الذي ينتسب الى جنة صالحة موصوفة بالحزم لا يستعرب فخره ان فخر .

نعم اذا اخطأ بهذا كله هان علياً ان يدرك روح المنسي واسرار خلقه في
الآتي وليس من الضروري ان تكون جنة المنسي صالحة او ان يكون جده او
خاله او عمه من العرسان ، حتى يتوارث المنسي عنهم الصفات وانما يكفي
ابا الطيب ان يكون احد اهل بيته في القديم قد جمع شيئاً من هذه الصفات حتى
ينتقل اليه هذا الشيء على سبيل الميراث فالمرء يتوارث محاسن السمات ومقايها

عن أهله في قريتهم منه وعدمه عنه فقد يوارث عن أبيه أو خاله أو عمه وما بينه وبين واحد منهم الا قليل من الرمن وقد يوارث عن أحد أقاربه في قديم الدهر مهما كان مدى الايام بينه وبين هؤلاء الاقارب متراحياً ، فالعرفي راع
قرأت مقالا في مجلة ياربر لعالم من العلماء خلاصتها اننا لو حوطينا في هذه الايام بلاد الترك بعد ان تغيرت سكانهم القديمة ومعها الامم عن مواطنهم وحصر الترك في بلادهم فلم يصيروا الى أحد من غيرهم ولم يصير غيرهم الى أحد منهم وداهم هذا الحصر الماسة لرجعت حياتهم بعد الف سنة الى هبات الترك القديمة ، الامر وبين بلونهم الخاص وتركيبهم الخاص وصفاتهم الخاصة

من هدايسهل عليكم ، تعقدوا ان المسيحي انبثقت اليه صفاته التي سوف تكشف لكم في كلامي على اخلاقه من أحد أقاربه في حديث او في اقدميه ولا عجب في هذا مادام ابوه جعفيا وما دامت حذنه هداية وفي حذمي وفي همدان صفات تشبه صفات ابي الطيب

للدنم تأثير في المقريبات واطل انكم لاتزالون تذكرون مذعب (نين) في الهند فقد اراد (نين) ان يجعل للجس والليثة والمزمن تأثيراً في القرائح والامرجة من البشر على ما يقول من يجمع صفات الشجاعة والفضة ومهم من يعرف باللهة وقصر المدرك ومهم من يعنى في التصورات والمخترعات ومهم من سم ومهم من يختص طائفة من الاعمال وتقوى مهم طائفة من العرائر كما ان الكلاب ما يصلح للعدو والركض ومنها ما يصلح للصيا ومهما يصلح لحراسة الدور والموشي . وقد ذكرت لكم ان (نين) قد ادخل عناصر حديثة في دراسة لانا لادبية الا ان مذهبه لا يدخل من شيء من الافراط ، وقد اشار الاستاد (برونير) في اثناء كلامه على هذا المذهب الى ناحية الافراط فهي بطل (نين) ان بعض اجناس البشر يصلحون لشيء لا يصلح له اجناس غيرهم فمما (برونير) لو صح هذا لبطل على الاطلاق لامتنع علم ما وراء الطبيعة في الشعوب السامية مثلاً لان هذا العلم

مشهور في الشعوب الآرية في الهند وعلى الرغم من هذه الشهرة فقد كان أكبر عالم في علم ما وراء الطبيعة في العالم كله رجلاً سامياً من بلاد البرغال وهو سينوزا .

ولكن كل من ذهب (نين) فيه شيء من الإفراط فهو لا يخلو من شيء من الحقائق . فان للدم تأثيراً في العقربات . فقد تشهر أجاس من الشر بامور لا يشتهر بها غيرها . وقد نعرف قتائل بأشياء لا يعرف بها غيرها . كانوا يقولون مثلاً : حرة بني الحرث فتك مراد . ناس زيد . كبد جعني . مغار طلي . الى غير ذلك . وقد يوارث أو آخر القبيلة محاسن والمساوي عن أوائلها . فالتدري . انتقلت اليه صفاته من أحد أقاربه في جعني أو في همدان على سبيل الارث . ولا يمكن ان يجمع المتنبي صفاته المعروفة من دون ان يكون محمداً في أحد أقاربه . من كل ما تقدم استخلص ان أبا الطيب وقد صح سبه في جعني وفي همدان وله وفي طمعه أشياء متوارثة عن أهله في عاين القريتين فهو لم تحدثه نفسه هذه الاماني العبيدة من دون ان يكون متسلاً الى اهل قد حدثتهم انفسهم بمثل هذه الاماني واذا لم يشأ ان نفهم هذا كله فكأننا لا شأنا ان نفهم روح أبي الطيب .

فالشح أبو الطيب يمانى الاصل من ناحية أبيه . ومن ناحية أمه فهو عريق في بمانيته . وفي عرويته . وسألكم في الاسرع الاتي بكلام على تعبه بعرويته . ومن العريب ان المتقدمين من المؤلفين وفي جهاتهم ابن حلكان وصاحب طبقات الادباء والعمالي وصاحب الصبح المدي . اقتصروا في كلامهم على اني الطيب على ان قالوا في أبيه انه جعني . وفي جدته انها همدانية من دون ان يبحثوا عن أسرار هذه الصفات التي اجتمعت فيه . ومهم من لم يشر الى أصله ، وأغرب من هذا كله ان صاحب كتاب أبي الطيب المسمى الذي نشر كتابه في مصر من تسع سنين . قد انت ابا الطيب في أسوأ الملمات . ورده الى ارض الاصول . ولم يكتب بهذا كله فذهب مذهباً أبعد . فقد ذهب الى ان ابا الطيب نفسه كان يعترف في بعض شعره بوضاعة سبه وانحطاط أصله ومن هذا الشعر قوله في رثاء جدته :

ولولم تكوني بنت أكرم والد لكان اباك الضخم كوكب لي أما
فطن ان ابا الطيب يعني عن جده كرم والدها ، وعجيب طراز هذا الفهم ،
فابو الطيب يقول لجده في هذا البيت : لولم ياتك الكرم من نواحي ابيك لاناك
من ناحيتي ، فكأنه يقول : انت بنت اكرم والد . وانت أم اكرم ولد . فقد جمعت
اليك الكرم من ناحية ابيك ومن ناحية اباك ، ولعمري كيف ينبغي الكرم عن قومه
من يقول في القصيدة نفسها :

واني لمن قوم كان موسم بها أف ان تسكن اللحم والعظم
فاذا كان القوم الدين تأف موسم ان تسكن اللحم والعظم لا يملكون
من كرم الاعراق شيئاً فمن الذي يملك هذا الكرم . أم يملكه اللاصفون بالحومهم
اللاصفون بعضامهم الذين لم يخلقوا في جوارحهم من جو الحيوانية .
وكأنه أساء الى ابي الطيب في فهم هذا البيت فقد أساء اليه في فهم ايات
غيره من جملتها قوله :

ولست بقانع من كل فضل . انت أعزى الى جد همام
فطن ان ابا الطيب يعني عن جده عظيم منته والمنتهي يقول ولا يحتاج قوله الى
دليل : لست افزع من الفضل بان اكون منسوباً الى جد عظيم الهمة وانما أمتني
ان اجمع شيئاً من الفضل بمسي فابو الطيب يعتقد انه فاضل وار فاضل .
من حجة هذه الايات التي ساء فهمها لها قوله .

فخر القى بالفخر والافعال من قبله بالعم والافعال
او قوله لباحث عنه :

انا ابن من بعضه بموق انا الباحث والجل بعض من نجله
انما يذكر الجدود لهم من هروء واعدوا حيله
فلا يستبطل من هذا ان المنتهي لا يفخر بعمومه وخزولته وانما المنتهي .
يرجع في هذه الايات الى شقيقته . وهو يرى ان الفخر بالنفس وبالفعل أعظم من
الفخر بالعم والحال وهذا لا ينبغي عن ابي الطيب فخره بالعمومه والحزولة وانما

المتنبي يريد ان يجمع الى تالد العنبر طريقه وهذا أحد محالات المهمة .
ولما قال :

لا تقومي شرفت الى شرفوا في وسمي فخرت لا بجوددي
وهم فخر كل من نطق الضاد وعود الجاني وعود الطريد

لما قال هذا ظنوا انه يعتقد ان قومه لا شرف لهم وانما الذي عناء بقوله هذا
ان قومه شرفاء وانهم محراب كرها ولكنه اشرف من قومه .

ما رميت في كلامي هذا الى الدفاع عن سميت المتنبي وعن اخلاقه وانما اردت
ان انه على خطأ وقصاويه مما يتعلق بهم شعر المتنبي وما نطش انهم استنوا ان الطيب
هذا الممتد الا لان والده كان سقاء في الكوفة حتى قالوا .

اي فضل لشاعر يطلب الفصل من الناس بحسرة وعشيا
عاش حباً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء الحيا

فلو كان الحسين الحمدي من اصحاب العم أوكا الناس ينظرون الى المتنبي
واوه عي ظرم اليه واوه سقاء ، فلماذا وحده هو الذي حرق الاطار ، ومتى
كان المال مقياس الاصول وكرم الاعراق . افلا نجد في أيامنا من اباء سلاطين
آل عثمان ومن حاشية فياصرة الروس الذين شنت السياسات شملهم في البلاد من
يشغل باحق الصاعات حتى لا يموت من الجوع . افلا نجد من اصحاب العم
رجال لا يعلم الا الله مفادير اخلاقهم الفاسدة اما لا أريد ان أقول ان المتنبي شأ
الملك في بيته فديماً ولا لكي لا اعتقد انه وضع ولا أريد ان أعتقد انه كان
يعترف بوضاعته .

أما وقد فرغت من الكلام على أبي الطيب . فليطرد الى أهله في عصره
وايامه فقد أشار في شعره الى أمه والى جده .

أما جده فقد كان غائباً عن أبي الطيب في أقطار الشام وطالت غيابه هذه . وقد
أرسلت اليه كتاباً تشكو فيه شوقها اليه وطول عيابه عنها . فتوجه نحو العراق
ولم يمكنه دخول الكوفة على حاله ذلك ، فحضر الى بغداد وكانت جده قد يئست

مه . فكتب اليها كتابا يسألها ان تسير اليه فقبلت كتابه وحمّت لوقتها سروراً
به و غاب العرج على قلبها فقتلها فرثها بقصيدة ملاحها من رقة العاطفة وصدقها
سأ تكلم عليها في أثناء كلامي على شعره وفي هذه القصيدة أبيات تدل على شدة محبة
جدته إياه . وعلى شدة محبتها إياها من قوله في حبها إياه :

لك الله من مفجوعة بحبيها قتيلة شوق غير ملحقها وصبا
ومن قوله في حبه إياها :

أحن الى الكأس التي شربت بها وأهوى لمثواها التراب وماضيا
ولا يبعد ان جدته كانت تقرأ فكالت تتعجب من خط كتابه اليها ومن لفظه :
تعجباً من خطي ولعطي كتاباً ترى عروفاً السطار أعرة عصا
وتلثمه حتى أصار مداده محاجر عيبتها وانيامها سحبا
وقد وصفها بالحزم فقال :

فوا أسفا الا اكب مقبلا لرأسك والصدر الذي ملثنا حزما
والتي اعتقد ان انا الطبيب قد توارث عن جدته هذه بعض صفاتها ومن حلتها
هذا الحزم .

واما أمه فلما اعتقل وطال اعتقاله كتب الى الوالي أياتاً أشار فيها اليها :
ييدي أيها الامير الارب لا شيء الا لاني غريب
أو لائم لها اذا ذكرتني دم قلب في دمع عين بدوب
وفي هذا البيت عاطفة الأمومة والبنوة ولما كان في ارجان عند ابن العميد عمل
شعراً في ابن العميد قال له في جلته :

يا ليت باكية شجاني دمعها نظرت اليك كما بطرت فتعذرا
واسكسا لانعرف هذه الباكية التي بكت على فراق لي الطبيب وأحزبه دمعها .
وكان له ولد اسمه محمد صحبه الى بلاد فارس وبطهر ان محمداً كان شاعراً
نقل صاحب الصبح المدي عن ياقوت ان المتنبي كان جالساً بواسطة فدخل
عليه رجل وقال :ريد ان نجهز لنا قول الشاعر .

زارنا في الطلام يطلب سترًا فافتضحنا بنوره في الطلام
مرفع ابو الطيب رأسه وكان محمد واقفاً بين يديه وقال :
يا محمد قد جاءك بالشمال فاته باليمن فقال محمد ارتجلاً .

فالتجأنا الى حادس شعر سترنا عن أعين اللوام
وقد قرأ الشيخ اليارجي انه وجدت له في إحدى سح الديوان آيات بعد
قراره من مصر يظهر فيها شوقه الى امه محمد والي شيخ يقال له الحسين ، من
هذه الآيات :

لولا محمد دل لولا الحسين لما رأيت رأبي يوم العزم محطاً
هداهوي وذالبي خط مسكر ذا بمصر والشام الفى دائماً خططاً
والآيات كلها ثمانية وفيها إشارة الى هرب أبي الطيب من مصر ولكسها لا
تخلو من تعريف اذا صحت أما محمد الوارد اسمه فيها فقد يجوز ان يكون محرفاً
عن محمد وأما الحسين فقد يجوز ان يكون شيخاً له وعلى كل الرواية عامضة .
هذا كل ما حقيقته من سبب المنفى ومن اهله في مصره وإيامه ، وأما ما
يتعلق بروحته وسقية اهله فهو حاف عليا . وقد وردت في شعره آيات تدل
على اهتمامه بأهله وعظمه على عياله وقلقهم اليهم اذا بعدت الدار وشط المزار .
من هذه الآيات ما جاء في إحدى أماديجه في سيف الدولة

ان الذي حلفت حبي ضائع مالي على قتي اليه حيار
وإذا صحبت فكل ماء مشرب لولا انعيال وكل ارض دار
إذذ الأمير بأن اعرد اليهم صلة تسير بدكرها الاشعار

٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

عروب المتنبى

الفنى العربي

٤

حرص العرب على قوميتهم - اختلاط العرب بالاعاجم -

نشأت العرب

و تفنى الشعراء بالقومية العربية .

أرايتم كيف كان البابون وهم في أرض غير أرضهم ، ونحت سماء غير
سمائهم يلججون بذكر طونهم و احيائهم ، وقد تقاذفت بهم وهاد وتلاع ، وشطت
بهم غربة نازحة ، أرايتم كيف كانوا يحسون الى قبيلهم وعشيرهم ، فما يسمون
ممازلهم في خد العذراء الا كنفه والاسبيع ؛ أرايتم كيف كانت اهل البدو
يمتصمون العروة الوثقى من قوميتهم و تطرب السهم بذكر بانهم ، وهل
القومية الا الحرص على الذكريات ، هل القومية الا التعي باصحاب هذه الذكريات ،
قال المؤرخ الابطالي (فرورو Ferrero) اصح احتمال الامم بعد تنافس
مائة عام على وفاة الفضلاء من رجائها عقيدة قومية في كل الامصار ، وهذا بما
جاء به القرن التاسع عشر .

و الى هذا رمى اوعوست كونت ، لما اراد ان يجعل عبادة عظماء الرجال
بمنزلة عقيدة من عقائد البشر .

فالمتفقد الذي يذهب اليه الافرنجة في عصرنا هذا ذهب اليه العرب في قديم
الدهر ولئن ملا مذهب القوميات القرن التاسع عشر على ما قال الاستاد سورن ،
فان هذا المذهب قد ملا تاريخ العرب من قبل ان يخلق القرن التاسع عشر .

لقد كمال العرب بحرصون على قوميتهم وهل القومية الا اتصال رجال الامة بعضهم ببعض ، امواتهم باحيائهم ، وحاصرهم بعارفهم ولم لا يحرسون هذا الخرص وقد كانوا امة على معنى المصطلح الاجتماعي في عصرنا هذا ، يتسبون الى اصل واحد وقد تقاربت اخلافتهم وطائعتهم ، ونشأبت ميّاتهم وسحناتهم ، وتماثل تاريخهم وسياساتهم ، وجمعتهم ارض واحدة ، واطلقتهم سماء واحدة ، وهل الامة الا واحدة في جنسها وبيتها ولقنها ودينها وحكومتها وارضها ، على اننا نرى في ايامنا امّا من اجناس مختلفين ، يتكلمون بلغات مختلفة ويدخلون في اديان مختلفة . اننا نرى شعوباً يجمعهم نظام قومي محكم وهم مبعثرون في وادي العالم كله . كالهند ومثلاً ، اننا نرى شعوباً يتكلمون بلغة واحدة ولا يتسبون الى امة واحدة كالاسكيز واميركان الشمال ، وكسكان اساية وجمهوريات اميركة الجنوبية ، وكسكان البر تعال والبرازيل ، وكسكان فرانسة وبلجيكة الشرقية ، وكسكان المانية وسويسرة الشرقية ، اننا نرى امّا من اجناس مختلفين : كالروس ، او كاهل الولايات المتحدة ، حيث تشاهد الالبيض والاسود والاحمر اننا نرى امّا فيها مذاهب شتى واديان متباينة "

عامل من العوامل يشان الامة : اشتراك الامة في ميراث ملأ من الذكريات واجتماع كلمة هذه الامة على احياء ميراثها المشترك . فالعرب في قديم الدهر قد تناولت ميراثاً خاصاً بذكرياته ونضافت على احياء هذا الميراث فعاثت به زمناً رغداً بتعنى العربي بمرويته . ويفخر بقوميته ، فهو صاحب الامر النافذ في دياره بتصرف في ملكه لا يشاركه رومي او تركي او فارسي او دبلي في سلطانه ، العربية لسانه والعلم نيجانه والمشرقية سيوفه والخطية رماحه ، نعم عاش العرب في صدر الاسلام بهذا الميراث الخصب :

« يتبخثون على شباب الدهر في ظل السرير »

ولكن مرعاني ما حالت احوال وحدثت حوادث وما هو الا كرد النفس واذا

(١) دائرة المعارف الفرنسية : بحث القوميات ،

القيسية واليمانية ، واد الفتى والشعاب ، واد الفرس والترك والديلم واد النطاول
لا تتراع الملك والسيطان ، واد الفرقة بعد الالفة ، واد الصولوية والاحشيدية
والحدادية والفاطمية والسلجوقية ، دهمت وحدة العرب أو كادت ، وطلعت
الشعوبية في البلاد فلا عز ولا مسعة ولا حكمه الس ولا شدة عقول :

فلست بتارك يوان كسرى لنوصح او لحومل فالدهول

وصب في الفلاساع وذب بها يعوي وليث وسط عيل

هذه هي نعمات الشعوبية بعد ان كان السلطان عربياً واللسان مضرباً . والوشي
يمانياً ، اردحم الاعاجم في البلاد وأحد عمل الخلافة العلية بمصون عن بغداد
و يهردون بامور المنك والسيطان ، قال عشتاق لوبون

« من حملة الاسباب في ضعف العرب اختلاف الامم يدين خضعتوا لسيطانهم
فقد أدى هذا الاختلاف الى تمازج شعوب لا يشبه مصهم ومضاً وان تاراع
هذه الشعوب ونشأ عن هذا كله نزوح عاصر متباينة ، فاعيد هذا التزاوج دم
العاتخين من العرب ، لقد كان تمازج الشعوب المتباينة في بلاد واحدة سبباً في
انقراض هذه البلاد في كل عصر من العصور وثبت الريح ان لا سبيل الى انقاء
اجناس مختلفين في فصاة واحدة الا بامرين ، اما ان يمتد سلطان العاتخين فلا تخرج
الحوارج عليهم وأما ان لا يتزوج العلب الى مسا المعبوب اي ان لا يدمج العلب
في المعلوب وهذا الامر الثاني لم يحذره العرب ، —

نعم لم يحذر العرب هذه الامور كلها حتى احبطوا بالاعاجم ففرقت كلمة
العرب وضمف تقى القوم بعرويتهم

فلسطر في هذه الحالة الاليفة هل حاطق المتنبى على عرويته ، أفكأ يضطرب
في هذه العروية اضطرابه في حبيبه الى وطئه ، أفكأ يدعى بها مرة ، ويعقها مرة ،
كما كان يحن حياً الى كسرة ، وحياً يرى ان كل مكان يفت العر طيب ، فلسطر
هل أشندت ألفة المتنبى ليمانيه وعرويته في جمع اطوار حياه

لئن كان أبو الطيب وفقاً في تعيه نثره كرشة في مهب الريح ، لئن عصف

حياء على وطه وعفه حياً آخر. فإكل ملقاً في تعبته وعرويته. لم يعقها في يوم من أيامه
ولا حدثته نفسه بالانصلاح عنها في حال من أحواله. وأن لم تشتد الفة إني الطيب
لتربته فقد اشتدت الفة ليعبته وعرويته فبه العروية عروجة بنفسه موصولة
بروحه من أول حياته إلى آخرها.

المتنبي عريق في يمانيته. شديد الخرص عليها وهل هو إلا من جمعي وهمدان
وكأنني به وهو يقول في صباه على لسان بعض المتنوخين

ومحدي يدلني خديف على أن كل كريم يمان

كأنني به يريد نفسه هذه اليمانية ولكن أبا الطيب لم يقنع في عصر يمانيته فقد
طار في فضاء أو سم وحق في سما. امد فاسح عن اليمانية ودمج في العروية
بما حر كل شيء عني بما حر لسان العرب وبيجان العرب وسيوف العرب
وسواء أكان أو الضيف رقيق الحال أم كن واسع النعمة وسواء أكان في
بلاد العرب أم كان في بلاد العجم أنه حافظ على هذا الدم العربي وتعلق به ذات
هذه القومية العربية فلم ير من غيرها ديباً ولم ينس عنها حولا.

وما قوامكم في شعر بدر شعب بوان بأرض فارس وهو أحد منتهات الدنيا
مشهور بحسه وكثرة شجره وتدفق أمواجه وكثرة أنواع طيره.

إذا أشرف المحرون من رأس بلعة على شعب بوان استراح من الكرب
نعي به الكتاب والشعراء فوصفوا فيه جداول ماء أرق من دموع العشاق
وأرد من ثور الاحباب. ووصفوا ترقق آديها وتدفق نبارها وتكسر حبابها
في خلال زهر ورياح. ووصفوا ظلمها لحصل الأمل. ما قولكم في شاعر يصف
هذا المنزه ويقول فيه.

ملاعب جنة لو سار فيها	سليمان لسان بتوجهات
طلت فرسانا والخيل حتى	خشيت وإن كروتم من الحران
عدوا تنقص الاغصان فيها	على اعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجب الحر عني	وجئن من الضياء بما كفاني

والقى الشرق منها في ثيابي دايماً تمر من البسات
لها ثمر تشير اليه منه باشره وفص بلا أواب
وأمواء تصل بها حصاه صابل الخلي في يدي العواني
ما قولكم في شاعر يرى هذه العجائب والغرائب فلم تستول على قلبه ولم
تأخذ من نفسه لانه تذكر وهو في شعب برار انه عربي بين غم وأوه وقال
ولكن الفتي العربي فيها غريب لوحه واليد واللسان
وما هذا الفتي العربي الا أبو الطيب نفسه .
وحس الى منارل دمشق العربية وهل .

منارل لم يرل منها حبال بشيعي الى الموندجان
اذا غنى احلام الورق فيها اجبت اعاني القيار
ومن بالشعب أحوج من حمام اذا عى وناع الى البسات

• • •

من هذا يتبين لكم مقدار احتياط المديني بعرويته وهو في آخر مدى حياته
قد وقف على الحسين أو حارزها ولم يكتف بهذا المقدار فذهب في هذه الزعة
القومية مذهباً أبعد ، فهو لا يريد أن يرى الا ملكاً عربياً ، ولا يعتقد ان العرب
تسبح اذا كانت مدولاً من المعجم لان المعجم يقضون المهود ولا يحمرون اسمهم
وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب ولا عبود لهم ولا ذمم
بكل أرض وطنها أمم ترعى بعد كأنها غم
يستحشون الحز حين يلمسه وكان يرى بظفره القلم
وما هؤلاء العبيد الا عبيد الخلفاء من الانراك الذين يأمرؤن على الناس .
فالمني يرى بين قومه وبين الاعاجم من ترامي المسافات ما لا يمكن تقريبه فهم
متباينون في اللغة والذكريات فليس لهم ماض مشترك يؤلف بين قلوبهم ليس
لهم ذكريات واحدة وأدب واحد ، وأخلاق واحدة ، وتربة واحدة . فالسافر

مستحكم يذهب من كل النواحي . —

قالنسي عربي في سلطانه وقد حملته عرويته هذه في بعض الاحايين على
اللام الاعاجم فانه لما قدم من الرملة يريد اطاكية مر يابن كيبلغ وهو رحل
رومي كان يحاط على الطريق في طرابلس فسأله هذا الرومي أن يمدحه فترفع
أبو الطيب عن مدحه فاعاقه ابن كيبلغ عن سمره ثلاثة ايام فلما فارقه المنسي
قال فيه قصيدته المشهورة لحوي العوس سريرة لا تعلم . من جعلها هذا البيت :
أفعال من نلد الكرام كريمة وفعال من نلد الاعاجم أعجم

أطروا كيف كان أبو الطيب يتجرد للبرامة دور حياض العرب . فقد كان
ساهر بكل شيء عربي . يباهر بلسان العرب وبتيجان العرب وسيوف العرب . وصحبته
هذه العاطفة اشريفة حتى آخر عمر من أعاصه الديكة للممدح ابن العميد في أرض
فارس وهناك باليروز مدح به عروية لسان قل كل شيء . قال :
عربي لسانه فلسي رأيه فارسية اعباده

ولما اصرف سيف الدولة من الظف محضر بر رويه وعاد الى اطاكية جلس في
قاعة من الدباج على صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان افتظون
أن أبا الطيب فصل تيجان الروم على عمامة العرب كلا ثم كلا . فقد قال لسيف الدولة
وفي صورة الرومي دي التاج ذلة لالبح لا تيجان الا عمامته
تد ل افواه الملوك ساطه ويكبر عنها كنه وبراحه
عم كال يماحر بكل شيء عربي . اضطروا الى ماخرته سيوف العرب قال يمدح
سيف الدولة ويدكر ساءه مرعش

نهاب سيوف اهدو هي حدائد فكيف اذا كانت نزارية عربا

* * *

وكان هذه السرعة الصومية كانت رعة طائفة من شعراء تلك الايام على ان
الحرب التي كانت تدور بين المسلمين والروم قد صفت بصفة ديمية فكان ملك الروم
اذا غزا بلاد المسلمين يحجز رجاله بالصليب لآخر وقد كان شعراء العرب يومئذ

يذهبون في شعرهم بعض مذاهب اسلامية بحاراة لطيفة الحرب بين الروم والمسلمين
قال أبو الطيب لسيف الدولة

خصعت لمصلك الما صل عنوة وأذل ديك - سائر الاديان
ولكنهم مع هذا كله قد خرجوا من أفق الدين الى أفق أوسع وأعم ، فلم
يقتصر أبو الطيب في مدائحه في سيف الدولة على الاشارة الى هزيمة الاسلام في حرب
الروم ولكنه كان يرمي مرمى عربياً أعدافاً فن قوله في سيف الدولة :
رفعت بك العرب العماد وصيرت قم الموك مواقد اليراس
أسباب فخرهم اليك وانما اسباب أصلهم الى عذاب
فقال : رفعت بك العرب ولم يقل رفع بك لدين .

نعم كانت هذه للهمة لهجة كثير من شعراء تلك الايام ، لما بنى سيف الدولة
قبعة الحدث وقد جمع اليك لروم اكابرهم وحزم راحلهم الاحمر هاه
كثير من الشعراء من حميتهم الذي قل في ثناء الحدث .
رفعت بالحدث الحصن الذي حمضت به الحوادث حتى ذل صاحبه
أعدته عدوياً في مناسبه من مداما كان رومياً مناسبه
وكتب ابو فراس الى سيف الدولة وهو في الاسر ايناً من جملتها .
وانك لي الجمل المشمحر بل لقومك بل للعرب
ومن قول أبي نصر بن سانة في سيف الدولة .

حاشاك ان يدعيك العرب واحدها يا من ترى قدميه طينة العرب
وما اكرم هذه الصرخة التي صرخها أبو فراس على لسان نداء بني كلاب
وذلك ان سيف الدولة اصطحب بني كلاب وأدامهم وآمن سرهم فقهروا العرب
وعلى كلمتهم الى ان بدت منهم هفوة احضت سيف الدولة فاسرى اليهم
وأوقع بهم وملك حرمهم واموالهم ثم صمغ عنهم وكرم وجمع الحرم وروكل
بهم الخدم وحملن وافصل عليهن واحسن اليهن فكتب اليه أبو فراس في تلك الحال
قصيدة يقول فيها .

يادين بين خلال البيوت لا يقطع الله أصل العرب
وفي هذه الواقعة يقول أبو الطيب :

وان يك سيف دولة غير قيس فيه جلود قيس والسياب
ونحت رباه بنتوا واثوا وفي أيامه كثرُوا وطاوا
وتحت لوائه ضربوا الاعادي وذلل لهم من العرب الصعاب

هكذا كان تعني الشعراء بالقومية حتى أن أبان تمام لما قال قصيدته الخالدة في مدح المعتصم وذكر فتح عمورية راع في شعره نزعة اسلامية ولكنه لم يسعه في آخر القصيدة الا التعني بالعروبة فقال

ان كان بين صروف الدهر من رحم موعولة أو زمام غير منقضب
فبين ايامك اللاني نصرت بها وبين ايام بدر أقرب الناس
أقمت بني الاصغر المصغر كاسهم صفر الوحوش وجذبت أوحه العرب
فانتم تجدون في هذا كله ان كلمة العرب كانت تجري على ألسن الشعراء في ذلك العصر حتى في الحروب الدينية وفي هذا إشارة الى رغبة قومية لا يخفى أمرها.

هذا ما سنأتي من الكلام على عروية المتنبي. ولم لا يتغنى أبو الطيب بعرويته، وقد جاءت هذه العروية من ناحية أبيه ومن ناحية أمه فاحتمرت في صدره فلم تفارقه في طور من أطوار حياته. وإذا كان شاعر مثل المتنبي لم ينزع في شعره نزعة قومية فمن الذي يذهب هذا المذهب، فاللسان العربي الذي لمح أبو الطيب بمحنته عامل من أقوى عوامل القومية ولئن وجدنا شعوراً يتكلمون بلغات واحدة ولا ينسبون الى أمة واحدة فلا يستنبط من هذا ان للغة الواحدة لا تكون عنصراً من عناصر القومية فاللغة اما هي أشد الاوصر بين حاصر الأمة وماضيها، وبين أحيائها وموتناها. فيها كل شيء يربطها بالماضي، فيها افراح العرب وآلامهم وفيها أفكارهم وعواطفهم، اما تضمنت ميراثنا الادبي

الذي تعب آباؤنا وأجدادنا في صقل جوانبه وتهذيب حواشيه ولا نكون
الامة أمة على مصطلح هذا العصر الا اذا تضافرت رجالها على الاعتناء بهذا الميراث
هذا ما رمى اليه ابو الطيب في الماضي وهذا ما رمي اليه في الحاضر والا تاتي
١ شباط سنة ١٩٣٠

هل كان المتنبى شعبياً

٥

نفهم عنه التعصب لوطه - نفهم عنه التعصب لقومه

« نقد الشاعر من ناحية واحدة »

هيات الكلام على ابتداء أمر المتنبى، وعلى أول تربيته وثقافته، وعلى رقة حاله جملة أخباره، ووصف طبائمه وأعدده لأحضره في هذا اليوم إلا أن المقام اقتضى أن أعود على ما بدأت به من الكلام على تعصب المتنبى للعرب والعروية، وعلى حبه إلى وطه واضطرابه في هذا الحين لاني وجدت بعض المؤلفين في هذا العصر ممن عموا كتاباً على حدة في أبي الطيب المتنبى. ينفون عن أبي الطيب تعصبه لقومه، وتمصه للذم. ملقن الكلام على عواشه دون شيء من التعصب. أما نفهم عنه التعصب للوطن، فقد استندوا فيه إلى طائفة من الآيات التي رويتها لكم وأشرت فيها إلى اضطراب المتنبى في حبه إلى ترمته منها:

✱ وما لئد الاسان غير الموافق ولا أهله الادبون غير الاصادق ومنها:

وكل امرئ بولي الخيل محب وكل مكان يست العز طيب
وأضافوا إليها آياتاً غيرها من جعلتها:

غني عن الاوطان لا يستعصي الى بلاد سافرت عنه اياها
ومنها:

في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من أختها بدل
على أن البيت الذي جاء قبل هذا البيت وهو.

إذا صديق نكرت جابه لم تعيني في فراقه الخيل

يدل على أن أبا الطيب إذا حدثه نفسه بالاضطراب في سعة الخافقين فأما ذهب
هذا المذهب لانكاره جانب الصديق ولم يذهب لانكاره جانب الوطن نفسه .
ذكروا هذه الايات كلها . وقاربوا بينها و من الايات لآية التي يقولها اصحابها
في حنينهم الى بلادهم والى قومهم :

بلادي وان جارت عليّ عزيزة وقومي وان ضوا عليّ كم
أو كقول المعري .

ولا هطلت علي ولا برص سحائب ليس تنظم اللاداء
لحكوا على المتنبي انه لا يتعصب لبلده . ورموه بصعب الخلق . وشبهوه
بالطفل الذي يمد يده الى الخير . لا سالي أين وجدته وكيف يحمله —
وأما نفهم عنه التعصب لقومه . فاهم لم يدكروا الايات التي استندوا اليها
في هذا النبي ولكمهم أشاروا الى مدائح أبي الطيب في عضد الدولة وفي ظاهر
ومجوا من المتنبي كيف يمدح الاعاجم بعد قوله .

واما الناس بالملوك وما يطلع عرب موكلها عجم
كيف يمدح أبو الطيب عضد الدولة . وكيف يدكر في شعره اسمه واقمه ويقولون .
وقد رأيت الملوك قاطنة ومرت حتى رأيت مولاها
أبا شعاع يارس عضد الدولة وما حسرو شهداءها

هم عجموا من هذا كله . لحكوا على المتنبي انه محرد من التعصب للعرب
وللاد العرب فكأنهم يقولون فيه انه شعوبي . وان لم يصرحوا بهذه الصفة . فليسطر
في مطلع هذا العجب ومقدار هذا الحكم . فكانوا مصدين في هذا الحكم أم كانوا
محطين فيه . أفصدر حكمهم بعد ان طروا الى أبي الطيب من جميع النواحي . أم
صدر الحكم وهم لم ينظروا الى المتنبي الا من ناحية واحدة . فلا تأمن بان
يكون الدرس في هذا اليوم ضرراً من النقد .

الغريب انهم اذا نقدوا شعر شاعر . وصووا النظر وصعدوه في بواطن هذا
الشاعر وفي ظواهره . طروا اليه من طرف واحد فمنهم من ينظر اليه من

الناحية التي يطها ناحية المحاسن ، ومهم من ينظر اليه من الناحية التي يحجبها ناحية المساوي ، وفي هذين المنهين اشتطاط في الرأي وذهاب مع الهوى واقبياد للعاطفة وضعف في الطر ، وما ينبغي للناقد ان يكون حاضماً لسلطان الهوى ، ما ينبغي للمعين ان يخفى عليها الضياء فلا ترى الا الظلام ، فاهم اذا ذهبوا في النقد هذه المذاهب ، وساروا هذه السيرة صاغت الحسرات ، حتى أنهم ليعظمون العورات في بعض الاحيان ويعقونها فيمرون بالحسنات الرائعة والى جنبها سيئة خفية فيعضون على لروائح وتهايمسون بالعورات وما هذا من النقد في شيء ، واد الناقد لم ينظر الى الشاعر من جميع الوجوه ، من وجه الحسرات ومن وجه السيئات على السواء لم يكن نقده نقداً ولا تمييزه تمييزاً ، اذا هو نظر اليه من طرف واحد وحكم الهوى في نظره كان نقده مثلوم الجواب .

جردوا ابا الطيب من كل عاطفة وطنية ومن كل رعة قومية واعتمدوا في تحريدهم هذا على الايات التي رواها لكم فليطرد في حكمهم على ابي الطيب من الناحية الوطنية ، والمراد بالوطنية في هذا المقام الحنين الى الوطن ، لا ريب في ان ابا الطيب لم يثبت على حال في شرفه الى ترثه ، وقد بدت اضطرابه في هذا الحين فلا اجد حاجة الى الرجوع اليه ، وقد يكون لهذا الاضطراب اسباب شتى : منها ان ابا الطيب لم يستقر في وطنه مدداً ورعرع حتى قتل ، فمن بادية العراق الى بادية الشام ، ومن اللاذقية الى اطاكية الى حلب ، ومن حمص الى دمشق ومن دمشق الى طبريا الى الرملة ومن فلسطين الى مصر ومن مصر الى العراق ومن العراق الى بلاد فارس ، فهو لم يقيم بوطه فلم يألّف عينه هذا الوطن ، ومنها أن النفس تعرض لها في بعض الساعات عوارض فتدهل عن كل شيء في الدنيا حتى انها لتكاد تعاف الحياة والمتنبي عصبي المراح فكان تعرض له هذه العوارض من ألم في النفس وصبق في الصدر كما تعرض لكل واحد منا وما قولكم في شاعر يترك بلاد الشام ويذهب الى مصر فيخلى له كافور داراً ويخلع عليه ويحمل اليه آلاف من الدراهم فيستقبله المتنبي بهذا الشعر :

كفى بك داء أن ترى الموت شائياً وحسب المدايا أن يكن أماليا
 ما قولكم في شاعر يتمي الموت وهو في محوحة من العيش وسعة من
 الأمل أفكثر عليه أن يعاف ليله في بعض الساعات إذا كان يعاف حياته على
 أن ابا الطيب لم يجرّد من العاطفة الوطنية كل التحريد ، فانه اذا اضطرب وقال :
 غني عن الاوطان لا يستخفي الى سلة سافرت عنه اياك
 هدا بعد اضطربه وقال وهو في بلاد فارس بين يدي ملك عمي :
 أحب حمماً الى خاصرة وكل نفس تحب عيها
 وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصحصحان مشتاتها
 وان الذي يقول : وكل نفس تحب عيها ، او يقول : أحزن الى اهلي وأهوى
 لقاءهم ، لا يرى معقة الوطن فكان ابا الطيب يضطرب في بعض الاحوال ثم يهدأ
 فيصمو خاطره ويروق ذهنه فيذكر أهله ووطنه فكان يحب على الدين نفوا عنه
 التعصب لبلده ان ينظروا اليه من الواحي كلها ، من ناحية حبيته الى تربيته ومن
 ناحية اضطرابه في هذا الحين حتى يكون حكمهم صادقا الا اهتم لم ينظروا اليه
 الا من ناحية واحدة ، فاشاروا الى الايات الى دلت على اضطرابه في الحين الى
 لوطن وسكروا عن الايات التي صممت حبه اليه قائما ان يكونوا متعاملين
 على المنفي ، واما اهتم لم يقرأوا ديوانه كله ، والامر الثاني أغرب فكيف يؤلفون
 في هذا المصركتابا في شاعر من الشعراء ولا يقرأون شعره كله
 على اهتم لو أنصفوا فنظروا الى ابي الطيب في وطنيته أي في حبه الى تربيته
 من الناحيتين ، وأحوا ان يقدوه من الناحية التي اشتملت على تغنيته بتربيته لوجدوا
 مجال القصداسعة فان ابا الطيب لم يحلف لنا في شعره صورة التربة التي ألفها
 فلم يجدنا على الخمر على هذه الارض الكريمة التي رويت من دماء آبائنا وأجدادنا
 فلو أخطأ مثلاً في شعرائي الطيب وهو في مصبغة في حمص بالعاصي من منعطفات
 شطوطه ، لحمنا على هذا البحر المبسط وصوبنا النظر وصعدناه في مروج وفي
 جنانه وشممنا سيم الشيخ والقيصوم في البادية التي جال فيها كل مجال لشعرا حيث

بعرط الحو على هذه الارض الكريمة حيث نلت لنا في كل بقعة من بقاعها أصول
دقيقة قوية تذكّرنا قديماً وعشيرنا في الماضي .

لو تقدوا ابا الطيب من هذه الناحية ، وقالوا لم يحلف في شعره صورة تجمع
أشكال التربة التي ألفها وألوان هذه التربة لاصابوا في تقديم بعض الاصابة ولكنهم
لم يقدوه من هذا الوجه وإنما جردوه من العاطفة الوطنية تحريداً ، وهذا موضع
الاشتطاط ، على ان ابا الطيب لم يحل شعره من أثر التربة التي مرّ بها وألفها ،
ولكن هذا الاثر إنما هو أثر اعراقي يوافق ذوق ابي الطيب وعاداته في مشابهته
الاعراب وهل هو الا ابن النادية ، وريب القبائل الف الاعراب في حداثة سنه
واحد عنهم اللغة ، معهم سين ثم جاء الكوفة وهو بدوي فح ، نعم لم يحل شعره
من أثر التربة التي ألفها ، لما قال :

أحب حمصاً الى حاصرة وكل من تحب عجاها
وصفت فيها مصيف نادبة شتوت بالصحصحان مشتاها
وصف في مصيفه في حصن ومشتاه بالصحصحان نمط عيشته وما هذه
المعيشة الا عيشة الاعراب :

ان أعشت روضة رعباها او ذكرت حلة غزواباها
أو عرضت عانة مفزعة صدنا باحري الحياض اولاهها
او عبرت بجمعة ما تركت تكوس بين الشروب عفرها
والخيل مطرودة وطاردة بحر طول القنا وقصرها
يمعجها قتلها السكاه ولا يطرها الدهر بعد قتلاها
هذا الذي تركه لنا من مصيفه ومشتاه في حصن والصحصحان وانتم ترون
ان هذه الآثار أعراية ما فيها الا الصيد والا العزو

فليظر الآن في حكمهم على المتنبي من الناحية القومية ؛ فقد عجبوا منه
كيف سمحت له نفسه بمدح العجم والاعاجم ، بعد مدح أمراء العرب وكيف
الدولة وأضرابه ، وبعد تصريحه بكرهية العجم ، لا شك في ان ابا الطيب مدح

ملوكاً وامراء لا ينتسبون الى اصل عربي من جعلتهم عضد الدولة ومن جعلتهم
الاستاذ كافور ولكن هل يجوز ان يكون مجرد مدحه لامراء وملوك اعاحم دليلاً
على لينة في عرويته وهوادته في قوميته وعلى الخصوص فانه لم يجر على شعره في
مدائحهم فيهم شيء يستخلص منه انه حصل الاعاحم على العرب او انه طعن على العرب
ورفع من مقادير العجم كما كانت تعمل الشعوبية فهو لم يمدح الروم والصقالب والمغار
ولا مدح الدهستق وقسطنطين واما مدح ملوكاً مسلمين يتكلمون لغة العرب
ويفاخرون بها فان ملوك آل بويه شعروا ورويت لهم اشعار وكان في خدمتهم
من الكتاب والوزراء امثال ابي اسحق الصافي وابي القاسم عبد العزيز بن يوسف
وابي احمد بن عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي وابي القاسم علي بن القاسم
القاساني وابن العميد عماد ملك آل بويه والصاحب ابي القاسم وغيرهم من كانوا
امراء البيان والانشاء وكانت اللغة الفارسية قد عرفت في خضم العربية وكان
عضد الدولة نفسه على ما ذكره الثعالي في بسمه يفرع للادب وتشاغل بالكسب
ويؤثر بحالة الادب على مداومة الامراء ويقول شعراً كثيراً قال ابو
بكر الخوارزمي

كان يبادم عضد الدولة بعض الادباء والضرفاء ويحاصر بالاووصاف
والتشديدات ولا يحصر شيء من الطعام والشرب وآلتهاما وغيرهما الا واشد
فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً . فبما هو ذات يوم معه على المائدة بشده
كعادته اذ قدمت له مائدة فنظر عضد الدولة كالآمر إياه بان يصعبا فارتفع
عليه وغلله سكوت معه فاحل فارتحل عضد الدولة وقال :

هبطت تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
كساها في الجام بحدوه لا آلي في ماء كافور

وقد رويت اشعار لانه نوح الدولة ابي الحسين ولعر الدولة ابي منصور
نختيار ولأبي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة فالتفتي لم يمدح ملوكاً
طعنوا على العربية وإنما مدح ملوكاً كانوا يتكلمون بها ويفاخرون وفي

انصالة هم لم يمس عرويته ولم يتجرد منها وأطس أنكم لا تزالون تذكرون
قوله في مغاني شعب بوائف :

ولكن الفتي العربي فيها عريب الوجه واليد واللسان
والرعة العربية في هذا البيت واضحة فالذي لاتهمه العصية لقومه لا يستوحش
في بلاد العجم وقد كان يستطيع أن يرصي المعجم فيقول لهم مثلاً إذا نزل
العربي بأرضكم فلا يكون غريب ولكن معه العربية أت إلا الوحشة وإلا
الحسين إلى مزارل دمشق .

وكذلك الأستاذ كافور فقد كانت مجالسه عامرة بالشعراء منهم الانصاري
وكانوا يتناولون في اللغة والأدب حتى أن المتنبي عارض الانصاري بحصرة
كافور في قصيدته الميمية التي يقول فيها . (نظر المحب إلى الحبيب غرام) ، وقال
له . العرب لا تقول إليه غرام وإنما تقول له . فقال له الانصاري العرب
تقول إليه ولديه وله وحرره الخفض يوب بعضها عن بعض .

فالمملوك الدين تعمر بحالهم بأمر هذه المجادلات إنما هم ملوك لا يكرهون
العربية على ما أطل في مدح المتنبي . لهم طعن عليه من الناحية القومية فما كان
حصرتهم بعض من العرب ويتقصصهم .

فالمتنبي عربي في أصله عربي في عيشه . عربي في رعيته . ولقد
لأعراب وحاطهم وهذه المحافظة آثار في شعره ، فيجيب على الدين يقول
عنه التعصب لوطنه وعمومه أن يظروا إليه من كل الواحي حتى يكون
قدمهم صحيحاً .

ابن خلكل الميثمي

٦

عزما ابن ولد المتني . وعدا ما تيسر لنا عليه من سبه وعرويته . فان
تعلم القراءة والكتابة . وابن طلب ابيه ولعله . وهل كان لمدرسته آثار
في عبقريته . هذا ما ابحت عنه واباكم في مجلسنا هذا .

قال ابو الحسن محمد بن يحيى العلوي : كان ابو الطيب محاضراً للعلم والادب
فصحب الاعراب في البادية وجاما مدسين بدوياً . وكان تعلم
انقراءة والكتابة فلم اهل العلم والادب واكثر من ملازمة الوراقين فكان
عليه من دقاتهم .

وقال الثعالبي ذكرت الرواة ان اياه سافر به الى بلاد الشام فلم يزل يبعثه من
باديتها الى حضرها . ومن مدرها الى وريها ويسلمه من المكاتب ويردده في
القبائل ومحابله نو اطلق الحسنى عنه وصوامن الجح فيه . حتى توفي ابوه وقد ترعرع
ابو الطيب وشعر وبرع .

وقال صاحب الطبقات واقام بالبادية وطالب الادب وعلم العربية وظهر
في ايام الناس .

وقال ابن خلكل : واشتغل بصون الادب ومهر فيها وكان من المكثرين من
نقل اللغة والمطالعين على عربها وحوشيا ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه
بكلام العرب من الطم والثر حتى قيل ان الشيخ ابا علي الفارسي صاحب الابيضاح
والتكلمة قال يوماً : كم لنا من الجوع على وزن فعلى . فقال المدي في الحال : حجلي
وظربي . قال الشيخ ابو علي : فطالعت كتب البعة ثلاث ليل على ان اجد لذهذين
الجمعين ثالثاً فلم أجده .

من هذا يتبين لكم ان ابا الطيب قد جاهد نفسه في طلب الادب واللغة فكانت له دفاتر يدرسها في الليل وربما مضى من الليل أكثره وهو يدرس وكانت كثير الاشفاق على هذه الدفاتر اذا سافر أحدها معه لانه كان قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً، ولنا نعرف هذه الدفاتر ولا ندرى بما كانت تشتمل عليه، وربما نقل عنه انه كان يروي شعر أبي تمام ويقول: داو يجرز للاديب أن لا يعرف شعر أبي تمام، وهو أستاذ كل من قال الشعر بعده، فالمتنبي درس كثيراً وقرأ كثيراً من الشعراء الذين بطر في شعرهم المحترى وابن الرومي وأبو تمام ومسلم ابن الوليد وشار وأبو نواس وابن المعتز والفرزدق وعمر بن كلثوم وأمرؤ القيس والأعشى وبعض رجات العرب وغيرهم من الذين لا يخلو شعره من رسومهم واني لا جازر في هذا المعام الاشارة الى نمائه العامة فانحطت الكلام على تجاربه في الحياه وعلى ما فقت له هذه التجارب من ضروب الحكم:

اذا ما الناس جرهم ليب فاني قد أكلتهم وداقا

وانحطت الكلام على نظرائه الفلسفية مرجئاً هذا كله الى حين البحث عن هذه الطرقات فلا أنعرض في هذا المجلس الا لآثار مدرسته الاولى في شعره.

للبادية في ثقافة المتنبي آثار طاهرة على شعره في كل طور من أطوار هذا الشعر فهو ابن اليد واليهابي، من أفق ابادية درج خياله، وفي جو البادية بما هذا الخيال فلا عجب انما علفت مذهبه صور هذه البادية، الف المنسي، ابل البادية وحياها ومهامها ومقاورها وغزوها وصيدها وسيرها وقضاها، فلا تجدون في كثير من شعره مرقاً بيده وبين الاعراب الذين صحبهم في التعمي بكل امر من أمور البادية ولا يكاد شعره يحلو من آثار سهل الخيل وقفصة اللجم وصرير العوالي فالبادية اور مدرسة درس فيها المتنبي وكما ان البنية وللمن والدم تأثيراً في الميصرية فكذلك التربة ماها لا تنحاز من التأثير في الاذهان، الف المتنبي البادية فلم يخف عليه امر من أمورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج اليها ابن البادية في وصف ابله وخيله وسلاحه وصرور ذلك، وقد رسخت في ذهنه صور البادية

من حادثة سنة الى آخر يوم من ايامه ، حتى انه اذا فارق الاعراب وجالس الملوك
والامراء والوزراء ، كانت صور البادية ترجع الى ذهنه من حين الى آخر فقلت
أعرف شاعراً أعاد من المتنبي في الحرص على آثار تربيته الاولى ، جالس الملوك
والامراء والوزراء فلم يقطع عن اعرابيه ، وعرضت عليه الحصار مشاهد رائعة
فلم ترع به عن بدويته ، فقد غلت عليه صور البادية فليس هذا الامر على قدر
ما يقنع له بمجملتنا

X المتنبي أربعة أطوار في شعره ، طور وهو جرح في أقطار الشام قبل اتصاله
سيف الدولة ، وطور وهو في طلال سيف الدولة وطور وهو في حصرة كافر
الاحشبي وطور وهو في بلاد فارس ، فسطر في آثار البادية على شعره في كل
طور من هذه الاطوار الاربعة .

لما كان المتنبي يجرب آفاق الشام ويمدح رجالها وذلك في اول نشأته
وترعرعه كانت آثار الثقافة البدوية طاهرة على شعره كل الظهور فان خياله الذي
نما في البادية كالخيال على وطنه الاولى فكانه اعراي لم يالف الحضرة .

✳ برقي السرى بري المدى هرددي احب على المركوب من مهي حرمي
وابصر من زرقاء حو لاني متى نظرت عياني سواهما علي
كأنني دحوت الارض من خبرتي بها كأنني الاسكندر السد من عرمي
فلاشارة الى السري والى حدة النصر والى الخبرة بالارض كل هذا من
مذاهب أهل البدو الذين لا يقيمون بقعة من الارض دون بقعة .

اوأنا في بيوت البدو رحلي وأوتة على قند البعير

فتارة كان يتغنى بنات الجدبل وبالفقه المجاهل والعموات

بحر ركب ملحن في زي ناس فوق طير لها شحوص الخال

من نوات الجدبل تمتني ناتي اليد مني الايام في الآجال

كل هوجاء للديابيم فيها أثر السار في سلبط الذنال

وتارة كان يتغنى سيفه :

كهرندي فرند سيني الجراز لغة العين عدة للبراز
تحب الماء خط في لطف البار ادق الخطوط في الاحراز
كلبارمستلونه منع الناظر موج كنهه منك هازي
ودقيق فذى الهاء ابقى متوال في مستوى هزهاز
الى آخر ما وصف به هذا السيف

هكذا كان دأبه في الشدو بامور البادية ولقد تخلت شفتيه هذه في اراجيره
التي كان يتشه فيها بالاعراب منها ارجوزته

مال للمروج الحصر والحدائق يشكو خلاها كثرة العواقب
فكان له حجر تسمى ، الجمامة ، ولها مهر يسمى ، الطنخور ، فاقام الثلج
على الارض باطابة وتغذر المرعى على المهر فقال المنفي . ارجوزته هذه ومن
مرأها حسب بدوياً يصب الخيل .

فل هذا من آثار مدرسه الاولى ولقد أثرت به هذه المدرسة من الساحيتين
المدة والمعوية حتى انه ان تغزل كان تغزل بالاعرابيات .

هام الغزاد بادارية سكنت بيتاً من القاب لم تعد له طسا
واذا شبه في غرله جرت على خاطره في الخال تشبهات اهل البادية ، فالرماح
والسيوف أدوات يلجأ اليها في هذا الغزل

من طاعني ثغر الرجال جآدر ومن الرماح دماخ وخالخل
ولذا أسم اعطية العيون جفونها من امها عمل السيوف عوامل
على أنكم تجدون في بعض الاحوال اثاراً حضرية الى جنب هذه الآثار
الدوية حاية من السيوف والرماح وما شابه ذلك .

لنس الوشي لا متجملات ولكن كي يهن به الجمالا
وصرن القدائر لا الحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

نعم انكم تجدون في بعض غرله وشي الحضارة ونعومتها .
حسان الشئ بقش الوشي مثله اذا مس في أجسامهن النواعم

ويبسم عن در تقلدن مثله كآز التراقي وشحت بالمباسم
ليس معنى هذا ان المتسمي لم يصف مشاهد الحصر ولكن البادية شغلت القسم
الاكظم من خياله فاذا وصف مشهداً من مشاهد الحصر عادت الى ذهنه في الحال
صور البادية، لتضرب مثلاً لذلك :

من قوله في قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم النوحى وقد تصدى لوصف
بحيرة طبرية :

لولاك لم أترك البحيرة والعور دفي وماؤها شم
والموج مثل الفحول مزبدة نهدر فيها وما بها قطه
والطير فوق الحباب تحسب فرسان تلق تحوها للجم
كانتها والرياح تضرها جيشا وغى : هازم ومهزم
كانها في نهارها قر حف به من حاسها ظلم
فانتم ترون ان لما أراد أن يشبه الموج شبه بهدير الفحول، ولما أراد أن
يشبه الطير وهي فوق الحباب شبهها فرسان حبل تلق، ولما أراد أن يشبه الرياح
وهي تضرب الطير شبهها بجيشي وغى، والفحول وفرسان الخيل والحيوش والماء الشم
والقطم كل هذا لا يخلو من اثر بدوي، واد أردتم ان تعرفوا الفرق بين هذا الخيال
الدوي وبين الخيال الحضري فارجعوا الى وصف ماء الشاعر من شعراء العرب،
ارجعوا الى وصف البحري للبركة، ومن شروط المقابلة والموازنة ان تأخذوا
قصيدتين في موضوع واحد، اداه لا يصح الموازنة بين قصيدتين مختلفتين في
الموضوع، فالمديني وصف بحيرة طبرية والبحري وصف البركة، وقد سمعتم
وصف ابي الطيب فاسمعوا شيئاً من وصف البحري، ولا يتسع المقام لذكر
الآيات كلها وانما اذكر طائفة منها :

كانما الفضة البيضاء سائلة من السباتك تجري في محاربا
اذا غلتها الصا أدت لها حكاً مثل الجواش مصقولا حواشبا
فحاجب الشمس أحياناً بضاحكها وريق العيث أحياناً يياكبها

إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسنت سماء ركبت فيها
 إلى غير ذلك من وصف السمك وعمومه والرياض وشاشتها : وأنا اترك لكم
 الحكم على الفرق بين الوصفين فانكم ولا شك تعتقدون معي بأن القصة البيضاء
 ومضاحكة الشمس وما شابه ذلك إنما هو كلام حصري لا اثر للدواة عليه
 هذا هو الطور الاول في شعره فليطرد إلى أبي الطيب وهو في ظلال سيف
 الدولة فقد وجد في هذه الظلال الوارفة أفعاً مديداً يسرح فيه حباله البدوي فانه
 لما اتصل بسيف الدولة سلمه إلى الرواحن فعدوه العرومية والطراد والمثاقفة ،
 وصحب سيف الدولة في عدة غزوات إلى بلاد الروم فنصرف المتنبي في وصف
 هذه الحروب والغزوات ألمع التصرف وأعانه على ذلك أمور شتى منها تربيته الاولى
 ومصاحبة للاعراب وما أثرت فيه هذه المصاحبة من الآثار التي شهدت معها شيئاً
 في شعره في طوره الاول وهي كلها سبيل مهيئة إلى وصف الحروب ، ومنها مصاحبة
 لسيف الدولة في هذه العزوات فاذن وصف إنما كان يصف بعد العيان فأكثر
 شعره في سيف الدولة وصف فيه هذه الحروب فلا تعرض في هذا المقام لشيء
 من هذا الوصف لأن هذا يأتي في الكلام على شعره ، وإنما غرضي في هذا المجلس
 أن أبين أن المتنبي كانت تطلب على شعره آثار الدواة وأن هذه الآثار جاءت من
 مدرسته الاولى وما هذه المدرسة الاولى الا الداية ولئن كان أبوه يسافر به من
 البدو إلى الحضر فإن صور البدو شعلت الداحية الكبرى من حباله ، فهل تدب
 حباله البدوي وهو في ظل سيف الدولة ، هل أقل من التعمي بالليل ويقونه على السير
 وما شابه ذلك فيلتنظر في هذا كله

لما اتصل بسيف الدولة اتصل بملك قد روي من بعم الحصاره وترفها فأخلق
 بابي الطيب أن تطهر على شعره آثار هذه الحصاره فأول قصيدة قالها فيه وصف
 فيها فائزة من الدياح عليها صورة ملك الروم وصورة وحش وحيوان وهو جالس
 سيف الدولة على هذه الفرة فقال أبو الطيب :

وأحسن من ماء الشبية كله حيا يبرق في فائزة أنا شائمه

عليها ريار لم تحكما سحابة واعضان دوح لم تع حائمة
 وفوق حواشي كل ثوب موجته من الدر سقط لم يثقه باطمه
 ترى حيوان البر مصطحاً به يعارب صد صد ويساله
 اذا صرته الريح ماج كنه يحول مدا كيه ونسأى صراعه
 وفي صورة الرومي دي الناح ذلة لا يلح لا تيجان الا عمامه
 فانتم تجدون في هذا الشعر صوا حضرة حتى ن غزل لمنني ظهرت عليه
 آثار رقة الحصر فقد عدل في عزله عن السيوف والرمح الى الأراهير والرياحين
 سقاك وحيلنا بك الله انما على العيس ور والحدور كانه
 ومنه قوله :

وغضبي من الادلال سكرى من الصي شفت اليها من شاي ر ق
 وأشنب معصول الثنيات واصح سرت في عه فقتل مهر في
 وأجباد غزلان كيك زري فله نسر عاضلا من مطوق
 ومنه قوله :

واني لأعشق من أحكم عولي وكل امري محل
 ولورائهم ثم لم أنكم تكيت عني حسي لرائل
 ولكنه مع هذا كله لم يفارق صور لادة دمه وكل يرجع اليها في معص
 عزله فيرجع الى السيوف وأشكال

وقد طرقت وفاة الحبي مردياً صاحب غير عزه ولا غزل
 فانت بين ترديد دمه وليس يعلم بالشكوى ولا الحسن
 ثم أعدى وده من درعم أثر عني دوائته والحسن والحسن
 ويرجع الى هذه الصور في المراتي معها

بعد المشرفة والعمالي وتقتل لمور بلا قال
 ومرتبط السوانق مقدمات وما سجين من خب البالي

ومنه قوله في هذه القصيدة :

لساحبه على الاجداث حفش كأيدي الخيل أصرت المخالي
والخمش والمخالي والخبب وارشاط السواق كل هذا من آثار الدو ولا ريب
في ذلك .

فابو الطيب في التمدل اليسير الذي تبدله وهو في ألباء سيف الدولة أي في ألباء
السيم والتروف كال يعود الى شمسته في التعي بالابل والبقرة على السير الى غير
ذلك من مذاهب الاعراب واهل الدو . من وصفه للابل :

وحكمت في البلد العراء سجع معناده محتابه معتاله
منهي كما عدت المطي وراهه ويريد وقت جوامها وكلاله
وتراخ غير معقلات حوله فيموتها منجملا معقاله
معنا الجاح وراح في احصاه وغدا المراح وراح في ارقاله
بعمانه لا يكاد يسي مرسه ورعنه وسبعه وناقته حتى في مواطن العزل :
سلي عن سيرتي مرسي ورمحي وسبي والمهلمة الدفاقا
ولا يكاد ينهل عن الخيل والبيداء :

الخيل والابل والبيداء تعرفي والسيف والرمح والقمر طالع والقلم
صحبت في الغلوات ابو حشر ممردا حتى تعجب من الكومة والاكم

هذه هي شمسة المسي وهو في طلال سيف الدولة المدينة فليطرا اليه ما غضب
على سيف الدولة ورامت به اليه البيداء الى كايور الاحشيري . فليطرا اليه هل
افلح عن هذه الشمسة أم لازمه في مصر . اطل انه لم يطلع وهو في مصر عن
شيء من هذه العادات الدونية وقد عاد الى دأبه من ذكر الخيل والقنا والموالي
وما مائن ذلك حتى في اول قصيدته في كايور .

وجردا مددنا بين ادبها القنا فبتن خفافا يتدعن المواليا
تماشي بايد كلنا وامت اصمنا نقشن به صدر البرات حواويا
ونظر من سود صوارقي لدجي يرب عبدات الشخوص كماها

وتنصت للجرس الخفي سوامعاً يحل مناجاه الصمير تادياً
ولما طاله كافور بذكر الدار التي راحها على البركة نارا الجامع الاعلى لم يقل
شيئاً في وصفها يسمى وصفاً فكانه يحقر الدور .

مستقل لك الديار ولو كان نجوماً آجر هذا الداء
ولو أن الذي يحرم من الاء واه فيها من قصة يضاء
فكل يحاول التخلص من الوصف الى المديح والوصول الى ذكر الجياد
والسمهرية السمراء والصوارم البيض والهيحاء

وبساتينك الجياد وماتحه ل من سمهرية سمراء
انما يفخر الكريم ابو المسك بما يبني من العلياء
وبايامه التي انسلحت عنه وما داره سوى الهيحاء
وما اثيرت صوارمه اليضله في حاحم الاعداء
لابما يبني الخواصر في الرءف وما يطبقي قلوب النساء
فاين هذا الخيال من خيال البحري في وصفه لفصور بي العانس في بغداد .
نعم لم يقلع عن هذه التشبث حتى ولا في غرله فهو لا يحب الا الدويات
ما أوجه الحضرة المستحسبات به كأوجه الدويات الراعيب
حسن الحضارة محبوب بنظرة وفي الدواة حسن غير محبوب
ابن المعيز من الارام ناطرة وعبرناطرة في الحسن والطيب
أفدي طباء فلاة ما عرف بها مضع الكلام ولا صبح الحواجيب
ولا برزت من الخام مائلة أوراكن صقيلات العرايب
ولما أصابته الحمى وهو مصر ووصفها لم يقل في وصفه عن التعني بما

بتعني به الاعراب عادة .

ذرائي والهالة بلا دليل روجهي والهجير بلا لثام
فاني أستريح بندي وهذا وأتعب بالاناخة والمقام
عيون دواخلي ان حرت عيني وكل مقام راحلة نغامي

فقد أرد المباش بغير هاد سوى عدي لها رى العمام
 فأنتم تروون في هذا كله آثار ما يعنى به الاعراب عادة فسلوك الملاة بلا
 دليل . واعتياد السير في المحير بغير لثام . والمعرفة بدلالات الحجوم بالليل واعد
 رى العمام كل هذا مما يضجر به أهل الدو .

ولما فارق مصر وورد الى الكوفة وصف مازل طريقه فكان المتني
 مطلع شوب بدوي في هذا الوصف

ألا كل ماشية الخيزلى	فدى كل ماشية الهينقى
وكل نجاة بجاوية	حوفوه انى حسن المشى
ولكنهن جبال الحياة	وكيدالمداقوميط الادى
صرت بها اليه ضرب الـ	نهار إما لهذا وإما لدا

وكذلك لارنى اشجاع فاكأ وهو في الكوفة بعد حروجه من مصر أشار الى العيس :

لا أبغض العيس لكنى وقيت بها	فدى من الحزن أو جسمي من السقم
طردت من مصر أيد بها مارجلها	حتى مرقن بنا من جوش والعلم
نرى لمن نعام الدو مصرجة	نعارض الجدول المخرقة بالبحر

هل رعب المتني . عن مداه أهل الدو في آخر طور من أطوار شعره فانه لما خرج
 من مصر وقدم العراق ثم شخص من العراق الى بلاد فارس اتصل بأهل العبدو مضدا لدولة
 وعرف ان الذين يحالسمهم في فارس هم غير لاعراب وأشار الى ذلك في أماديجه في ابن العميد :

من مطلع الاعراب انى بعده	جالست وسطا ليس والاسكندرا
X ومالت نحر عشاوها فاصاقي	من ينحر البدر التضار لمن فرى
وسمعت طليدوس دارس كنبه	تملكاً متبثاً متحصرا

ثم جالس المتني في بلاد فارس أمثال وسطا ليس وطليموس وجارى الفرس
 في عاداتهم في البيروز في اتخاذ أكاليل من البات والرهز ولبس هذه الاكاليل :
 مللسماهه الاكاليل حتى لبستها تلاحه ووهاده

وشهد مشاهد تاحذ بمجامع القلوب مثل شعوب روان
معاني الشعب طياً في المغاني ممرلة الربيع من الزمان
ومع هذا كله فقد بقي بدوياً فحاً كما كان في صباه، شهد هذه المشاهد كلها فلم يزد
في أعرايته ولئن رقق غرله بعض الشيء وخرج من العزل بادويات إلى
التفزل بالشاميات :

شامية ~~ظالما~~ خلوت بها تبصر في ناظري عجايبها
فقبلت ناظري تفاعلني وإنما قبلت به فاهها
فلينها لا تزال آوية وليته لا يزال مأواها
نزل حدي كلما بنسبت من مطر برقه ثباتها
من عصت في يدي عداوتها جعلته في المدام أوقاها
لئن رقق هذا الفزل بعض الشيء ولئن تبدل حياله مص التبدل فما تبدلت
أعرايته حتى أنه عاد في القصيدة نفسها التي نمرل فيها بالشاميات إلى ذكر
العرو والصيد وقد كتبت ثبوت عليكم آيات هذا العرو وهذا الصيد
أنا أعشت روضة رعيها أو ذكرت حله عرونها
وعاد إلى المعى بالقفا والطعام
فأما تربني لا أقم بلده ورفه عهدي في لوفي وفي حدي
بحر نقابوه اطعمان مفوتي فأحرمه عرضي وأطعمه حدي
تدل أبياني وعيشي ومذلي نحائب لا يفكرن في الحسن والجمال
لئن بدلت هذه النجائب بامه وعيشه وممرله فبأبدت أعرايته وأرجوته في
عصدة الدولة وقد خرج للصيد دليل على تعلقه بهار هذه الأعراية وهي من أحرشعره
مأجدر الأيام والليالي بأن تقول مله ومالي
فأثار مدرسته لأولى طاهرة على شعره من ابتداء أمره إلى منتهى .

١٥ آذار سنة ١٩٣٠

نبوة المتيب

٧

مرنكم ان انا الطيب لما نزع وعرو نو في اوه . فالحسين فارق الدنيا
وامه احمد في عهوان صوته . فلما قرب انا انصب في اول حركة من حركاته بعد
ان تم له ماتم من طاب الادب واللغة في البادية والحضر . فلنقتصر اخبار ذلك
الامر العظيم الذي ذهب بحقيقة اسمه وحمل له اسماً آخر حالداً على وجه الدهر
وهو المتنبى . لماذا لقوه بالمتنبى . هل تدان ابو الطيب وكم كان عمره في دعوى
النبوة . ما هي احوال رحل اذارح في هذه النبوة . هل سوا اليه اموراً غير دعوى
النبوة . هل نسوا اليه انه هم بالخروج او انه دعى انه عدوي . او انه ادعى غير ذلك .
ما هي معجزاته . ما هو قرآنه . ما هي اقواله في موته وقرآنه هل نبياً له شيء
من اسباب التأثير في عقول الاعراب . هل صرح في شعره بدعواه . هل وطن
عنه لدنوت وهو في السجن على نحو اكابر الرجال الذين لا يبالون بما يصيبهم في
سبيل مذاهبهم أم أو من رحليه ثقل الحديد . فاستعاث واستصرخ .

لماذا لقوه بالمتنبى ؟

حكى ابو الفتح عثمان بن جني وابن جني هذا صاحب اب الطيب دهرأ طوبلا قال
سمعت ابا الطيب يقول انا لقيت بالمتنبى لقولي

انا في امة تداركها الله
عريب كصالح في ثمود
وفي هذه القصيدة يقول :

مامقامي بأرض محلة الا
كفام المسيح بين اليهود
فتشبهه بصالح وبالمسيح مدعاه الى تلقيه بالمتنبى .

هل نسا المتني . وكم كان عمره لما تنبأ . وما هي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة ؟

قال ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللادي .

قديم ابو الطيب المسي . اللادية في سنة عشرين وثلاثمائة . (كان عمره يومئذ سبع عشرة سنة) وهو لا عدار له . وله مرة الى شحمي اذنيه . فاكرمته وعظمت له ارايت من فصاحته وحسن سمعه فلما تمكك الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اعساناً لمشاهدته واقتباساً من اديه قلت له : والله انك لشاب حظير . تصلح لما ادمه ملك كبير فقال . ويحك أتدري ما تقول . اناسي مرسل . فقلت انه يهزل ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هل قط . منذ عرفته فقلت له : ما تقول . فقال اناسي مرسل فقلت له . مرسل الى من . قال : الى هذه الامة الصالة قلت : تعمل ماذا . قال . املاً الديباعدا كما ملئت جوراً . قلت سماد . قال بادار الارزاق والثواب العاجل والاحجل لمن اطاع واتى . وصرت الاعناق لمن عصى واتى فقلت له . ان هذا امر عظيم احاف منه عليك ان يظهر وعدته على ذلك فقال بديهاً

ابا عبد الآله معاذ اني حي عنك في المبعجا مقامي
ذكرت جسم ما طلسي وانا محاطر فيه بالمرح الحسام
أمثلي تأخذ المكبات منه ويخرج من ملاقة الحمام
ولو برز الزمان الى شخصاً لحضب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيتها الليالي ولا سارت وفي بدعا زمامي
اذا امتلأت عيون الحبل مني فويل في اليقط والمسام

هذا قول ابي عبد الله معاذ اللادي في نبوة المسي . [فليسمع قول كافور الاحشدي وانتم تعلمون ان ابا الطيب لما غضب على سيف الدولة قصد كافوراً فوعده كافور بولاية بعض اعماله فلما رأى تعالىه في شعره وسموه نفسه خافه وعونب فيه فقال باقوم من ادعى الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم . اما بدعي المملكة مع كافور فحسبكم .

أما أبو العلاء المعري، فقد ذكر عنه الأستاذ عباس محمود العقاد في مقال له في البلاغ، عنوانه هل تنبأ المنفي، أنه قد شك في دعوى النبوة وبنى مقاله على هذا الشك. فهو يعتقد أن قصة النبوة رويها عن أبي الطيب جماعة من أهل عصره أكثرهم من خصومه وحساده أو من ملحق بالأحاديث.

وقد رجعت إلى كلام أبي العلاء فلم أجد فيه ما يدل على أنه كان يشك في دعوى النبوة فهو صدق الدعوى وروي أحاديث حدثه بها الثقة عن معجزات المنفي، وهذا كلام المعري "١".

وحدثت أنه (أي المنفي) كان إذا مثل عن حقيقة هذا اللقب قال: هو من النبوة أي المرتفع من الأرض وكان قد طمع في شيء طمع فيه من هو دونه. وأما هي مقدير يديره في العلوم ويرضها من وفق. ولا يرابع لمحمد أن يخفق، وقد دلت شياً في ديوانه أنه كان مثلاً لها. ومثل غيره من الناس مسلطاً، فمن ذلك قوله ولا علة إلا خالفه حكماً

وقوله

قد رآه أن يحزي بريته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

وإذا رجع إلى الحقائق فطق للسن لا ينفي عن اعتقاد الإنسان، لأن العالم محبول على الكذب والحق ويحتمل أن يظهر الرجل بقول تدياً، وأما يجعل ذلك تزيتاً، يريد أن يصل به إلى ما أو عرص من أغراض الخلة أم الفناء، ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعددون وفي أصل ملحدون.

فمن هنا يبين لكم أن أبا العلاء لم يلحقه الشك في الدعوى التي ادعاها المنفي حتى أنه يزل علة هذه الدعوى فأشار إلى ضمع أبي الطيب في شيء قد طمع فيه من هو دونه، وسنسمع من أحاديث معجزات أبي الطيب التي حدث بها أبو العلاء، وإذا شك المعري في شيء طاه قد شك في صدق النبوة لا في صدق دعوى هذه النبوة وأمرق بين الشكيب ضاهر.

وكأنه
أن
الأم
وهو
النبوة
النو
ما
من
مسه
سليم

ومن الذين تكلموا على دعوى السوء أبو منصور الثعالبي فقد قال
ويحكى انه تنبأ في صباه وقت شردمة بقوة ادبه وحسن كلامه
ومهم الاساري صاحب الطلقات فقد قال

قال علي بن حامد : سمعت قوماً يحسب يحكون ان ابا الطيب المتنبى تنبأ ببادية
السماء وبواحيها ان حرج اليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاحشيدية فحاسبه
وأمره ، وشرد كل من كل جمع عليه من بني كلب وكنان وغيرهم من قبائل
العرب وحسنه في البحر دهرًا طويلاً حتى كاد تلتف دسئل في أمره واستنائه
وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها علال ما أعاد ، رجوعه الى الاسلام ، وأطلقه .

• • •

هذه أمور من تكلموا على دعوى سوء المتنبى ، على ما مضى من أخباره
المتنبى . أمور رأيت ذلك من رصمعه في أمثله ، أعادته له ، وعيد ذلك عنه بذكره .
الثعالبي قبل . بتكلم على دعوى سوءه ، وقد سمعتم كلامه . تكلم على طاب
الملك فقال :

وبلغ من كبر نفسه ، وأعد منه . دعا الى بيعته قوماً من رائيشي له على
الحدائق من سنه ، والفضاضة من عورده . وحين كاد يتم له أمر دعوته . أدى
حبره الى ولي البلد ورفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحسنه وتقييده .

وابن خلكان يروي دعوى نبوته وقال :

وانما قيل له المتنبى . لانه ادعى السوء وهو في اذية السماء ونعمه خلق ك
من بني كلب وغيرهم . فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاحشيدية فأمره
وتغرق أصحابه وحسنه طويلاً ثم استنائه وأطلقه ثم قال بعد هذا
وقيل غير ذلك . وهذا أصح . ف الذي قيل غير ذلك . فلم يبيته من
خلكان الى ان قال :

وقيل أنه قال : اما أول من تنبأ بالشعر .

وابن الاباري تكلم على دعوى النسوة وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف
اليه ما يلي :

وقال القاضي ابو الحسن بن أم شيخان الهاشمي الكوفي . وكان ابو الطيب لما
خرج الى كلب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النسوة ، ثم عاد يدعي انه
علوي الى ان شهد عاياه في الشام واطلق .

فأدعي شخص من كل ما عدت الإشارة اليه ان الافوال في أمر المدي .
متباينة فمنهم من قال انه ادعى النسوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من
قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .

ولا بأس بان الملح الى طائفة من معمراته وقرأه ما دام بعض رجال
التاريخ قد تكلموا على ديونه .

أما المعجزات فقد ذكرتها ابو عبد الله مع عدد من سمعيل اللاذقي حبس
المطر . من شاء فليقرأ خبرها في النصح المدي . وذكر ابو العلاء المعري غير
حبس المطر فقال :

وحدثني الثقة عن حديثنا معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج
فيهم قالوا له وقد تسود أعراهم ماها باقة صعبة فان قدرت على ركوبها افررا
انك مرسل . وانه صلى الى تلك الدفة وهي رائحة في الابل فتجبل حتى وثب على
طهرها فنفرت ماعة ونكرت برهة ثم سكر هارها ومشت مشي المسمحة وانه
ورد بها الحلة وهو راكب عاياه فمحبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله
عده .

وحدثت ايضا انه كان في دير ان اللاذقية وان بعض الكتاب نقلت على
يده سكين لافلام شريحته جرحاً معرط وان أبا الطيب نقل عليها من ريقه وشد
عليها غير منتظر لوقته وقال المجروح لا يحلها في يومك وعد له اياماً وليالي .

وان ذلك الكاتب قبل منه فبرى. المرح قد اروا يعقدون في اي الطيب اعظم
اعتقاد ويقولون هو كحي الاموات

وحدث رجل كان ابو الطيب قد ارضى عنه في اللادفة او في غيرها من
اسو احل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل
ولقيهما كلب الخ عليهما في النباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو
عندك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الى الامر على ما ذكر
ولا يمتنع ان يكون اعد له شيئاً من المطاعه مسموماً واثماً له وهو يحني عن
صاحبه ما فعل، والخرق سم الكلاب . .

واما القرآن فما انا ابو عليكم منه ما دونه صاحب الطلعات نقلا عن ابي عبي
ر حامد، قال ابو علي .

وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن ارسل عليه فكانوا يحكون
له سوراً كثيرة سمعت منها سورة ثم صاحت وبقي اولها في حفطي وهو والحم
السيار، والعلك الدوار والليل والهار ان الكافر لي احطار . امص على سنتك .
وانف على اثر من فلك من المرسلين فان الله قانع بك ربيع من الحد في دينه وحل
عن سيده، قال: وهي طويلة لم بق في حفطي منها غير هذا . .

سمعت هذا كله فلتسمع ما نقل لنا عن المتني في هذا القرآن وفي هذه الدولة قبل
انت على نفسه قرآه ودرته

قال ابو علي بن حامد . وكان المتني في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآه
هذا وامثاله مما كان يحكي عنه انكره وحجده . وقال له ان خالويه الحوي يوماً
في مجلس سيف الدولة : لو لا ان اخي جاهل لما رضى ان يدعى بالمتني . لانه معنى المتني
كاذب ومن رضى ان يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال لست ارضى ان ادعى بذلك
وانما يدعوني به من يريد الفض مني ولست اقدر على المنع .

قال التنوخي : قال لي ابي : فاما انا فسأله بالاهرار عن معنى المتني . لاني
اردت ان اسمع منه هل نسا اولاً فجاوبني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء

كان في الحادثة فاستحييت أن استقصي عليه فامسكت

وقال له بعض الاكارم في مدينة السلام : حذر في من اتق به أنك قلت أنك نبي

فقال : الذي قلته : انا احمد النبي .

هذه حجة ما يتعلق من الآخر بدعوى يهود المتنبى ودعوى عويته ودعوى

ممه بالخروج وغير ذلك فيكاد يحار الاسر في الدعوى التي ثبتت عليه . وانا

لأرى ابن حني وهو من اصحاب ابي الطيب بين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبى .

ورى انا عند الله معاذ بن اسماعيل الانبي يروي لنا قدوم المديني اللاذقية وادعاءه

السوة ويرى كافوراً يصدق دعوى نبوة المتنبى . وهؤلاء كلهم من أهل عصر

المتنبى . وبالنسبة الى العلماء المعري يحدث عن ثقة احاديث معجزات المتنبى

وما يسميه وبين ابي الطيب الا القليل من السنين . وقرأ الانباري يتكلم في طبقاته

على دعوى السوة وكذلك الله لي وكذلك اس خلك اذ يرى الثعالبي نفسه يتكلم

على هم المتنبى . اخروج على السلطان . ونرى الانباري نفسه يتكلم على ادعاء

المديني العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر غير النبوة . وغير العلوية

ويرجحها عليها ولا يذكره ويرى المديني . عنه اذا ذكرت له النبوة والقرآن

بكرهما مرة ويغلط مرة أخرى ويقول ان هذا شيء كان في الحادثة فالاساس

كما قلت لكم يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المديني لم يصرح في

شعره بالسبب الذي من أحله حذر وانما طالب ان الولي ان لا يقل رور الكلام

وان لا يسمع من الكاشحين وان يعرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك نقل رور الكلام وفقد الشهادة فقد الشهود

فلا تسمع من الكاشحين ولا تعان معجل اليهود

وكر فارقاً بين دعوى أردت ودعوى فعلت تشاو بعيد

فقد يجوز ان ابا الطيب أراد أمراً من الامور ولما هم بهذا الامر أحقق ، فما

هو هذا الامر ، فالتنبي يقع في حدي ان لرجل فيكم حب الملك قل اعتقاله اي

قبل ان تشيع دعوى من الدعاوى المذكورة وقصيده التي قلها في صاوة التي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتم
قد امتلأت من أماليه البعيدة في الملك

أيملك، لملك ولاسياف طامئة ، الظير حائفة لحم على وصم
من لوراني ماء مات من ضاً ولو مثلت له في اليوم لم سم
ميعاد كل رقيق الشمرتين عد ومن عصي من موك العرسو اعجم
فان أجابوا فما قصدي بها لحم وان تولوا فما أرضي به سم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا ياتي بالطرق التي من نحوها ياتي
هذا الملك سواء عليه أجاه من طريق السوة أم من طريق العلوبة ، من طريق آخر
فقد يجوز أن نفسه وسومت له ان تجعل السوة سبيلا الى الملك ، وعلى الحصرص
بعد ان اجتمع له الشيء الكثير من أساب التأثير في عقول الاعراب من حملتها
حبرته بالارض وفصاحته حتى حكوا عنه انه لم يكن يحرق به على امر ددنة
انه كان مشاء ، قويا على السير بسير سيرا لا عانة معه ، وكان عارفا بالفلوات
ومواقع المياه ومحال العرب بها وكس يسير من حلة الى حلة ابادية وبهها مسيرة
ارعة ايام فيأتي ماء يغسل يديه ورجليه ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة ويحرمهم
عما حدث في تلك الحلة التي فارها ويذهبهم الى الارض تطوى له ، أولا بحور
معه حشيه بظف امك بعد ان تزيه له هذ كله وتبها له شيء أعظم من هذا وهو
حسن اسباب ، وقد شهدوا له مصاحته وأشار اليها في شعره فقال ،

وكله في طريق حفت أعربها فيهندي لي ولم افسر على الداح

فالرحل مطبوع على المصاحبة والاعرب كل هذا من الامور التي ترضى
له السبيل الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، واسكنه نفسه قوة العقيدة فم يؤ
عنه انه كان متبياً في عقيدته ، شديداً في ديبه ، وقد أوضح عن ضعف العقيدة ،
ورقة الدين في كثير من شعره ، منه قوله :

تقصير الافهام عن إدراكه مثل لذي الافلاك فيه والاس
وقوله : لو كان علمك بالاله مقصيا في الناس ما بحث الاله رحولا

وقوله : و كانت ح البحر مثل يمينه
 وقوله يا من تلود من الرمان طله
 الى كثير من شاه هذه الالبات ، فلما هم ما رد لم بهم له شيء من مراده ولعن
 لاعراب عسهم الذين صحتهم في البارية هم الذين وشوا به
 ومدقعين مسرود صحتهم عارب من حان كاسير من درون
 خراب يادية عرقى طوهم مكن الضباب لهم زاد بلا نعم
 يستحرون فلا اعطهم حربي وما يصش لهم سهم من الفطن
 وكيف كل اسب الذي من اجله حس فان المتاني من مص المناة في
 حسه ففان .

كن ايها الدهن كيف شئت فقد وطأت للموت نفس معترف
 لو كان مكاني فيك موصلة لم يكن لدر ساكن الصدف
 ولكنه بعد ان قال هذين البيتين وهما في منة لا اخلاق والصبر على المكاره
 في سبيل مذهب من المداخات و معصم من المنقذات صانه الصبر وضد غرره
 فقال للوالي

أمدك ربي ومن شانه هبات اللجين وحق العبيد
 دعوتك عند انقطاع لرحاء والموت مني كحل الوريد
 دعوتك لم راني السلا واوهن رجلي ثقل الحديد
 فابن توطين النفس للموت من هذه الاسمائنه

حياة المتنبي

٨

أرى أن أفني اليكم مددكم بكلمت على وطن أبي الحبيب وعن نفسه وعن
تحصيله وعلى روايات حوته بحمله أحاره وهو في ديار الشام وفي طلال سيف
الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس، على أن تكون أحاره هذه متسلسلة
ليس فيها شيء من لافضاب، وكنت أحب أن اختصر الكلام على هذه الأخبار
حتى أصل إلى الكلام على أخلاقه وروحه وأمنه وشعره وبعض نظراته الفلسفية
ولأقصاء مددكم ولكي لا أحدي مدوحة عن أن أروي لكم المهم من هذه
الأخبار مما له تأثير في شعره. فسجدون في الآتي أن أأطيب قد
شكا الحسد في كثير من قصائده. وسجدون أن الأحرار أنني سأرويها لا تخاو
من ارتباط بهذا الحسد الذي أكثر من الإشارة إليه في شعره. فالرجل كالب
محسوداً في جميع حالاته. في فقره وفي غناه.

فدطر إلى حاله أبي الطيب قبل اتصاله سيف الدولة. فقد علمتم أنه لما
سبوا إليه أنه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة. فكانت في أول أمره في
خشونة من عيشه ورقة من حاله بعوزة كل شيء. يعوره الساعم من الملاس
والسكرتم من المصايا / توفي أبوه وميراً فصر ب المتنبي في ماسك الشام
التمسأ للرق وحال في إسرائي. لحواضر ومدح رجلا من مسع و طرابلس
الشام و طرسوس وأنطاكية وطبريا ودمشق وعلك و مر حمص وبقاب
لبنان وغير ذلك من بادية الشام وحضرها:

[١] أمت رحلي وجعلت أروحي فتودي والغريبي الحلالا

فما حاولت في أرض مقاماً ولا ازمنت عن أرض زوالا
على قلق كأن الريح تحتي أوجها جنوبا أو شمالا
حال أبو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أذل نداه وكرمه فقد
كان فقيراً شكا فقره وتنوعت شكايته . فمرة كانت اعصابه تهيج في شكوى
الفقر :

إلى أي حين است في زبي محرم وحتى متى في شقوة وإلى كم
ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدوء
يا لله حال أرجيها وتحلفني واقتضي كونها دهري وبمطلي
لم يسكن للمعنى في أول أمره شيء من المطايا فلا مطية له إلا العلف والخبث
ولا لباس له إلا القطن الخشن

لا باقني ثقل الرديف ولا بالسوط يوم الزمان أجهدا
تراكها كورده ومثورها زمامها والشسوع مقودها
وقد أكثر من النعم بقلة المطايا
(١٢) وحبيت من خواص الركاب مأسود من دارش فعدوت أمشي راكبا
حال متى علم ابن مصور بها جاء الزمان إلى منها تائها
[نعم كان أبو الطيب يشكو الفقر على أنه لم يقصر في طلب الرزق :
صدق صدري وطال في طلب الرزق قيامي وقل عنه قعودي
إذا أقطع اللاد ويحني في نخوس وهمتي في صعود
ولعلي مؤمل بعض ما أطلع باللفظ من عري حديد
لسري لباسه خشن القطن ومروي مرو لئس القروود

ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد

إلى كم ذا الحلف والنواني وكم هذا التهادي في التهادي
وشعل الفرس عن طلب المعالي يبيع الشعر في سوق الكساد

يضحكى ابن علي بن مصور الخاجب الذي أملاه ورجاه لم يعظه علي

نصيده التي فيه وأولها:

باني الشموس الخاضعات غوارما

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية

لم يقصر أبو الطيب في السعي ولكن آماله حانت عنه من كان بمدحهم
مدحت قوماً وإن عشا طعتهم قصداً من أدب الخيل والحصن
فكم سعى إلى حاجة ولم يبلها شيئاً .

فقل في حاجه لم قص منها على شعبي بها شروى فيه
وكم طلب الرزق لخدمته ففاته هذا الرزق

طالت لها خطاً نصت وفاي وفترصبت في لورصبت بها فسا
فلا ذنب له في هذا كله . والله يرجع إلى الدين بذكره له الخود
ولا يحصل من جودهم إلا على الكلام

أرى ألسناً ومحصولي على عزم وذكروني على الكلم
على أنه أذم بعض مدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يخشوا عيبه . في حملتهم
أبو العشار .

هذه حاله وهو في ديار الشام . شكاه في كل شيء . شكاه فقره واحداً في السعي .
وكساد شهره في أسواق بعض المدوحيين . ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد
الحساد وشتمه الشاميين وكيد الكائدين . نعم لم يخل من حسد الحساد :

فلو لي حسدت على نفس لجدت له لذي الجود العثور
ولكي حسدت على حياتي وماخير الحياة بلا سرور

ولم يحذر من شتمه الشاميين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيها الشتمه
إلا الأثم اللؤم . فقد شتموا سموت خدمته .

لئن لدت يوم الشاميين بيومها لقد ولدت مي لأفهم رعا
ولا خلا من كيد الكائدين :

ان الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله

فلمحت عن احبار المتدي وهو في طلال سيف الدولة . قبل استمر
أو الغلب في شكوى الفقر من استمر في شكوى الحسد
كرب المتدي . قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والعريب ويصطاد
ما ير كركي واعداً . هكذا قال في الحاشي وقد حقق عدداً ذلك وقبت
من حاشي في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي سنة التي منح فيه سيف الدولة
وكان عمره حينئذ أربعاً وثلاثين سنة .

كيف احضر سيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كان رأي
مصر الشعراء ورجال الادب فيه وكيف كانت في أقطاب سيف الدولة وما هي الاسباب
التي من أجلها فرق أو غضب سيف الدولة .

قال أبو عبد الله ياقوت الرومي

ولم ينالني بعد خروجه من لاء حال في حمو . وضعف حال حتى انصل
بني العشار ومدحه . ما كرمه الله "مشي" وعرف منزلته وكان أبو
العشار والي اناكبة من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم
المتدي اليه . واثى عنده سنة وعمره مائة من الشعر ولادب . واشترط المتدي
على سيف الدولة . ان اتصاله به في اشد مدحه لا يتده الا وهو قاعد .
وامه لا يكف قبل الارس من يده . فذهب الى اخوان ودخل سيف
لدولة تحت هذه الشروط . وطلعت في سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة . وحسن موقعه عنده فقره واحده الخواثر السنية ومالت نفسه اليه
واحدة وسببه الى اوائس . فمروا بقرية . فمروا بقرية . وحكي انه صحب
سيف الدولة في عدة عداوات الى بلاد الروم . منها غزوه الغناء التي لم يبح منها
والسيف لم يبق معه . فمروا بقرية . فمروا بقرية . فمروا بقرية . فمروا بقرية .
خرد سيف الدولة سيفه ودخل في امسكه وورق "صقوف وبيد الالوف

هذا هو أبو انتداله سيف الدولة بعد - كان يشكو شقوته وقلة مطايا
 وحقاقه في السعي وكاد شعره . انقلت حله خال في كثرة حله وحوله .
 الشرق ونغرب أومه عبه فصددهم وكون مع لرس
 وعرفهم ناني في مكارمه فبص الحرف في الخيل والحوار
 لقد عرف أبو الطيب في مكارمه سيف الدولة لما عرفت حتى أنك لرس
 لا مال له وانعل حيله دمه .

لترك اسرى حتى لم يبق له . واعلت أورامي . معك عسجد
 من مكان سيف الدولة عطية كل سنة ثلاثة آلاف دينار ما عدا الخيل والحواري
 الخاتم والحوار والاقطاعات .

أسير الى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره حسامه
 من هذه الاقطاعات - عين وهي قرية باب حاب وصف وهي قرية بالمعرة
 وكان له وكل يتوكل له في داره تحلب اسمه أبو سعيد . فأيس حاله هذه من
 شقوته التي كان فيها ولا مظية له الا فداءه . ولا لباس له الا القطن الخشن ولأن
 يكلم أبو الطيب وهو عد سيف لدوله بشار المياسير الاعياء . مستحذون انه
 سيتكلم بعد تركه سيف الدولة بشار الملوك أصحاب العبد .

سليم

ولكن نعمة مثل هذه النعمة لا تنجي صاحبها من حسد الحساد وكيد الكائدين
 وعلى الخصوص اذا كان صاحب هذه النعمة قد زاحم غيره من اشعراء عابها . وما
 أكثر اشعراء الوافقين باب سيف الدولة . وما أعظم الحرق بين مرثتهم ومردة
 أبي الطيب . فكان من المنظر ان يكثر حساد أبي الطيب . واب يموت بعضهم
 حسداً . وما خلا عصر من العصور من حسد الحساد وكيد الكائدين .

فلتقص أساء الدين ألمهم ان يكون أبو الطيب في طلال سيف لدولة .

مهم السري الرفاء فقد ذكروا انه لما سمع بيت المتنبي .

وخصر ثنت الاصار فيه كأن عيه من حلق طاما

قال: هذا والله معنى مقدر عليه ، مقدّمون ، ثم انه حم في الحال حسداً وتحامل
الى منزله ومات بعد ثلاثة ايام (١)

ومعه ابو العباس البامي ، فقد ذكروا ان سيف الدولة كان يعيل اليه ميلاً شديداً
الى اب حاه المتني ، قال عنه له بعد ذلك أبو العباس ، فلما كان ذات يوم حلا
سيف الدولة وعائنه وقال : الامير لم يقص علي ان عيدان السقاء ، فأمسك سيف
الدولة عن حوانه ، فلع وألح عليه وضاه بالخواب ، فقال : لا لك لا تحسن
ان تقول كقولك

يعود من كل فتح غير معسر وقد اعد اليه غير محتمل
فحص من بين يديه مقتضياً واعتقد ان لا يمدحه ابداً ، وابو العباس هذا هو
القائن كان قد بقي في الشعر راوية دخلها المتني .

ومعه ابو فراس الحمداني فقد ذكروا انه قال لسيف الدولة : ان هذا
المشرق يعني المدي كثير الادلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف
دينار عن ثلاث فهدئ وبمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً بأنور
ما هو خير من شعره فآثر هذا الكلام في سيف الدولة وعمل بفرو كان المتني
عائناً ببلغة القصة ولما حصر دخل على سيف الدولة واشده هذه الايات
ألا ما لسيف الدولة اليوم عائناً فدهاء الوري أمص السيوف مضارباً
وماي ادلأ شفت اصرت دونه تانف لا اشتاقها وساسبا

(١) هذه رواية الصبح لمسي والندي ذكره الثعالبي في بنيمته في كلامه على السري
الوفاء ان السري لما توفي سيف الدولة ورد بغداد ومدح امهلي الورير وغيره
من الصدور ، فالمعروف ان سيف الدولة كانت وفاته سنة ٣٥٦ اي بعد مقتل
المتني بسنتين قبل كان حسد السري للمتني بعد وفاة المتني ، ما أظن شيئاً من
ذلك والبيت الذي حكوا عنه انه قتل السري قد أحده السري نفسه و تصرف فيه فقال :

أحاطت عيور العاشقين تحصره فمن له دون الصطق نطق

فرواية الصبح المتني غير قاطعة .

وقد كان يدني مجلسي من سبائه
 حائبك مسؤولاً وليك داعياً
 أحادث فيها بدرها والكواكب
 وحسي موهوباً وحسبك واهدا
 أهدا جزاء الصدق ان كنت صادقا
 أهدا جزاء الكذب ان كنت كاذبا
 فان كان ديني كل ذنب فانه
 محاذ الذنب قل المحو من جاء تابا
 فأتى طريق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته فحرج المديني متغيراً وحصر أبو فراس
 وجماعة من الشعراء بالعوا في الوقعة في حق المديني وقطع أبو الطيب بعد ذلك
 ونظم القصيدة التي أولها :

واحرى قلباً من قلبه شيم

ثم جاء واشدها وجعل ينظم فيها من القصير في حقه بقوله .
 مالي أكنتم حراً قد يرى حسدي
 وتدعي حب سيف الدولة الامم
 ان كان يجمعنا حب لعنة
 فليت انا بقدر الحب انقسم
 قد زرنه وسيوف الهدم معده
 وقد بطرت اليه واسبوف دم
 هم جماعة يقتله في حصرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه
 قلباً وصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي
 بك الخصاء وانت الخصم والحكم
 قال أبو فراس قد مسخت قول دجيل
 ولست ارحو انتصافاً منك اذرفت
 عبي دموعاً وانت الخصم والحكم
 قال أبو الطيب :

اعينها بطرت منك صادقة
 ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
 فعلم أبو فراس أنه يعنيه فقال : ومن انت يا دعي كدة حتى تأخذ اعراض
 الامير فاستمر في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال

سيعلم الجمع من ضم مجلسنا
 بانني خير من تسعى به قدم
 انا الذي نظير الاعشى الى ادبي
 واسمعت كلباتي من به صمم
 فزاد ذلك ابا فراس غيظاً وقال : قد سرفت هذا من عمرو بن عروة بن

العبد حيث يقول :

أوضحت مر طرق الآداب ما اشتكلت دهرأ واظهرت اعرامأ وابداعا
حتى فتحت بانحياز خصصت به للعمي والعم اصارأ واسماعا
ولما انتهى ابو الطيب الى قوله .

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والفرطاس والقلم
قال ابو فراس : وماذا اقبلت للامير اذا وضعت نفسك بالشجاعة والفصاحة
والرياسة والسماحة ، تمدح نفسك بما سرقت من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير
اما سرقت هذا من الهبتمن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثاني .
اما ابن الملا والطمس والصرى والسرى وحرد المذاكي والقفا والقواضب
فقال ابو الطيب

وما انتفاع اخي الدنيا ساطره اذا استرت عده الانوار والظلم
وقال ابو فراس
وهذا سرقة من قول معقل العجلي :

ادالم أمير بين نور وطلمة يعني فالعيان زور وباطل
ومنه قول محمد بن احمد بن أبي مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك نعيه ما يرى فما الفرق بين العمي والصره
حتى غضب سيف الدولة من كثرة ما فشته في قصيدته هذه ودعاويه فيها
فصره بالدواء التي بين يديه فقال ابو الطيب :

ان كان سرکم ما قال سادما فما لجرح اذا ارضاكم ألم
فقال ابو فراس : هذا اخذته من قول بشار :

اذا رصيم بان نجى وسرکم قول الوشاة فلا تنكوى ولا ضجرا
ومثله قول ابن الرومي :

اذا ما الفجائع اكسدي رضاك فما الدهر بالماجع
فلم بلغت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس وانعجه بيت المتنبي . ورضي عنه في

الحال وأذناه وقبيل رأسه وأجاره بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى . .
لم يقتصر إيلام أبي الطيب على الشعراء انفسهم وإنما تعدى الشعراء الى بعض
رجال اللغة ممن كان يصطف اقوالهم في حصرة سيف الدولة .

من هؤلاء اللغويين أبو عبد الله بن حاليو النحوي فقد حكوا انه جرت مسألة في
اللغة في حصرة سيف الدولة تكلم فيها ابن خالويه النحوي مع أبي الطيب اللغوي
وكان المتنبي حاضراً فصفه المتنبي قول ابن خالويه فاخرج ابن خالويه من كفه
مصاحاً حديدأ ليحكمه المتنبي ، فقال له المتنبي اسكت ويحك فإليك العجمي وأصلك خوري
فإليك وللغربية فصرب المتنبي بذلك المصاح فأسال دمه على وجهه وثيابه فعضب
المتنبي من ذلك اذ لم يقتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً .

فنصروا مقدار إيلام المتنبي . هؤلاء الرجال حتى ان واحداً منهم لم يستطع
ان يملك نفسه ، وبضبط حركته في ساعة الغضب فيممد الى اللكم والصرع وهذا
منتهى الغيظ .

وقد كان لهذه الامور كلها أثر في شعرا أبي الطيب ولئن شكا الحسد وهو في
حشونة من العيش ، فاحلق به ان يصجر من حسد الحساد وهو يتقلب في طلال
العيبر فما غفل الحساد عن المتنبي وهو في حصرة سيف الدولة ، ولا غفل المتنبي
عن شكوى الحسد فمن قوله أسيف الدولة

أزل حسد الحساد عني بكبتهم قالت الذي صيرتهم لي حسدا
ومن قوله له .

فأبلغ حاسدي عليك اني كسا برق يحاول في لحاقا
ومن قوله :

أعادي على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والأفكار في - تحول
سوى وجمع الحساد داو فانه اذا حل في قلب فليس يحول
ولا نظم عن من حاسدي مودة وان كنت تبديها له وتبيل

من هذا يبين لكم ان أبا الطيب قد استمر في شكوى الحسد ، ولقد اشتد حسد

الناس اياه وهو في طلال سيف الدولة واشتدت الوقعة فيه وأخذ سيف الدولة يعيث به بعد ذلك الاكرام من ذلك ما حكاه ابو الفرج السقا قال :

أذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدره فشمها بسكين الدولة . هذا أبو
عبد الله بن خالو به طيلسانه فحشي فيه سيف الدولة صالحاً ومددت ذيل دراعتي
فحشي لي جاناً والمتني حاضر وسيف الدولة ينتظر منه ان يعمل مثل فعلنا فافعل
فعاطه ذلك فشرها كلها على العلمان فلما رأى المتني أنه قد فاته زاحم العلمان يلتقط
معهم فمعزهم عليه سيف الدولة فداسوه وركوه وصارت عمامته في رفته فاستحى
ومصت به ليلة عظيمة فحاطب عبد الله ر حاو به سيف الدولة في ذلك فقال
يتعاطم تلك العظيمة ونزل تلك المرة لولا حماقته .

فصعد على أبي الطيب مد هذه الامور كلها ان يستمر في حاشية سيف الدولة
الشعراء يخيدونه ويوقعون فيه ، ويصرفونه ، وسيف الدولة يهرأ به ويعيث .
وكان المتني يشكو سيف الدولة وكان سيف الدولة يعتط من ماطم المتني ويجهو
عليه اذا كلمه والمتني يحبه في اكثر الاوقات ويتعاضى في مصها .

بعد كان يصعد على أبي الطيب ان يواطى على مجلس سيف الدولة بعد ان
وقع بينه وبين الشعراء ما وقع فها وقع أما الطيب الا معارفة سيف الدولة وذلك
في سنة ست وأربعين وثلاثمائة فتكون مدة ملازمته له تسع سنين .

ولما عتب المتني في ترك سيف الدولة ومدح كاهور قال :

أحذرناه وأدرياه فما نفع به الحذر ، ألسنت القاتل فيه .

أما الخود أعطى الناس مانت مالك ولا تعطين الناس ما انا قاتل

فهو الذي أعطاني الى كاهور بسوء تديره وفلة تديره ؟

حياة المتنبى

٩

لو سألتها أه لطيب عن الأسباب التي من أجلها ترك سيف الدولة وقصد
بافوراً لتيها لنا دون شيء من حممة الكلام، فإنه لما أقام بمصر بعد الرحيل من
الحلب واستعملوا كيف كان ذلك، اتصل به في يومه في مجلس سيف الدولة
بهذا استدعوا على أنه لم يسح من حسد الحساد في قربه منهم وفي بعده عنهم حتى كانوا
يرون موته فقال قصيدته التي أودها.

تم التعلل لا أهر، لا وطن، لا سنة ولا كائن ولا مكان
وفي هذه القصيدة عرّض سيف الدولة فقال

رأيتم لا يصون العرس حاركة ولا يدرك على مرعاضكم اللبس
جرا كل قريب معكم ملل وحط كل محب معكم صعر
وتعضون على من نال رفقكم حتى يدفعه السعير والمس

هذا ما حمله على الارعاح عن سيف الدولة وفي هذا الشعر من الفوارس
ما فيه فلم يصن سيف الدولة عرس المتنبى ولم تسلم بعته عليه من المنة والاذى
ولكن هذه النعمة قد سلبت في بعض الأوقات من الكدر والمن فليت أما
الطيب نذكر قوله لسيف الدولة وهو في أفيائه.

أنت الجواد بلا من ولا كدر ولا مظال ولا وعد ولا مدل

غير أن هذا القول قاله المتنبى سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة أي قبل أن
يفارق سيف الدولة بخمس سنين أمكانت مع سيف الدولة في ذلك التاريخ سالمة من
التعريض والمس أم لم تسلم من شيء من ذلك وكان أبو الطيب يصمرها في نفسه ؟

وهو يعلم في باطنه ان سيف الدولة احفى الناس به :

ولله سيري ما أقل تنية عشية شرقي الحدالي وغرب

عشية احفى الناس في من جموته واهدى الطريقين التي أنجب

ومع هذا جفاء وفارقه لما شكاه من أمره ما شكاه

الى ابن صار المتني بعد ان ترك سيف الدولة وكيف اتصل بكافور ، وفي اي

شيء كان يطمع وهو في مصر ، وصل خشي كافور جابه فأصر له الشر ، هل

سلم المتني من عداوة حص الناس في مصر ، هل استمر في شكوى الحسد ، كيف

هرب ابو الطيب من مصر ، هل استماله سيف الدولة اليه بعد رجوعه الى الكوفة

ماد التي المتني في مداد من عداوة الادباء والوزراء ، كيف هرب من بغداد ، ان

فصد عن تركه دار السلام ، هل استجاب المتني ، اقامته بطل عضد الدولة في بلاد

العجم ، كيف من ابو الطيب ، كيف همدت هذه الروح المضطربة التي ما ذقت

لذة الهدوء في يوم من الايام ، ولا عرفت نعمة السكون في ساعة من الساعات ،

الى ابن صار المتني ، عند مفارقه سيف الدولة وكيف وصل الى كافور ؟ جاء

في الصبح المتني ، ما يلي :

ولما عزم ابو الطيب على الرحيل من حلب وذلك في سنة ست واربعين

وثلاثمائة لم يجد بلدة اقرب اليه من دمشق لان حمص كانت من بلاد سيف الدولة

فسار الى دمشق ، ولقي بها عصا القسيار وكان بدمشق يهودي يعرف بان ملك من

قبل كافور ملك مصر فالتزم من المتني ان يمدحه فثقل عليه ، فعصب ابن ملك وجعل

كافور الاخشيدي يكتب في طلب المتني ، من ابن ملك فكتب اليه ان ملك ابا الطيب

قال لا أقصد العبد ، وان دخلت مصر فاقصدي الا ابن سيده ثم بيت دمشق

باب الطيب ، فسار الى الرملة وحمل اليه ميرها الحسن بن طمع هدايا نفيسة وخلع

عليه وحمله على فرس معوك ثقيلا وقلده سيفا تحلى وكان كافور الاخشيدي يقول

لاصاحبه أرويه لمع الرملة ولا يا نبيا وأحبر المتني انه واحد عليه ، ثم كتب

كافور في طلبه من امير الرملة فسار اليه .

فقبل ان يتصل المتني بكافور اتصل بامير الرملة المحسن بن طنح قدحه ، وفي هذه القصيدة يقول

وفارقت شر الارض اهلا ونربة بها علوي جدهم غير هاشم
من هو هذا العلوي الذي عصب عليه المتني ، والظاهر ان جماعة مددوه ، وهم
علويون فأنشأ اليهم في قصيدة ثانية نفوذا في ابي القاسم طاهر العلوي :
أتاني وعيد الادعياء واهم أعدوا لي السودان في كهر عاف
ولو صدقوا في جدم لحدرنهم هل في وحدي فوهم غير كادب
التي له عري قصد كل عجية كأنني عجيب في عيون العجائب
فما كاد بسلم المتني من حاشية سيف الدولة ، حتى أتاه وعيد آخر ، فكانت
منه وبين المصائب صلة رحم ، فسطر اليه وهو في حصرة كافور هل يجا من هذه
المصائب

لما قدم ابو الطيب على كافور الاخشيدي أمر له بمنزل ، ووكل به جماعة واظهر
التهمة له وطالبه بمدحه فلم بمدحه فخلع عليه فقال بمدحه بمصيدته التي اولها .
كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المايات ان يكن أمابيا
وأنشده اياها في جمادى الآخرة سنة ست واربعين وثلاثمائة ولئن كان
المتني لا ينشد مديحه في سيف الدولة الا وهو قاعد ، فانه كان يقف بين يدي
كافور وفي رجليه خنجان وفي وسطه سيف ومطقة وبرك حاجدين من عماليكه
وهي بالسيوف والمناطق وكان لا يجلس في مجلس كافور
« هكذا اتصل المتني بكافور الاخشيدي ، ولكنه في هذه المرة سمع به نفسه
الى أفق أبعد من أفق المال ، فلم يقتصر على الرغبة في عسجد يستفيده وانما امتدت
هذه الرغبة الى المفاخر .

وما رغبتني في عسجد استفيده ولكها في مفخر استجده
واعرب عن طمعه هذا في اول قصيدة قالها في كافور :
وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للمراقين والبا

نعم لم يكن لقله في هذه المرة مدى ينهي به في مراد من المرادات .
وفي الناس من يرى نيسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
وايكن قلماً بين حسي ماله مدى ينهي في في مراد احده
وقد أكثر من المصارحة بما في نفسه :

فان كنت ماأملت منك فرما شربت ماء بمعجز الطير ورده
ووعدك فعل قبل وعد لانه ظير فعل الصادق الوعد فعله
وأخ على كافر في قضاء هذه الحاجة التي شعلت ماله :
ادالم تظن في صيغة او ولاية مجودك بكسوف وشعلتك بسلب
واسدجزه وعده :

أرى لي نقر في مك عينا فريرة وان كان قرباً بالبعاد يشاب
وهل افعي ان نرفع الحجب ببسا ودون الذي املت منك حجاب
وفي الشمس حاجاب ووبك مضانة سكوني بان عسدها وخطاب
طمع المنفي في الولاية مسأل كافر أ ان يوليه صيداه من بلاد الشام او غيرها
من بلاد الصعيد وكان كافر قد وعده بان يبعه جميع ما في نفسه ولكنه خاف
حاله وترب امره فقال له انت في حالة امير وسوء الحال، وعدم المعين، سميت
بك عسك لي السوء قال صلت الولاية وصار لك اتاع من يطبقك، ثم وقعت
الوحشة بينهما ووضع عليه العيون ولارصاد حرقاً من ان يهرب واحسن
المنفي بالشر .

ولم يحل ابو الطيب وهو في طلال كافر من جماعة كادرا بفضونه وبوعرون
صدر كافر . وفي حنتهم ابن حرابة وزير كافر والمقرب منه . وقد كان المنفي .
ترك مدحه ، فكان ابن حرابة يشبع استهراء المنفي بكافر في مدحه والحقيقة ان
اما الطيب قد سخر من كافر في كثير من باطن مدحه وظاهره . فمن قوله :
وما طربي لما رأيتك بدعة لقد كنت ارجو ان اراك فأطرب
فجعل كافوراً بدعة من الدع حتى قال ابن جني . لما قرأت على ابي الطيب

هذا البيت قلت له ما ردت على ان جعلت الرجل أبارنة وهي كنية القرد فضحك .
ومن قوله .

وبعيتك عما يبت الساس انه اليك ناهي المكرمات وتدب
وهذا البيت طاهره أبلغ المديح ولكن بطله لا يخبر من بحمة اليمه .
وقد أشار المتنبي الى سواد كافور في كثير من شعره وهو يعلم ان ذكر لون
السواد على مسامع كافور امر من الموت فمن قوله .

ان في ثوبك الذي المجد فيه لضياء يزري بكل ضياء
بما الجلد ملبس وايضا من الصرحير من ايضا من الضياء
وهذان بيتان فيهما تعريض لسواد كافور واصرح منهما :

من ليض الموك ان تدل اللون بلون الاستاذ والسجاء
فلا بعد ان اس حراية كان يدع مهراة المتنبي بكافور حتى يكبد له ، فما اشته
ما كان يقع لاني الطيب وهو عد كافور ، ما كان يقع له وهو عد سيم الدولة
من انتفاء العوائل به وكان ابو الطيب وهو في محال كافور بتعرض للاراء
والشعراء فيجلب عد ونهم لفسه ، في حله هؤلاء الشعراء او القاسم س الي المير
الانصاري فقد عارصه المتنبي " حصرة كافور في قصيدته المبحية التي اولها .
نظر المحمد الى الحبيب عرام

فقال له : العرب لا تقول اليه عرام واما هو . له . فقال له الانصاري العرب
تقول اليه ولديه وله وحروف الخوص يوت عصم عن عصم ، والوزير ابو بكر
بن صالح الروز باذي حاضر والوزير ابو الفصل جعفر بن لفرات حاضر . فقال
الانصاري قصيدة منها هذان البيتان يعرض فيهما بالمتنبي .

لما تعرض لي بمقت حاسد ادى اللام وكيف يرصى الحاسد
ما زال ينشد قائماً حتى اذ اشدت عارصي لاني قاعد

لم يستطع المتنبي بعد هذا كله ان يطيل الإقامة بمصر ، ولعل مدحه لاني شجاع

فانك المعروف المحبون قد راد في حلق كاهور وان كل كاهور قد أدله في مدحه .
 فان في القصيدة التي مدحه بها يوماً حمل كاهور على الشك في امر المنسي .
 وان نكل محكمات الشكل تعصي ظمور جري في فمهن تصها .
 وقد قال الواحد في تفسير هذا البيت : ان لم اسر على المكاشفة بنصرتك
 على كاهور فاني امدحك الى اوار ذلك كما ان الحراد اذا شكل عن الحركة صهل
 شوقاً اليها .

من أجل هذا كله فكر المنسي في الخروج من مصر وقد حثه احد معارفه على
 الهرب وأخر قصيده قلنا في كاهور .

مى كى لي ان الياس خصاب ملى تبيض القرون شاب
 واقطع ابو الطيب بعد شأده هذه القصيدة لا باقى الاود الا ان يركب
 فيسير معه في الطريق ثم غل لرحيل وقد اعد كل ما يحتاج اليه على عمر الايام
 بالصف ورفق ولا علم له احد من غيبانه وهو بطير الزغبة في المقام وطال عاهه
 التحفظ فخرج دون الرماح في الرمال وحمل لاء على الابل لعشر ليل وتزود لعشرين
 فكل حروجه من مصر سنة حمس وثلاثمائة فاقام بمصر لوم سنين بوجه التقرب
 وفي يوم عرفه أي قبل مسيره يوم واحد فان قصيدته

عبد نابة حال عدت يا عبد مامضى أم لا مرفيك تجديد
 وفي هذه القصيدة بيت يدل على استمرار الناس في حسده وعلى ايلام هذا
 الحسد ايما :

ما ذا اقيت من الدنيا واعلم اني لما ناشاك منه محسود
 هرب ابو الطيب من مصر في يوم العيد من سنة حمسين وثلاثمائة واحقى
 طريقه فم بطير له اثر وبذل كاهور في صه دحائر الرغائب وكتب الى عماله
 وسائر اعماله فأحرق .

صرب المنسي في الوادي في طريقه الى الكوفة ومن اماكن ومياه كثيرة
 ذكرها في قصيدته التي اولها :

الاكل ماشية أخير لي فدى كل ماشية لهيذي

ولكن عبيده تنكروا له في الطريق وفسدت نياتهم واحدا را برقوق له الشيء عد الشيء من رحله وذلك ان ابا الطيب لما نزل في عرقه الى الكوفة في حسم رحل يقار له وردن الطائي استعوى وردان عبيد ان الطيب فلما شعر لمنبي بذلك ضرب احد عبيده بالسيف فانصب وجهه وامر العلوان فاجروا عيه ، والى ذلك اشاري هجاء وردان

أشد بعرضه عي عيدي فانلهم ومالي أنلهوه
 وان شقيت ما يديهم جياذي لقد شقيت بمصلي الوجوه

بكر عبيده له وربما أصمروا تسليمه فتركه في ذات ليلة بياما وشده على الجبال وسار والقوم لا يعلمون برحيله حتى وسط سيطرة وهي أرض تقرب من الكوفة فرأى بعض عبيده فوراً يلوح فقال : هذه مارة ، وطرأ آخر الى جماعة فقال : هذه نخلة فضحك ابو الطيب وقال :

سيطة مهلاقيت القطارا تركت عيون عيدي حيارى

وطوا العام عليك الخذل وطوا الصوار عيث لمرا

ومن هد يدين لكم ما كنت قلته من ان ابا الطيب أحد يتكلم بكلام الملوك

فقد صار له عبيد وغرق في المكارم ،

وبارال يضرب في الروابي حتى وصل الى الكوفة فاناح وركر رماحه بين

المكارم والعلى :

فما أحجار كركبا الرما - ح بين مكارم والعلى

وندا يقبل أسافا ومسحها من دماء العدى

هل طمع سيف الدولة في عودة انتبي ، به بعد رجوعه الى الكوفة ؟

لما عاد ابو الطيب الى الكوفة وأقام فيها تحركت نفس سيف الدولة وشاقتها

فلا تله المتنبى فاعذ سيف الدولة به من جالب الى الكوفة ومعه هدية الى المتنبى

وهذا ما يدلنا على نعلق سيف الدولة باي الطيب فكان أمير حلب سم على ما فات

فأحب أن يصلح ما أفسده ، فحده أبو الطيب وكتب بقصيدته التي أولها :

مالا كلنا جو يارسول أنا أهوى وقلك المتبول

إليه من الكوفة سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة أي بعد أن انقطعت مدائحه
فيه مئة ست سنين توفي هذه القصيدة ما يدل على أن في قلب أبي الطيب بقية
حمة لسيف الدولة وإن وقع بينهما ما وقع .

من عبيدي أن عشت لي ألف كافر ولي من داك ريف ونيل

ولما توفيت اخت سيف الدولة ميا هارقين وورد خبرها إلى الكوفة عراه بها
المتني وكتب بقصيدته إليه سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة . وفي هذه القصيدة أحب
المتني أن يبي عن نفسه الطن فتور حمة لسيف الدولة فقال :

يظن أن قراذي غير ملتهب وإن دمع جموي غير منسكب

بلى وجرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب

والقصيدة فياخذ بشعور أبي الطيب .

ولكن سيف الدولة لم تكفه مدائح المتني عن بعد فانه طمع في رجوعه إلى
طلاله فأعذ إليه كتابا يحطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه فأجابته بقصيدة أرسلها
إليه في ميا هارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة
واعتذر المتني عن الالتحاق بسيف الدولة وقال :

وما عاقتني غير خوف الوشة وإن الوشايات طروق الكذب

ونص كثير قوم وتقليلهم وتقريبهم بيما والحب

وقد كالب ينصرهم سمعه وبصري قلبه والحسب

وعاتب سيف الدولة على شدة محبته إليه وعلى قلة حظه منه في هذه المحبة

والآيات كلها تعرض بالماضي :

ولبت شكائك في جسمه ولبتك تجزي بغصن وحب

فلو كنت تجزي به ملت ملك أصعب حظ بأقوى سبب

أقام المتني بالكوفة بعد رجوعه من مصر مدة سنتين بوجه القريب أي من

سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة الى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ثم توجه نحو
 بغداد فوقع بيده وبين أبي علي الخائمي ما وقع " فالظاهر ان ابا الطبيب لما قدم دار
 اسلام عظم احتقاره لغيره من الناس فتقلت وظائفه على أهل الادب وكان ابو
 علي الخائمي قد قصده في مجلده فلم يال به المتني واعرض عنه استصعاباً لشأنه
 فكاد ابو علي يتمير غيظاً حتى انبرى له وبالح في تعنيفه فاعتذر المتني عن ذنبه
 وأقبل كل منهما على صاحبه ثم أحدا ابو علي بقصد بعض شعر المتني واشتد
 جداهما ثم تصاديا في آخر المجلس وتناكدت بينهما الصخرة وصار ابو علي يتردد
 الى أبي الطبيب أحياناً .

ولما نجا المسي من شر أبي علي وقع في شر الوزير المهلب في بغداد وفي شر
 مع الدولة نفسه لان مع الدولة ساءه ان يرد على حصته رجل صدر عن حصرة
 عدوه ولان الوزير المهلب ساءه ترفع أبي الطبيب عن مدحه دعاء نفسه عن مدح
 غير الملوك فشق ذلك على المهلب فأغرى به شعراء بغداد على ما قال الثعالبي حتى
 ألوا من عرضه وتنازروا في هجائه واسمعه ما بكره ونماحنوا به وتنادروا عليه فلم
 يحسم ولم يهكر فيهم وقيل له في ذلك فقال اني فرغت من اجابتهم بقولي لمن هم
 ارفع طبقة منهم في الشعر :

أرى المتشاعرين عروا بدمي ومن ذا جعل ابداء العضالا
 ومن بك ذا فم مر مريض يحد مرا به الماء الزلالا

وقولي :

أني كل يوم تحت صبي شويعر صعيص يقاوي قصير يطاول
 لساني بطقي صامت عنه عادن وفلي بصمتي صاحك منه هارل
 وأتعب من نادك من لا تحييه واعبط من عادك من لا تشاكل

وقولي :

وإذا أتتك مدمتي من نافس فهي الشهادة لي ناني كامل

هكذا كانت معاملة الشعراء لابي الطيب في بغداد على ما وصفها الثعالبي فلم
يسم المتنبي الا الهرب من بغداد .

فاتخذ ليل خلا وفارق دار السلام متوجهاً الى حصرة ابي الفصل بن العميد
وزير ركن الدولة وقد كان ابن العميد راسله من ارجل فارس اليها سراعاً للذهاب
الوزير فورد ارجلن واحمد مورده وذلك في صهر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة .
وقد كان ابو الطيب في مدحه لاس العميد ينسبه لمرة ابن العميد في الادب
من قوله فيه .

[١] ما كفاني تقصير ما قلب فيه عن علاه حتى ثابه انتفاده
اني أصيد البراء واسكر جل الحوم لا اصطاده
رب ما لا يعبر للفظ عنه والذي يضر المؤاد اعتقاده
ما تعودت ان أرى كافي الفصل وهذا الذي أناه اعتياده

وحكي ان ابا الطيب دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سبواً فنهض
ابن العميد من مجلسه وأجلسه في دسه ثم قال له احتر سيباً من هذه السيوف فاحار
منها واحداً فقبل الحلي ، واحتر ابن العميد غيره ، فقال كل واحد منهما سبي الذي
احترته أجد ثم اصططحا على نحرتهما فقال بن العميد : فمادا نحرهما ؟ فقال ابو
الطيب في الدائير يؤق بها فيضد مضها على بعض ثم تصر به فان قدما هو
قاطع فطلب ابن العميد عشرين ديناراً فصدت ثم ضربها ابو الطيب ففقدتها وتمرقت
في المجلس فقام من مجلسه المصحح بلفظ الدائير الممددة فقال ابن العميد ليكرم
الشيخ مجلسه فان احد الخدم يلتقطها ويأتي بها اليك فقال ابو الطيب بل
صاحب الحاجة اولى .

ثم ورد عليه كتاب عضد الدولة بستره فودع ابو الطيب ابن العميد سنة
اربع وخمسين وثلاثمائة وقصد انا شجاع عضد الدولة وقد كان الصاحب طمع
في زيارة المتنبي . اياه ناصهان على ما ذكره الثعالبي واجرائه بحري مقصوده من
رؤساء الرماة وهو ادراك شاب وحاله حويله ولم يكن استورر بعد ، وكتب

له يلاطفه في استدعائه وضمن له مشاطرة جميع ماله فلم يقم له المنسي وزناً ولم
جبه عن كتابه ولا الى مراده فاتخذ الصاحب غرضاً برشفه سهام لوعة وبتبع
عليه سقطة في شعره وغمواته ويصمى عليه سقته وهو اعرف الناس بحسناته
أحفظهم لها وأكثرهم استعمالاً له وتمثلاً بها في محاضراته ومكالاته

لم يعرج ابو الطيب على حصرة الصاحب وانما قصد عضد الدولة بشيراز
وكان ابو علي العارسي اذ ذك بشيراز وكان عمر المنسي الى دار عضد الدولة على
اراني علي العارسي فكان اذا مر به ابو الطيب يستغله على قبح زيه وما ياحذ
به نفسه من الكبرياء . وكان لابن جني هوى في ابي الطيب فهو كثير الانجاب
شعره لا يبالى باحد يدمه او يحط منه . وكان يسوء اطاب ابي علي في دمه حتى
ذكر ان جني ايماً من شعر ابي الطيب فاستحسها ابو علي واستعادها وكثر اعجابه
بها واستغفره لمعانها ولما علم ابو علي العارسي ان المنسي هو قاتل هذه الايات
نهنس ودخل على عضد الدولة فاثني على ابي الطيب ولما حارب استزله واستشده
وكتب عنه اياتاً .

وكان ابا الطيب قد استطاب الإقامة بطل عضد الدولة فقد اجمعت سفرته
على ما ذكره الثعالبي ورجعت تجارتها بحضرته ووصل اليه من صلانه اكثر من
ما تاتي الف درهم ثم اسأده في المسير عنه ليقتضي حوائج نفسه ثم يعود .

لعل الله يجعله رجلاً يعين على الإقامة في دراكا
فأخذ له وأمر بان تحلم الخلع الخاصة ويقاد اليه اخلاص الخاص وتماد صنته
بالمال الكثير فامثل ذلك واشده ابو الطيب في اول شعبان سنة اربع وخمسين
وثلاثمائة الكافية التي هي آخر شعره وفي اصعافها كلام جرى على لسانه كأنه يرمي
فيه نفسه منه قوله :

واني شئت باطرتي فكوني أذة او نجاة او هلاكاً
جعل قافية الهلاك فهلك وذلك انه سار من واسط يوم السبت لثلاث عشرة
ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ومعه انه محسد وغلالة

ومعه نغال موفرة بكل شيء من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة
والكتب النقية والآلات لانه كان اذا سافر لم يحلف في منزله درهما ولا شيئا
يساويه فتعرض له فانك حال صبة الذي هجاه الحسيني . تصديقه المشهورة (١)

ما انصف القوم ضبة

وقد كان داخله لحية لما سمع ذكر احتة بالفصح في شعره . وانصل به انصراف
المتنبي . من بلاد فارس وتوجه الى بلاد العراق وعلم ان اجتيازه بجبل دير العاقول
تجمع عشرين رجلا من بني عمه قتله بضربة فمقرب من دير العاقول في يوم الاربعاء
لثلاثين نقيبا من شهر رمضان وقتل الله محمد وغلماه فوجه احد معارف المتنبي
واسمه ابو النصر من دفعه ودفع الله وغلماه ونهضت دماؤهم هدرأ

وقد كان ابو النصر هذا صبح للمتنبي . ان يكون معه في الطريق جماعة
يمشون بين يديه الى بغداد وذكر ما عزم عليه فالتك من العزم له والعزم على قتله
ووافق علام المتنبي . على رأي ابي النصر فطابا والطيب وجهه واغتاط من غلامه
غيطا شديدا وشنمه شنما فيحاً . فقال له ابو النصر : انا اوجه من قلبي قوما في حاجة
يسرون بمميرك وهم في خمارتك فابي ابو الطيب فكل من امره ما كان .

(وقبل سب قتله انه لما ورد على عضد الدولة ومدحه ووصله ثلاثة آلاف
دينار وثلاثة افراس مسرجة محلاة دس عليه عضد الدولة من يسأله : ايس هذا
من عطاء سيف الدولة فقال : ان سيف الدولة كل يعطي طمعا وعطاء عضد الدولة
تطمعا فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهر اليه قوما من بني ضده وقتلوه بعد ان
قاتل قتالا شديدا ثم انهزم فقال له علامه : اين قولك .

الحيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والفرطاس والفلم

فقال : قتلي قتلك الله ثم قاتل حتى قتل .

وقيل ان الجحراء جاؤا وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه فسمعه الشح

فتقدموه ووقع به ما وقع .

(١) تفصيل الخبر في الصبح المتنبي .

ولما قتل رثاه أبو القاسم مطهر بن المطهر بن الطوسي ، ورثه ثابت بن هارون
الرقبي النصراني ، وأبو الفتح عثمان بن جني .
هكذا كانت خاتمة إحدى وخمسين سنة انقضت في مي و اضطراب هكذا
كانت خاتمة قلبه ، انه مدى ينهي صاحبه في مراد من اريدت له . همت هذه
الروح التي حالت فيها أفكار الناس مئة الف سنة ونيف ؟

١٢ نيسان سنة ١٩٣٠

اخلاق المتنبى

١٠

يس من المتسهب في خصوص في شيء من الكلام على أخلاق المتنبى وعلى صاعده وعلى الخصوص من ان لطلب لم يكن رحمه بقلبه وان اهل عصره لم يحضر هو قول واف في هذا الباب فلا يعرف هيته ولا يعرف تركيب حلقته وبو كذا كذا مصدقة من هذا الامر لاستطاعت ان يستدل بذلك بعض الاستدلال على معرفة حلاق المتنبى وطائفة مما وصل اليه من أووال اهل زمانه في هذا الموضوع لا يتقم غليلا

ان ابا عبد الله معاذ بن اسمعيل اللاتفي لما قدم عليه المتنبى في سنة عشرين وثلاث مائة أي لما كان عمره سبع عشرة سنة وضعه فقال قدم اللادقية وهو لا عذر له، وبه وقرة الى شجعتي أذنيه فأكرمته وعظمت له رأيت من الصادق وحسن تيمنه بأحد من لي هراكله لم يسمع منه كلمة هزل فقد أ وأبدي أعماقه ابو الفرج وقد كان هو الخطب بأحسن به وأمنه على غيبته ان سيف الدولة كان يقطر من تعاطف المتنبى

وقد عاب أبو عبد الله من حاله به سيف الدولة لما عمر عاماته على المتنبى فقال له سيف الدولة يتعاطف تلك لعصمة ويرى تلك الميزة لو لا حماقة

وحكي عن أبي حمزة الصروي انه تلا من أبي الطيب خلا لا محمود منها عفة المذنب والصدق وبلا ما ثلاث جلال دميعة وذلك انه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن

(١) جاء في رسالة العقرا في الصفحة ١٣٥ ما يلي . وحدثت ان ابا الطيب

ووصفه أن موجه فقار فيه كمال شجاعاً حاضراً للأدب

عارفاً بأحلاق الملوك وم يكن فيه ما شئبه وسفقه إلا تحفه وشرحه على المال
والذي دلتنا عليه الوحيد أن لم يسمي كان سيء الزاي وسوء رأيه أخرجه من
حضرة سيف الدولة وعرضه لعداؤه ليس

وقد ذكر أبو علي الحائمي أن أبا النضر المدي عدو ربيعة مدينة السلام
قد التحف رداء الكبر والعظمة ولا يري أحد لا ويرى نفسه في عليه حتى
ثقلت وطأته على أهل الأدب مدينة السلام وسبع من شيوخه أنه ليس مرة سبعة
أمنه موبة وكان الموت أحر ما يكون من السيف وأحق تحريف ليس وشهد له
أبو علي هذا بالعضيلة وصحبا المدي وحودة القدر

وكان أبو علي الفارسي قبل معرفته المدي يستثقله على قبح زيه وعلى ما
كان يأخذ به نفسه من الكبرياء .

هذا ما سمى اليك من وصف بعض طراهر مدي وبواطله بوجه القريب
ولم يكن في تحلف هذا الوصف شيء من الخروج من مقدار فن المحقق أن
الحال كان في الميل إلى الميراث من روحه وحده راحة إلى العظمة والملوك
لا شأن لها في أمر فقد كانت حته حدة كل حد ليس فيه متسع للبر والبر
رجلا يصرب في ما يك الأارعين وجه صرها ابتغاء لامر حن اليبسعي
مولود لي . انت في كل سنة وما ينبغي ما أسمى حن أن يسمى
رجلا هذا هو مطعمه في الحياة لا يحل غير الخدم معي، ولئن عدت في
قوله وقد مر رجلين من ولا جرد وأبرزاه يعجبان الناس من كبره :
والكاكل من خلفه فان به عصاة في الشئب

أيام كان إقطاعه نصف روي بصي موضع بمرة النعمان يقال له كنيسة الاعراب
وأي صبي ركنين وذلك في وقت لعصر فيجوز أن يكون رأى أنه على سفر وأن
القصر جاز

أو في قوله الآخر:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحق أراه غباري ثم قال له: الحق

فما كان العيث من مذهبه

ومن المحقق أن أبا الطيب كان صادقاً عفيف المذهب

ومن هوى الصدق في موثي وعادته رعيت عن شعر في الرأس مكذوب

فكفلسنا نجد في أصناف شعره: عة إلى الله والطريق فقد كان ينظر إلى الحياة

من أحياها السوداء وهو طر إليها من لحة البصاء اللامعة، فما نعى في شعره

شيء من مصارة الحياة ولدتها وإنما اعرب في شعره عن الألم، وقلمما يجتمع اللهو

والم القس، وليس هو من لا سبيل للآلام إليها، أما لايات التي تدور على ألم روحه

في كثيره فيها.

١٠ فؤاد ما سايه الدمام وعمر مثل ما تهب اللثام

ومب

١١ رماني الدهر بالارراء حتى فؤادي في عشه من نال

فصرت اذا اصاني سهام تكسرت التصال على التصال

واحد كثر من الاشارة الى تصاهر المصائب، فمن قوله في مصر وقد اصابته حتى:

أبنت الدهر عني قل بنت فكيف وصلت انت من الزحام

وفي هذه القصيدة يقول

وان اسمي قد أضحى ولكن سلبت من الحاحم الى الحاحم

خباياه في نظره موبله قد قل به ورد

١٢ وقت تصع وعمر بيت منه في غير امته من سالف الامم

أن الزمان هو في شيبه مصره وسنه على الهرم

على انه قد جاء في شعره ما يدل على دوقه شيب من نلاد منه قوله

در در الصده نام تحرير ديولي مدار أنه عودي

ومنه قوله:

انعم ولت فلامور او احر ادا ادا كانت لها اوائن
ما دمت من ارب الحسار فاما روق الشاب عليك طر زتل
للهو آوة تعمر ~~كانها~~ فل روتها حبيب راحل

ولكن مذهبه في اللغات العفة اقامة

اني على شغفي بما في نحرها لاعف عما في سريلانها
وترى المروءة والقوة واللاوة في كل دابة صرائف
من الثلاث المانعاني لذني في حنوني لا خوف من تهها
نعم هذا هو مذهبه المروءة والقوة واللاوة ونرى مثل هذا السب
اذا كان الشاب السكران والحياء هي الخيام
لا يصدر عن قلب فضي صاحبه شرح الشاب في شبي من اللهو وفي شبي
من تواضع اللب فما اصدق في هذا الكلام
وما كنت بمن يدخل العشق قلبه

أما شجاعته فلا ريب فيها وان رجلاً فقه له كمت لك جماعة يريدك
أشرف واحد معك من يسير بين يديك فيعطى من هذا عطاء شديداً بهون
والله لأرضي ان يحدث الناس في سر في حمارة أحد غير في كل رجل
من هذا يحدثونه من الموت فلا لي سجد استصغاراً لشأن الموت
واحماراً لمن كان له يفقع في الذي حذروه منه لا بدح الحرف بله ولقد
عانه على هذه الشجاعة صحته للاعراب ولنه يعرهم وسيره في الوادي
ومصاحبه لسيف لموله في كثير من عرو علاجل كان شجاعاً لا شك في
شجاعته لدي في حياته مرتين عنده الموت والحياة
وعاية المصطفى في سبه كعبه مصر في حرة
فلا قصي حاجته طالب فؤاده يحقق من رعه
وأما شرفه على المال فهذا أمر طبيعي فقد دقوا لاني في حداثة سبه أم العفر

فأزال سمي في طلب المال حتى خضع له شيء منه فحرص على ثروته ولم يذر ولا يعرف قيمة المال الا الذي يعب في حبه المسمى ببعض من غير ان يساوره كثير من الألم واني ألم أعظم من ألم الحساد من الألم على حرصه ولا سيما ان الرجل كان يحسد الشاة حتى كان حساده يبيعون موته فكانوا يعضونه ويترصون به لدواء هل يلاءم في احباده الماحدة يدفع بها عن نفسه اذا عرضت الدنيا عنه في يوم من الايام فناد كان يلقى منهم غير الشاة ، على اني اعتقد ان الرجل كان مهصداً ولا يكن خبيلاً والمرق بين الحول وبين الاقصاد ظاهر فها أظن أن اما الطبيب كان من اجله ان يثأر خالقه عن مرض من امراس العصف فلا يجدون لاسمهم سلفة منه وانه كان يصفداً بحسب الامور حسداً وبعد لها عذتها حتى لا يباحثه لمرمى مكارحه .

واما صدف عدسه ورقة ربه فقد أمر صبح وكثراً في فرع المسمى هذا
النام كما في الثعالي وقد ريت لكم الايات التي دلت على أحلاله بالدين والادب
بأمرة وأما ان الرجل كان على صعب المشككين

نحوه اناس حتى لا يثق بهم الا على شعب وأخلف في الشعب
فقبل تحضر به من امرة سامة وقد شرك جسم المرء في العطف

• • •

والنكر اضطر لخلاف المسمى "عضه وفه" وهو قد اثبت هذه الاحاق
ما كان يجمع له في محال من سف الدولة وكنوز وفي مدار ، فالصبيب كان قد ان
المداراة للناس وقد شهدت كيف كان تعرض لاثابر الادباء ، ويسة نس تحصيلهم
وليس معنى هذا ان الطبيب كان يحيل بعواقب تعرضه للناس وبحوائيم فلة
المداراة ولكن الرجل كان شاة لخلق ، يصعب عليه ان يداجي ويدري ولو فعل
شيئاً من ذلك مدك القلوب وجر شهد في عصرنا من لا يداجي ولا يداري
فتقبض القلوب عنه ويصطرون استنهم فيه والناس يصفون عادة من يواحي
العاطفة والهو ، فرب انتقام ينسجه يزرع ما وري اصدور من غل أو حقد

ورب قطيب قطه يهرس لما السحابة في القلوب هذه هي طبيعة البشر ولكن
 الطيب اكبر من أن يحتاج الى شيء من المداراة والمدحاه فكان يجري على
 ما يراه لا يعبأ بشيء من غضب الناس عليه او صغره فيه فان له من الثقة بحوره
 ما يراه ما يجعله يحسن اولئك الناس في نفسه

ليت ثنائي لذي اصوح في من صبح وقد هاه حد
 طاهر على اهل العقيرة يذهب حفاء وتمكث عبقريتهم في الارض ولا
 الافراط في الشاء على اهل الدلالة مهد لهم سبلا الى الخلود ولا الافراط في
 تنقص اهل العقيرة من الابواب في وجه حلودهم نعم كان ابو الطيب يعرف
 هذا كله ولكنه ارفع من ان يفت الى المدحاه والمدارة وما راجى ولا دأرى
 الاكل من لا يثق بقوة نفسه وكل من يحتاج الى قوة غيره ويستعين بها على حياته
 على ان ابا الطيب كان يجاري الناس في بعض الاحياء في الخداع وما يحاراته
 هذه الامور بالناس.

ولما صار ودانس حاد حريت على انفسهم بانفسهم
 وصرت اشكهم اضطبه اعني انه بعض الانام
 فالرجل كان قبل المداراة وفيه مداراة او حرت الصدور وهاحت الصغار
 ولكن ابا الطيب كان سرح من حسد الحسد وعياط المتعاصين فهم يكرههم
 ولا شغل ذهنه بهم فقد سلك الادب بايات ملاحا يرا أثره الثثار وهو
 الممدار. أفأجد حاجة لي ان أعيد هذه الامات وقد سمعتموها في المجلس الماضي
 وبكفيي أن أشير بها الى بيت واحد
 ومن يك ذم مريض يجد مره الماء الزلالا
 او الى بيت آخر

وأنتب من نادك من لا نجبه وأعظم من عادك من لا تشاكل
 بهذه الايات وأشياها كذا المنعني بسحق المتطاولين لوقعة فيه فما أصعب
 الذي وصفه بمرارة اللسان واي مرارة امر من هذه المرارة ولو حموا كل ما

قالوا فيه من طعن لم وازر حرفاً من هذه الايات

بدي العاوة من اشدها صرر كما تصر رباح الورد بالجعر
 من كل ابو الطيب من اللسان فدا غضب على احد اذافه مرارة هذا اللسان
 فله لم فارق سيف الدولة لم يبع سيف الدولة من قوارصه وفي اول قصيدة قاله
 في كافور اثر من هذه القوارص:

ونله
 ونر

حينك قلبي قل حلك من ماى وقد كان غداراً فكأن انتك واحيا
 واعلم ان الذين يشكيك بعده فليست غواذي ان رايتك شا كيا
 قال دموع العين عذر برها اذا صكن اثر الغادرين جواريا
 اذا الحود لم يرق حلاصاً من لاذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا
 وللنفس احلاق تداء على العنى اكان سخاء ما اتى ام تساخبا

فهذا الشعر كله تعريض بملك حلب والظاهر ان سيف الدولة كان يؤلم
 المتنبي في عطياه فكل يوم عليه ولسكه كان سلطان بعمته بالمل والاذى فاذا تأخر
 مدح ابي الطيب عنه تنكر له في الحال

ارى ذلك القرب صار ازورارا وصار طوبى السلام احتصارا
 تركتني اليوم في خجلة اموت مراراً واحيا مرارا
 اسرفك اللحظ مسحياً وازجر في الخيل مهري مرارا
 فكان المتنبي يضطر الى الاعتذار

كهرت مكارمك الباهرات ان كان ذلك مني احتسرا
 ولكن حمى الشعر الا القليل هم حمى اليوم الا غرارا

ولا يحق ما في الاعتذار من اعانت النفس والتشديد عليها، واذا علمنا ان
 الشاعر قد تعرض له في بعض الحالات عوارص يماف فيها حياته فيستعصي عليه
 (١) كالب سيف الدولة اذا تأخر عنه مدح المتنبي شق عليه واكثر اذاه
 وأحضر من لا خير فيه وتقدم اليه بالتعرض له في مجله بما لا يحب فلا يجيب
 ابو الطيب أحداً عن شيء.

الكلام انك كما الاله الذي كان يساور ان لصيب في ارورار سيف الدولة عنه د
أطاعاً عليه مدحه فكان سيف الدولة يقول له ان اشعرت شعرك بالماء وقد
احدت مالي وعظي شعرك . وكل هذا لا يحو من مدح ودي وكن هذا لا يحو
من بلام وايجاع . وعنى الخصوص د كانت الروح لايحه من روح في لصر
بحركها أقل شيء ومن الذي يحق له ان يلحق الى الملة أسف الدولة ام لمدي :
أفكان سيف الدولة لو لا الماء الا ملك من وثك لموك لدر دهورا بين سمع
امرس وبصرها ولم يبق هم لا اقليل من لذكر . فكل سيف الدولة ولا ابو
الطيب بخلد هذا الخلود على شمة الزمان وعلى هربه . فامدي لم يسيء الى سيف
الدولة وانما سيف الدولة هو الذي بدأ بالاساءة ومع هذا كله فقد كان في قلب
ابي الطيب فيه حجة لسيف الدولة بعد الاصراف عنه

رمى واتقى رمي ومن دون ما عني هون كاسر كفي وفوتى وسهمي
بم ترك المتني مجالا للصحة قد مضى على سيف الدولة كل العصب
فراق ومن فارق غير مدمم واه ومن سمعت حين مبهم

ولما خرج والصب من مصر الى العراق كتب اليه سيف الدولة بعوده
اليه وأخ عليه فلم يصبر ابو الطيب وهداه الى ان اخرج في مسه مع .
نعم غادر المتني سيف الدولة ولم يمس كل ما في قلبه من حجة سيف الدولة
وانما قصر على الاشارة الى بعض وامن قد تصبر مريرة لاسه انظر كله
ولكنه لما راك كاهورا عرسه هده مريرة في اوضح معارضة . فان كاهورا
اساء الى ابي الطيب من اول اصدده بعد حبه شهدة وون يوم وسميح له
بان بشده وهو وعد ولم يسمع به ان حسن في حبه ووعد ان يليه فاحلف
الميعاد وفي حاتم امر وون سب عنه فبلام ابو الطيب يا شمس من بصره .
وعنى الخصوص عدد اصغره كاهورا في ولايه ودمه حروب وانما بعلون كما
كانت الولاية شعب له . أفلام و نصيب د كاهورا فرد به شدة من الانس
اميا وإخلاص وعدرا وحسة وحاد اشخص لحتي ام بحره

وكان ياء وقد يكون منه من بعض الاحوال منه من
 ومن تعش طواكه فلا تزل من
 احياء الاحياء منه من
 والباطل قد دل عليه شعور كثير

الامر سره

(مطالع شمس من كنهه في حروفه)

وهو كل شعور من وضع

وكان ياء منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

وهو منه من بعض الاحوال

لغة (انا) (انا) لما وقع من احد

اقد نحتمل المرء اذا مر مرة واحدة

شعر قد نعت وصاه ولا

ادل عصره في بعض الاحوال

ان تفضله ظاهر في شعره لا يكاد يحويه فهو كثير انكاس على نفسه لا ينالي
 بما يشي هذا انكاس من الآثار في نفوس ولم يقتصر على التعني بحال عقربته
 ولكنه حاز هذا شعري الى شيء من العجب والفخر وقد يكون هذا المذهب
 مدعاة الى الاصحار اما حب الـ فوق اناس محاسبا من تلقاء انفسهم أي من
 دون ان يذهب اياها اما حب الـ يشعروا هذه المحاسن من غير ان شعرهم بها وهذا
 وحيها اظهارها والديه عنها ولاشارة اليها فقد يذهب شيء من آثارها في
 النفوس وربما عذب هذه المحاسن مساوون وفي الطيب كل يحب الـ دقيق
 الناس خاسه نفسه في الـ يدور مع هذه محال في دونه يذهب ولن هذا
 السير في شعره على الـ وقد يكون لسبب في حوته ان هذا المذهب الـ
 اس كاد يحسوه حقه ويضمون من آثار حسنة فكان يضطر الى التوبة عند الـ
 واد حقت على العبي فعاذ الـ لا تراهي مقلة عجب

١٤٨ م. كان يواظب على مصر في شعره وفي النظر وكثيرا ما كان يجعل نفسه
 في أمانيه منزله الموكب ان كان مذهب

١٤٩ م. ابتداء الاكس. ولم يبق من العدد

١٥٠ م. لا يبي. عصور بالمسرات سائر الاعضاء

١٥١ م. ما كان حظه من مدح نفسه في بعض شعره اولى من حفظ المدح وحسن
 وقد حمده معظمه عدا على حتم الـ اس وما ذهب عاكس من هذا الاحقار ولقد
 هرا كاهر نفسه في أمانيه فيه فاحق الـ من غير كاهر. وكان كثيرا ما
 يخطا في تصغير حتى في الـ به ابر الـ الـ راجح كان مولد بالتصغير لا يقع
 من ذلك حسنة لمير والصحح انه اولع بالتصغير فلم يكتف بتصغير الاحق

مقالي للاحقاق في حبيب

او شعره الـ عر

في كل م. عت ص. م.

الـ كاهر شعره الـ رماه كاهر

أدع الى هذا الرمن منه

الحسن المتين

١١

عرف بحية من اخلاق المتني متخند في معرفه ناحيه من بواحي احساسه وعواطفه ولا احساس " اما هو القوة الي تميرها من بين غيرنا من ارس ونظمها فناما احاص فهو لدي تحدد حصصه طلبة رحا اناي طبيعة شخصيتها ودرجة هذه الشخصية ، فالمدارك العقلية لا يختلف مصب عن بعض الا قليلا واحلافها هذا لا يكون الا من حيث الدرجة فقط ، أي من حيث قوة هودها وضعف هذا النفوذ ، او من حيث سرته بمعناها في بواطن الامور ، وظاؤها في هذا العالم ، واكن هذه المدارك كلها فادرة من حيث تركب حواهرها على فهم الحقائق . من أجل هذا اما لا تجد الا علنا واحدا في هندسه وفي الطبعيات مثلا وكذلك ارادتها فهي لا يختلف مصبا عن مصب الا من حيث قوتها او ضعفها . أما حواس وعواطفها فهي على خلاف مداركها وعلى خلاف ارادتها فهي يختلف مصب عن مصب من حيث صيانتها فلا لئسا ولا آلاما وحده في كل رجل منا فالامور التي لاقي فيها لئسا قد لا يلاقي فيها غير ما الا الالم ، وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى

وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى

وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى
وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى
وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى
وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى
وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى
وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى
وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى
وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى
وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى
وما اصدق ما قاله المتني في هذا المعنى

(١) رأي الاستاذ يرونيير

ولكني لا أجد في هذا لسيب شيئاً من الحقيقة واست أرى خيال روح يدلها
الهوى وإنما أرى ما يستحده صاحبه في تمديد السبل إلى المدح، والهوى الصحيح
لا كلفة فيه فإذا ظهرت الكلفة عليه ذهب أثره .

والأمثلة من هذا الشكل كثيرة في شعره والبيكم مثلاً آخر

في قصيدته في سيف الدولة التي يقول في أولها

بني ليالي تعد الطاعين شكوا طوال وليل العاشقين طويل

وصف احتماله للفتات من بعد اجتهه وطلب إلى السيم أن يحمل إليه روائح
هؤلاء الاحة .

إذا كان شم الروح أدى إليكم فلا رحسي روضة وقول
وحاطب الحبيب فقال

عنه لقيت بدرب الفقه العجبر لقيه شعت كدي والليل فيه قتل

ويوماً كان الحس فيه علامة شعت بها الشمس منك رسول

وأنه ليسترسل إلى هذا كله أذكر في الحال أن سيف الدولة يدتطر مدحه
يفتش عن البيت الذي يصل به إلى سيف الدولة

وما قبل سيف الدولة : أرا عشق ولا طلعت عديم الظلام ذحول

نعم، الأمثلة من هذا القليل كثيرة ولست اعتقد أن نسب المدي في مطالع
قصائده يوضح عن عشق حقيقي وما هذا العزل إلا صرب من التقليد فقد كان هذا
هو أسلوب الشعراء في إمدادهم تعزلون ثم يتحاصون من التعزل إلى المدح والنسب
العاشقة تصرف عن كل شيء في جوارها ولا تفكر إلا في الذي تحبه، فلا سيف
الدولة يصرفها عنه ولا غير سيف الدولة، فالعاطفة في هذا السيب بعيدة عن أن
تكون صادقة فصلاً عن أنه قد يعيل في تصوير بعض محوله إلى شيء من المبالغة
التي لا يحمد أثرها .

ولو فلم القيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خطا كاتب
هذا هو سيب المتنبي فالتقليد ظاهرة آثاره عليه .

وقد يخرج في هذا النسب من المقدار :

كانت الجفون على مقلي بسبب شقير على ناكل
كل هذا لا يخلو من شيء من المألعة ، والعاطفة لا يحسن تأثيرها الا اذا
كانت طبيعية على انه لا يخلو في بعض الاحين من الاعتدال المقبول
واني لا عشق من أجلكم حولي وكل امرئ محروم
ولو زلتهم ثم لم أنكمم تكبت على حي الزمائل
هذا هو شيء من طبيعة حسه وعاطفته في السبب ولكن المواطن التي تظهر فيها
شدة هذا الحس إنما هي مواطن الغضب سواء أكان غضبه على الأقدار ام كان
غضبه على الذين يشمتون بموت جده وسواء اعصب على الذين مدحهم ولم يعطوه
ما تستحقه اما دبحه ام غضبه على الذين أسأوا اليه وكذبوا عليه .

ذا غضب المتشي على أحد من الناس اهتزت اعصابه كل الاهزاز فلا يكاد
يستطيع ان سكها ولا يجد اشياء للرجال الذين يحق عليهم الا الحيوانات .

سواء ما يحزن في حبل سوابه شر على الحر من سهم على مد
حولى بكل مكان منهم خلق تحطى اذ حنت في استغفامها من
ولا يبالى بعد هذا التعميم بان يخص الحيوانات التي يشتم بها
فقر الجفون بلا قلب الى ادب فمر الخار بلا رأس الى رس
على ان هذا الهياج الذي صاح به في هذا المقام قد لا يكون شيئاً قياساً الى الثورة
التي ثارها في هجماء كاهور فقد كان مضطرباً كل لاضطراب معتاطاً كل
الاغتياب فتارة كان غضبه مروجاً شيء من المرء

سواء فان كنت لا خيراً اعدت فاني اعدت مدحطي مشعريك الملاها
ومثلك يؤنى من بلاد بعيدة ليضحك ربوات الحداد البواكيا
ومرة كان مختلطاً شيء من الشتم
لأنه لا نشر العبد الا والعصا معه ان العبد لا نحاس منا كيد
وحيناً كان يلجأ في غضبه الى شيء من الايلام .

حوران باكل من زادي ومسكي لكي يفت عظيم القدر مقصود
ومنه قوله

من أية صروف في حوران شكره
وإذا فالد من أمة حرة وكفور ومن عريضة من مملكة دولة وحرة
عن شدة حزن في أعصية في سبب الربط بين جميع في بعض الاحوال ان يصبط
منه فلم يعذب عن سبب بدولة عصبه على كاهور. وانما ملك حركته وضبط
منه خير لكل مقام من لعصب مقدلاً فيه لا شيء هو لا لشتا من اطماعين
لدراد يقوموا على احد من حاسة اساسهم بعد اعنة قمعهم على احد من عامه القوم.
واد شمووا كبر فومنتهم. دكا شموون صعيه موم. حتى ضيع ان كلامهم ولا تنفي له فبقة.
فلم ياتي في عصبه يشتر وسكة كل يعمل لكل مقام من مقامات الغضب
مقالاً في سبب لدونه بل ما رمى به كاهوراً. لقد كان في عريضة به شيء
من الاملاء وميك ووشي. هـ هـ او شيم او الفحش.

ونصير ان طاعة عصبه في مرثية في المراثي تظهر فيها عاطفة الشاعر أكثر
من غيرها من اشعر. لان اشعر يقود به عصبه ومع قوله حزن. قال الاصمعي
لا شري. بل المراثي شرف شعركم فليس ان يموها وبقونا محترقة. لقد
صدق الاعرابي في كلامه فلم ياتي هي شعركم الذي ظهر عليه آثار حرقه القلوب
وما أورد هذه المراثي التي يقولها أصحابها ولا عذوباً تقرأ هذه الحرقه وانما يرى
فيها صوراً دلتها من ما كتبها والتفتها ما في احمر ولا مكاد تجد فرعاً بين
الرحلين المراثين ثم شيء هذه لظفة من الشعراء بالمواعظ الداني يكتين ولا
حرح في فومنت. اما لا ياتي في أمثال هذه المراثي لا استقطاع الخطاب والقيمة
على لافادار وم. شانه هذه الاساليب المكررة. ولرحل المراثي ينبغي ان تكون له
صورة في المراثية تليق به ولا يبق عبده من الموقى. واما اذا كانت هذه الصورة
تصلح لكل واحد موت. كل واحد كي عنه ولا قيمة لها ولا قيمة لها. فليطو
الى المنتهي في مراثيه. هل تجد فيه عطفة تحلف عن عاطفة في السيب.

الغضب :

كان نفيهم عالمون بانبي حلوب اليهم من معادته اليها
ولو قابلنا بين عاطفته في هذه المروية وبين عاطفته في غيرها من المراثي
كالمروية التي قالها في محمد بن اسحق التوخي :

خرجوا به ولكل بالكلية صعبا موسى به مدك الطور
والشمس في كبد السماء مريضه والارض واجفة تكاد تمور
لتين لنا الصديق من الكذب في العواطف فلا الشمس تمرض من موت
رجل من الرجال ولا الارض تمور فكاد ابو الطيب في هذه المروية يكون في زمرة
هذه الطبقة من الشعراء التي تشبه الواحات في الكاء .

على اننا نجد في مراثيه في ام سيف الدولة

مشى الامراء حولها حماء كأن المرو من زرف الرمال
وارزت الحدود محآت بضم القصر امكة العوالي
اتهن المصيبة عاهلات فدمع الحزن في دمع الدلال
وفي اخته :

بطن ان عواذي غير ملتهب وان دمع جهوني غير مسك
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب
وفي عيم يماك :

لا تقي يماك في حشاي صاة الى كل تركي الحجار جليب
وفي مراثيه في ابي شعاع فائق .

رد حشاي ان استطعت بلفظة فلقد نصر اذا تشاء وتنع
شيئا من العواطف الصادقة ولكنها لا تشبه عاطفته في مكانه على جدته فان
قاله في مراثيه في جدته هو الذي يمي عليه ويكتب

هذا هو اليسير من الكلام على طائع احساس المتنبي وعاطفته فالتنبي صاحب
احساس شديد ولا يخلو هذا الاحساس في بعض المواطن من شيء من القسوة

وأني قلب اقصى من القلب الذي يأس بالدم ومشاهده، فلقد ذكر أبو الطيب
الدم في كثير من شعره ولا بعد ان يكون الرجل مبالا الى الفتك، ماذا اذكر
من أياته التي فاصت دماً أذكر قوله

فقد ردت فوق النقان دماؤهم وعن أناس نفع البارد السحب
ام اذكر قوله .

فما زال طرفك يجري في دماؤهم حتى مشى لك مشي الشارب الثمل
ام اذكر هذا البيت

ألفت اليك دماء الروم صعبا فلو دعوت بلا صرب اجاب دم
والايات من هذا النوع مستعينة في ديوانه .

من حواسه لتبسط الى رؤيته ادم ولا يحسف عن صناديد القواد ادين ألغوا
الدم في حروهم ولا يستعظمونه فما اصدى ما قاله فيه الشريف الرضي : واما ابو
الطيب لمثني ففائد عسكره ؟

روح المبتلى

١٢

لكل شاعر روح تفيض على حسات شعره ، ومهما حاول أن يخفي هذه الروح
ولا بد لها من الظهور ، لكل شاعر روح ، هذا نغمس الدنيا في طاءه . فنرى في
أصناف شعره ظلمة الدنيا وعوسها ، وهذا نغمس الادم في وجهه ، فوجد في أثره
شعره صياحه الألام وانتقامها . هذا يسير إلى حد الحياة فلا تقع في شعره على
شيء من هزها ؛ وهذا ينسبط إلى هزل لعبش ولا شعر في فيض . . . شيء
من جده ، شاعر ضياء الأمل مسعير في شعره ، وشاعر طيبة الأمان شامة في
قريضه ، لكل شاعر روح . . . محمى روح المنسي ، ما هي هذه الوثائق التي وثقاها
في كل مذهب من مذاهب شعره . في سيده ورثائه . وفي أمه . . . وأهاليه . . . هي
هذه المرات التي . . . عنها في شعره وعناؤه في صوته القنعة وإكراهه المضطرب . . .
شعر ونحن نقرأ شعره في "تصنيفات الحياة متناهية الخواص في عبيده ، كأمه الألوان
في نظره . فلما نجد في هذا الشعر : "أمن آثار شیشه الدنيا ونقسام الزمان
أن في روح المدي شيتاً من دأف من ، ليس معنى هذا أن الطب لم يعرف قيمة
الحياة ولم يقدرها ، حتى قدرها فلان المدي يقول

سبح نعم ولنة فلامور أو آخر أبدأ إذا كانت لهن أوائل
مادمت من رب الحيات أنا روق الشباب عليا طرائف
للهم آونة تمر كأنها فليرودها حبيب راحل
لغير معروف خبره ومصادرها ومداخلها ومخارجها
والذي يقول .

و ليد الحياة نفس في النفس ونشهى من . . . يدل وأنحنى

وإذا الشيخ قال أف فما مل حياء وإنما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا ولجا عن الماء ولقي
لا يعمل عن استمرار المساط نفس وشرائح الصدر وربما أحاط من هذه
لاستمرار ماء حطبه اعرف ان من مقدار الحياء وما هذه الاستمرار الا الصحة
والاشباب وإذا لم لم قل من الصحة في رد قشيب ولم تنقب من الشباب
وارف اطلاقاً، لم يجد للحياء هذه مع لم يحل او الطيب قيمة الحياة وهو
حريص عليها لانها شبيهة

المرء يأمل والحياة شبيهة والشيب او قرة الشدة ارق
ولقد بكى على شابه

ولقد بكيت على الشباب ولما مسودة ولما وحيي روي
حذراً عليه قل يوم فراقه حتى لمكثت بماء حمي انرق
وفي هذه الدموع دليل على حبه الحياة وحرصه عليها وربما اشد هذا الحرص
حتى أخرجه في صباه من شيء من الشدة وافحمه في شيء من ذل الحب في بعض
الحالات فمن قوله في مدح الحبيب من اسحق لسوحي وكل قوم قد هجوه ونحلوا
الهجاء الى أبي الطيب :

وما أربت على العشرين سي فكيف مدت من طول الفاء
ومنه قوله لو ابي وهو في الاعتقال

دعوتك عند انقطاع لرحاء ودعوت مي كحل الوريد
دعوتك لما راي الالام وأوهن دحلي نعل الحديد

كل هذا حجة على دعة لمسي في حبه ومساكه به ومع هذا فان لا نجد
في شعره أثر الصياء احياه وثبتها فكان لرحم قد حرم حظه من بينها
او كانه لم يكن له من نصيب شاه وكان صحته آلة يستعين بها على ذوق هذه
اللذة فكان المتفي بشنكي صحته فكثير ما أشار في شعره الى تحوله ومن هذه
الاشعارات :

روح تردد في مثل الخيال اذا طارت الريح عنه ثوب م بين
كفى بحسبي محولا اي رجل لو لا محاطتي اياك لم توني
ومها

جمعت بين جسم احمد والسفة م وبين الحفون والتسفيد
ومها

ولا وقت بحسب مني ثالثة دتي ارسم دُرُس في الارسم المدرس
أفكان مصابا شي من المايخوليا التي يجد آثارها في شعره فقد اسودت الدنيا
في عيبه وقل سروره منها وضاع عمره :

وقت يضيع وعمر ليت مدته في غير امتا من سالف الامم
أق الزمان سوه في شيته فرم واتيناه على الهرم
واستحق بامر الحياة لم بدل أطال العمر أم قصر

كثير حياة المرء مثل قلبها يرول وباق عيشه مثل داهب
واقصى به الاستحقاق الى شي من القسوة في مواطن البكاء .

انصكي لمونا على غير رغبة تعوت من الدنيا ولا موهب جزل
وما لدمر اهل ان تؤمل عده حياة وانت يشاقق به الى النسل
م لم يطر الى الدنيا من وجهها الجدد وانما نطر اليها من أفقها الكثير
فما من شعره كآفة فهو يتصور الموت في كل حالة من حالاته ، في صحته واعتلاله .

وان أسلم فما أفنى ولكن سلت من الحمام الى الحمام
ومن كان هذا طره في الدنيا فلا عجب اذا حاجت به المايخوليا في بعض
الاحيان فقلب الموت لان الموت هو الذي يشقيه عما يكابده من الم القس واي
الم اشد من رؤية الحساد ، ولا سيما اذا كان المحسود مثل ابي الطيب بعادونه على
فضله الذي يستوجب محبته ، وبإمام عنهم ولا ينامون عنه :

انعادي على ما يوجب الحب للفتى واهدني والافكار في تحول
لا عجب اذا طلب المتني الموت ولقد طلبه لانه فقس عن صديق مخلص له فلم

يجده وعن عدو مداح فاعياه . فالحياة التي ليس فيها صديق مخلص ولا عدو مداح
لا يكثر على رجل مثل المتني ان يطلب فيها الموت ، وهو من هو في شدة احساسه
واهتران اعصابه وسرعة حركة نفسه :

حسب المايا ان يكسر امايا
نعميتها لما تميت ان ترى صديقاً فاعيا او عدواً مداحيا
لا عجب اذا كانت المايا من اماي المتني لانه بين ظهري رجل ودم خداع
ودينهم نفاق :

لم أر ودم الاختداع ولم أر دينهم الانفاق
ان رجلا هذا هو نظره في الحياة : ان رجلا يستوي عنده قصر الحياة وطولها ،
لانه يرى ان الحياة مصيرها الى الزوال بعيد عن التمرع لمعالية الايام والسعي في
الحصول على شيء من عظمة الدنيا سواء أ كانت هذه العظمة في المال أم في الجاه
بمع ان رجلا هذا هو مذهبه من عادته ان يقضي في طلال الهدوء وراحة البال
هذه الايام لقليلة التي يعيشها مستهزئاً بكل عظمة ساخرأ من كل جاء ، لان الحياة
في نظره أحقر من ان يراحم عيها ان رجلا من امايه المايا لانه لم ير صديقاً
مخلصاً له ولا شه صديق ليفتب اليأس عادة على قلبه فلا يضرب في
مناكب الارض انتقاء لشيء من عظمة الدنيا ، ولكن المتني بعيد عن هذا كله
وهذا موطن من مواطن تناقضه في اخلاقه ، فقد كانت حياته تجمع بين العدل
والشؤم وتؤام بين الباطن والرجاء ، وانه ليرى طلعة الدنيا الى جانبه اد يسمى الى
ضياتها من جانب آخر ، وانه ليهزأ بطول الحياة وقصرها اذ يستعد وسعه في
الوصول الى شيء من ظواهر العظمة في هذه الحياة ، ما افلق ابا الطيب ، ما
أشد اضطرابه .

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القاق
فكان يغضب على الحياة ويرضى عنها بحسب حالات نفسه ، وعلى قدر هياح
اعصابه وهذوئها ، لقد غضب على الحياة من الناحية التي رآها مسودة ولكنه سعى

في الوصول الى الذي خالغ قلبه في هذه الحياة سعياً، تقتصر حبه سوانق الالهام؛ وربما
كان ينحط في بعض سببه الى طغيات المستعطين، مرة كان يستعطفه نصرياً؛
ثم أمطر على سحاب جودك ثرة وانظر لي برحمة لا اغرق
ومرة كان تعرياً

فما تغير شام رفقك فافقه ولا في بلاد انت صيتها محل

وحياً كان الاستعطاء مشتملاً على شيء من التقين

فان تقنوها، فمادام عرفت بها أو لا، ذلك لا يسخو بلا هوكا

نعم سمى في هذا كما، ما كنت عرائنه، ولا فترت همنه، ولا وجد اليأس الى
قلبه سبيلاً، فقد عمل بسوء كأنه يعيش اداً وكان مدحه في عمله، الدنيا لمن غلب،
حاول ان يعلب فما قصر سحر من كل رثته له، ودل كل عفة اعترضه، فهو
تجسم العرم لكل او نصيب جسمه، ولو تصور العمل لكان صورته الباطنة،
ان شعره ليبيض رحوليه، ان شعره نما هو شعر الرجل النوي على مناعب
الحياة، يتناول له عدده المدين ولا يحصد من شوكته، ولا يضعف من عزوه
واداساه مكان اتجع مكان، غير سواء أكل مسجعه بعيداً م كال قرناً، ما أعظم
المنسي في هذا الجسد على لمرس، لا آفات والمطاعة للايم افيكاً، يكون المثل
الاعلى في الاراع والمدينة، وتي من امرم ما صغرائه كل عظيم من عظامهم
الدنيا حتى شانت له من هه كلة قوة مسعة استعان بها كل حياته، يحسن الرجل
في سبيل أمر من الامور فيخرج من حده ويصرب في الارض لا مطية له الا
العل ولا الخف فيمدح من يمدح ومن مدوحه من لا يعطيه على قصائده الا
دياراً فيصبر ولا يقنع منه من الحياء، ويتصل بسيف لدوله فيغرق في عمه
فيكبد له من يكبد ويحسدوه، فيترك سيف لدولة ويرجع الى ديدنه في السعي
والجهد، فيأتيه وعبد الدردان يسجو من شرهم ويقصد حضرة كائور الاحشيدي
فلا يكرمه اكرام سيف الدولة ولا يسمح له بالجلوس في مجالسه، ويثبت عليه
العيون والارصاد ويضمر منه فيبطلت منه ويعود الى سعيه فيشأمر عليه عبيده

فيجهر على أحدهم ويطلب على امرهم ويعود الى العراق فيثور عليه شعراء العراق
 فيهرب من بغداد ويصل الى بلاد فارس ثم يستأجر عضداً لسهولة في العودة الى
 وطنه فيحدثونه من الموت فلا يحب الموت ويهجم عليه فيموت. اطلال في
 هذه الامور كلها سلسلة حياة تكاد تكون مقصدة لطير في الصبر على اشدائد
 والاستعداد لمطاعة الدهر، واطل ان الرجال الذين يصرون بعد الصدمة الاولى
 من صدمات الحياة قليل عددهم، ان كثيراً من الناس تضعف عرائسهم في اول
 صربة من صربات الزمان، فالتنسي من هؤلاء الرجال الذين مارسوا الايام
 ومارستهم وصار عوهار صارعتهم ثم استسلموا ولا انقادوا، يباعتهم الدهر من ناحية
 فيستعدون له من ناحية ثانية، حتى تعمل الايام طوال رايهم فتلقى اليهم سلاحها
 وتطوي دون عزائمهم، ولو صور العراك والعلاب والاراس لكان المتنبي صورة
 هذه الامور كلها. مكانه جعل مذهبه في سيرته ما جرى على لسانه في بمص شعره
 فالموت اعذر لي والصبر اجل في والبر اوسع والبيان غلبا
 هنا تظهر رجولية المتنبي، ما يكون ابو الطيب القسوة لمن يريد ان يقتدي
 به من الاعاظم الذين لا يكاد يظهر فصلهم حتى تتداهر عليهم المكاييد وتتواطأ
 عليهم العوائق فاداً جسوا واستسلموا اضفاً الحساد من نورهم واداشجعوهم ومصوا
 في سبيلهم من هؤلاء الحساد حس ثنائهم، وماتوا من سخريه الذين يحسدوهم
 فلا يجسسون الى اطباء النور سيلا .

في شعر ابي الطيب رجولية تمبصر في كل حبة من حبات هذا الشعر المسبح
 وما هذه الرجولية الا صورة روحه واعداً انت هذه الروح الا الظهور في كل
 مذهب من مذاهب شعره: فسواء عليه امدح أم يح و سواء عليه انعزل أم سكي،
 ان روحه تغلب عليه في ما يبحه، ما يحبه وفي غياله، كأنه ان هذه الروح انت
 الا الوضوح في كل حال من حالاته وفي كل طير من اطواره، سواء أكل
 فقيراً أم كان غنياً، انكم انجدوه بكلي شقوته ويصير من رقة حاله وخشونة عيشه
 ومع هذا فان روحه لا تفصل عن النغمي بالكرم وعن التديب بالدل . فبعد

أنت يقول:

الى أي حين أنت في ذي محرم وحنى منى في شقوة والى كم
لا يلبث أن يقول:

والا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاس الدل غير مكرم
قرب وانقأ بالله وثمة ماجد يرى الموت في الهيجا جنى الحبل في المم
وما كان المتني الا صادقا في قوله، ولقد امتلأ شعره من هذه النزعات
السامية والوثبات الكريمة فاخلت فصيده من قصائده من هذه الروح العالبة
وينما نجله يقول

ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيسامي وقل عنه فعودي
اذ نجله يقول:

عشر عزيزاً أو مت وانت كريم بين طلع القنا وحقق البود
فاطلب العز في لطف ودع الدل ولو كان في جوار الخلود
فالعز والمجد والعليا وكرم النفس أفاضت حرت على لسان أبي الطيب المتني في
كل شعره فكانت تفصح عن حقائق روحه وبواطن نفسه، ولقد أدنى به تعبه
بهذا العز وبهذا المجد وبهذه العليا الى مواطن الموت، مثلوا له الموت وحذروه
منه فما حذره ولا حافه هجم على الموت خوفاً من ان يقال فيه أنه حنان، فما أبعد
أبا الطيب عن احتمال الاذى ورؤية جانيه:

واحتمال الاذى ورؤية جانيه غداً تصوى به الاجسام
ذل من يغبط البليل يعيش رب عيش أحف منه الحمام
من بين بسمل الموان عليه ما لمرح نيت ايلام

ما أبعد أبا الطيب عن احتمال الاذى! لقد عرق في بعم سيف الدولة وفي
مكارمه ومع هذا كله لما عث به سيف الدولة وأحسن المتني شي من الانقاض
عنه ما لبث ان عاف هذا العيم وهذه المكارم:

وما منزل المذات عندي بمنزل اذا لم أبجل عمه وأكرم

سجينة نفس ما تزال مليحة من الضيم مرمياً بها كل محزم
نعم يا بني ابو الطيب الا ان يبجل والا ان يكرم، واذا سكت وهو في حصرة
كافور عن شيء من هذا التجمل والتكريم فما معنى هذا الرجل هات عليه
نفسه وانما طمع وهو في حصرة كافور في شيء من الملك شغل باله طول
حياته فصاع ككافوراً ارادة الوصول الى هذه الولاية لي أملاها ولما أحسن
بالشر وبالاذى ولي عن كافور .

أنت هذه الروح العالية الا ان تظهر على شعره في كل مذهب من مذاهب
هذا الشعر ، لقد ظهرت في أماديه ، فاذا مدح أعرب عن روحه قبل ان يصور
الممدوح ، وربما جعل للافصاح عن روحه في أماديه الصيب الأوفى .

ولا تحسبن المحمد رفا وقيمة فما لمجد الا السيف وانفكته الشكر
وتصريب اعناق الملوك وان ترى لك هوات السود والعسكر البحر
وتركك في الدنيا دويماً حكاماً تداولت مع المرء امله العشر
نعم لم يفهم عن اظهار روحه في اماديه حتى في أماديه في سيف الدولة .
وانما لفتى الحادثات بهن كثير الرزايا عندهم قليل
يهو علينا ان نصاب جسمنا وتسلم اعراضنا وعقول
ولقد ظهرت روحه في مرثية اي في المواطن التي يدهل فيها الانسان عن
كل عظيمة وعن كل عز في رثته لجذته ، وقله ملتهب ودمعه منسكب ، لم يفهم
عن روحه :

فلا عبرت في ساعة لا تعري ولا صحتني مهجة تغفل الطيب
روحاً عالية عليه ، فتم تعلقون بمقدار محنة لجذته ومقدار أسفه على وفاتها
ومع هذا فلم تفسد وفاتها روحه ، فكان في باطنه شيئاً يخرجه حتى يظهر وما هذا
الشيء الذي يحركه الا روحه ، وكذلك حاله حتى في غزله .

وقد طرقت فتاة الحبي مرتدياً صاحب غير عزهاة ولا غزل
لا اكسب الذكر الا من مضاربه أو من سار أصم الكعب معتدل

وكنك شانه في اماجيه:

ويلتها خطة ويلم قالها لئلا خلق المهرية القود
وعندما لدعظم الموت شاربه ان المية عند الدل قديد
ما أعظم روح اني الطيب ! ما أطهرها على شعره !

٣ مايس سنة ١٩٣٠

فلسفة المتنبى

١٣

علماء طائفة من احوار المتنبى واحطأ بشي من حلة اخلاقه ووروجه وطبيعة حسه وعاطفته ، بقي ان يعرف درجة عبقرته وخصائص هذه العقيرة ، هل يخلد شعر المتنبى ، ماهو السر في خلوده وول لم اتفرغ لهذا كله ارى ان الواجب علي ان ان اطر في فلسفة المتنبى .

اشار القاصي الجرجاني والتماعبي الى ان ابا الطيب خرج عن رسم الشعر لى طريق ايفسفة واصاف انما لى الى هذا الكلام ان المدي امتش العاط المتصرفه و- عمل كلياتهم المعقدة ومعانيهم المخلقة فنه قوله :

ان نحن من ضايق الرمان له فبك وحانه فرك الليم
حتى قال الصاحب ، ولو وقع هذا القول في عبارات الجيد والشبي لدارعه
المتصوفة دهر اطويلا ،
ومنه قوله :

يا ابا الملاك المصطفى جوهره من ذات ذي الملكوت اسمى من سما
نور نفاهر فيك لاهوتيه فكاد تعلم علم ما ان يعلمنا
ومنه قوله :

ولقد رمت بالسعادة بعضاً من عوس العدى فادركت كلا
فالجوهر المصطفى واللاهوت والعض والكل من أعاظ رجال الفلسفة والمنطق
ولفتح لى طائفة من اسماء اطباء اليونانيين وحكامهم امثال جاليوس وقراط
ورسطاليس وبطليموس ،
وجرى في شعره ذكر بعض المذاهب الفلسفية .

من هذه المذاهب:

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبرات الماتوية تكذب ومنها:

ألا قى يورد الهندي هامة
فانه حجة يؤذي القلوب بها
كما تزول شكوك الناس والنهم
من دينة النهر والتعطيل والقدم
ومنها:

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
فيل تغلص نفس المرء مسألة
ومن تفكر في الدنيا ومهجته
الا على شجب والخلف في الشجب
وفيل تشرك جسم المرء في العطب
اقامه الفكر بين العجز والتعب

ومن ان شيوخ ابن حارون لم يسموا شمر المتنبى بمخالفته الاساليب العربية
الاسمب لحوثه الى هذه المصداحات العاسمية واشباهها لان السحر كما قلت في
سحر لعقوبة ، عرضه ان يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتعاضد التجريدات
وعبارات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص الشرفي بحمل الشعر في عالم
يخالف عن عالم الحيات وعام اصبع المحسوسة ولذلككم يستجدون في فصل الكلام على
شعر المنبي ، الطيب اذا حلد فان حوده سيكون من الناحية التي عابه بها شيوخ
ابن حلدون ، فاد حلد المنبي فان الذي يخلده ايا هي تلك الحكم لراثة بني استعاضت
في شعره فاستشهد الناس بها بحسب ما يقتضيه مقام الاستشهاد فكان ابا الطيب
لسان حال اشعر جمعهم فقد يقدف المنبي في بيت او في بيتين مذهباً فلسفياً او
علمياً يشتمل به المفكر و كل حياتهم من هذه المذاهب قوله :

فيل ما يلوم في ثوبه
من وجد المذهب عن قدره
الا الذي يلوم في غرسه
لم يجد المذهب عن نفسه
ومنها:

راعتك رائحة الياض بمعرق
ومعنى هذا البيت : راعتك الشعرة البيضاء التي ظهرت في رأسي ولو ان

الشعر يكون أبيض في أول أمره ثم يسود لراعيك الشعر الأسود ، فكأنما أبو
الطيب أراد أن يمثل للناس على نحو (بيرون) في القديم أن آراء الحق سريرة التبدل
والتغير مما يدل على شك الناس في حقائق الأمور ، اعتد الشر بن يروا الحسن
في الشعر الأسود والقبح في الشعر الأبيض ولو تعودوا أن يروا الحسن في الشعرة
البيضاء والمساوي في الشعرة السوداء لما كان الاشتغال الرأس شيئا أترشيع في
العيون فكأنما لاحقائق مطلقة في العالم وإنما الحقائق نسبية ، الامر الواحد كما قال
هناثول فرانس ، مشاهد متفاوتة ومظاهر متباينة ، انظر الى هرم ميس في طلوع
الشمس ثم انظر اليه في غروبها فانك تجد في الصباح مخروط الشكل يسقط عليه صاء
وردي ، وتجده في المساء مثلثا أسود اللون ومن الذي يعد فكره الى مائة هذه الهرم
والعادة والمصطلح هما سبب كل عمل في هذه الدنيا .

قد تكثر هذه الطرقات الفلسفية في شعر المتنبي ولكني أمس بها كما مر منها أبو
الطيب نفسه لأنها لا تؤلف الفلسفة التي أراد الكلام عليها . بل لا تؤلف
فلسفة المتنبي : وإنما هي حطرات قد يجوز أن يكون تقريبا من الكتب المترجمة
أو دلتها عليها عقله الكبير فلم يتوسع فيها وإنما الذي توسع فيه الطرقي الحياة وإحلاق
أصحاب هذه الحياة فلهذا في صورة الحياة التي يريد بها أبو الطيب
صوت أبو الطيب المتنبي الحياة في شعره في أشرف صورها وعرضها في أكرم
معارضها هو يريد بها مسألة من كل صميم ، بعيدة عن كل دلائل وتدور في شعره إلا أعماط
العز والمجد والكرامة وما تقتضيه هذه الأعماط من تعب الاجسام وسبك الدماء ، فلهذا
لا تكون رحيصة ولا بد من أبر الحبل دون الشهد ، ولا بد من مرارة الرمال
دون حلاوته ، ليس الفقر أن تغث المأكلة إنما الفقر أن تغث الكرامة . ولا
تكاد عيشة العز تعارق صورها شعره ، وإن كان هذا العز في جهنم وإن كان الدل
في جنات الخلود ، على مَن يخاف الموت فقد يقتل العاجز وهو آمن في سريره ، وقد
يوقى الشجاع وهو غارق في الدماء ، على مَن يخاف الموت والموت لا بد منه وسواء
أفرط الرجل في سلمه أم أفرط في حربه ، أن عاينه الموت فإذا كان الموت غاية

كل واحد فلم تحقق الاقنعة من الرعب فالتحت في العز محير والذل في طول
العمر بغيض .

صور الحياة في أكل صورهم ينهي لباس ان يكون عليهم ردة جسمهم
اذا سلت في هذا الرء عقولهم واعراضهم . لا تحتمل الاذى ، لا تفبط الدليل ،
لاتهن . هذه هي لوصايا التي لم يحل بها شعره . دع نفسك تأخذ ما يحكمها احده
من هذه الدي . ولكن لا تحسب هذا الواحد في رق اوقية . فما المجد الا السيف
والسكة البكر . ما المجد الا ضرب أعناق الملوك . ترك دوي في الدنيا . اسح الى المجد
ما استطعت اليه سبيلا . اصلب المال في المجد . اطلب المجد في المال . حلف ذكراً
طيباً فالدكر عمر ثان . اكسب هذا المجد من مصارب السيف ومن سنان الرمح ،
قاتل في سبيل العلى . قاتل في سبيل السلم . السعادة في سفك الدماء . ابن الممالك على
الاسل . سلم شرفك من الاذى بارافة الدم على جوابه . طلب حقك بالظلم
بالضرب . الدنيا راع . والدنيا لمن علب ومن استطاع ان يلتصق الاشياء اغتصاباً
لم يكتسبها سوا الا . اذا عارت في شرف فلا تقنع بما دون النجوم فاللوت واحد
في عظام الامور وفي صغارها . لا تعمل بالآمال . لا تقنع بالافلال . لا تسكر
فما طاة الصمغ والعواني الد من المدام . الموت في الوغى عيش . لا تداج .
لا تقصر في اربك . لا تاجر . لا تنكل على احد ايك والغص اذا كنت قادراً
على الهام . حالس كشك فان الكسب خير جليس . اكرم الكريم فتملكه . لا تكرم
الذميم فينمر . احرص على الحياء فان الحياة شبة وحرص على اللذات . لنكر في
حرصك على هذه الحياء وعلى هذه اللذات محلاً مكرماً . اياك والعواني فان ضياء
في نواطه ظلام . لا عهد له . يتحقق فلا يبقى في قلبه وضي ويرضيه فلا يبقى في
قلبه حق . هذه هي الحياء التي يربها المتسي . اياها الحياة سامية ولكنها بمزوجة
بالم . بعيدة عن الهدوء والسكينة . ملوثة بالفسق والاضطراب . كلها نزاع . وكلها
عقاب . وهل الدنيا الا علاب . ان الحياة التي يربها ابو الطيب اما هي حياة القوة
وهل يكون عزيز الجانب غير القوي . قاتل . غالب . هذا هو الهدف الاعلى الذي

يرمي اليه المبني . وقد قاتل وعال كل حياته . فما كانت فلسفته الا بنت خلقه وطعمه . جمعت هذه الفلسفة بين لمطمان المادّة وكرامة الادب . ولا خير في المال اذا لم يزيه المجد . ولا خير في المجد اذا لم يثبته المال . وهل تكسب هذا المجد الا بعد ارجاع البدن واطلاق الروح . وهل يصل الى هذا المال الا بعد ذوق مرارة الموت ولكن حلوة هذا المجد وهذا الموت تمسيدا لمرارة الایام التي انقضت في كسب المجد والمال .

هذه هي الحياة التي يريدنا ابو الطيب ومن كان نظره في الحياة مثل خطر ابني الطيب فخلق به ان يكون متشائما لان المجد والمرو والكرامة . كل هذا يقتضي مكارم الاخلاق . وابن مكارم الاخلاق في زمن لا صديق فيه محض ولا عدو مداح ابن مكارم الاخلاق في زمن وذل الناس فيه خداع . وديهم هاق . عالمهم فتم . وحارهم وعد . وصيرهم اعمى . وشجعهم قرد . ولي المتنبى بهم بلاء الورد بانوف لا يصلح ذا الحشيش . ليس من العجب ان يكون المتنبي متشائما اذا كان في زمن وفته فيه صانع . ليس من العجب ان يحذر الناس . انهم لا يرحمون فلا ترحمهم . روى رمحك من دعاتهم . اقلهم ولا اثم عليك . ليس من العجب ان يرى ابن الطيب الدهر غير اهل ان تؤمل عنده حياة وان يشاقق فيه الى النسل

من مزاجه السويداوي ومن شابه المضطرب واكتناله القلق . ومن فرط حسه وعصبته . ومن الذي لا قاه في زمه من الحسد تولد شيء من التشاؤم في حلق المتنبي . والتشاؤم كما قال فيه الاسود . هلكه . مرض خلقي لا يحرم صاحبه العبقريّة على شرط ان يكون المصاب به حاصلا على الصنف الآخر من هذه العبقريّة وهو الخيال الجديد .

ما هو التشاؤم ؟ ان هو الا ادراك الحياة من أوسع جوانبها . ومن أشد بواحيها طلبة . واذا لم يكن هذا التشاؤم صادقا كل ضربا من السعريّة . واذا كان صادقا ولم يكن لصاحبه عقل كبير كان نوعا من الهزء . لانه قد يصي بالمستحي الى الشكوى من آلام حقيرة يقاسيها كل الناس . ولكن تشاؤم رجل مثل ابن الطيب صاحب

عقل كبير وخيال مديد ليس فيه شيء من المهزلة .

وعن هذا التشاؤم وعن هذا الالم الذي قاساه المتفني كل حياته صدرت افكار سامية ، من جملة هذه الافكار : العبقريّة تجعل صاحبها في شقاوة .

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة بنعم ما أصدق هذه الحكمة ! لتبحث عنها قليلا :

ملك السيارات في هذا العصر (فورد) ذهب اسم سيارته في آفاق العالم كله ؛ يكاد فورد يصنع ثروة الدنيا فهو يلعب بالذهب لعباً ، انه ليستطيع أن يدرك أمانيه كلها بالمال . فلا يشك أحد في عظم سلطانه ، فقد أذعنت له الدنيا عذائيرها ، وملك العلم في هذا العصر (ادسون) لقد أدهش العالم كله بمخترعاته ، فقد حفظ أصوات النسر وقرب بين متساعد المسافات بعد أن قاوم الطبيعة فهو يجد في معمله اكبر لذة يجدها عالم في اكتشاف شيء . يعترف بسلطانه العلماء بجماعهم ، لا ريب في أن (فورد) و (ادسون) من ذوي العقول الذين أشار اليهم المتنبي في شعره . فهل شقيا في نعيمهما كما قال المتنبي . أم هما على خلاف رأي أبي الطيب . لسطر الى رأي كل منهما في سعادة الآخر يقول (ادسون) في سعادة (فورد) :

رأيت حديثاً كيف ركبت آلات آخر سيارة من سيارات (فورد) لقد رمى سيارته هذه الى أحشاء العالم . وقد وفق في مخترعه توفيقاً عظيماً ، فكان يحب على فورد أن يكون سعيداً كل أيامه سبب توفيقه هذا ، ومن موجب الأسف ليس له شيء من هذه السعادة ، ان (فورد) سيكون سعيداً رماً قليلاً لانه من هؤلاء الرجال الذين لا يدوم سرورهم طويلاً ، ان عقله ليعبده في كل حين لان هذا العقل تشغله أمور حديثة لا حد لها ، فادأتم له أمر منها فرح به ، ثم فكر في أمر آخر وعلى هذا فانه يجري من أرب الى أرب من غير ان يكون راضياً . فادألم يستطيع الرجال ان يحدّدوا مظامعهم فاهم لا يستطيعون ان يكونوا سعداء ، فإلدي يجدر بنا ان نحسد في هذه الحياة انما هم الرجال الذين أبعد همهم

ان يقضوا على فراشة . اسعد الناس اما هو العبد الذي يعيش وليس في قلبه مطمع من المطامع .

يقول بعضهم ان المستر (كولدج) كان سعيداً وهذا خطأ فقد قضيت عنده ضعة ايام فكان كل همه ان ينزلي رئاسة اجمهورية فلما القبت اليه مقاليد هذه الرئاسة كان كل همه ان يخرج منها وان يغادر القصر الايض خوفاً من نعاته . اما انا فقد كان أعذب ايامي تلك الايام التي كان عمري فيها اثني عشر عاماً ولم يكن لي فيها مطمع او هم ولكني لما كبرت 'صغت' السعادة فاداً رويت نظري الى الاثنين والثمانين عاماً اني عشتها وجدت فيها ايام كنت أستطيع ان أكون في خلالها سعيداً كل السعيد غير اني كنت فيها أشقى الأشقياء .

و يقول (فورد) في سعادة (اديسون)

أرى (اديسون) بعد مدة السعادة انكامله لانه عارق في مشاعله وليس به حاجة الى ان يجعل الشغل واسطة العيش وما السعادة كلها على خلاف ما كان يذكره العالم الكبير من انه لا سعادة في هذه الدنيا . كان سعيداً في طفولته وشيئته فقد كان عاملاً في البرق واصحابه وصار عالماً في شبابه . صاحب مكتشفات عظيمة ، حصلت له أسباب العمل في كل حين ، فقد اراد ان يجعل الليل نهاراً فكتب له التوفيق . وشاء ان يردد اصدااء الصوت الشرقي فتمت مشيئته . لقد وجد لديه كلها في هذا الجهد العظيم ، لان الرجل الذي يعمل من أجل عايات شريفة . ان الرجل الذي يعمل من أجل العمل نفسه . انما هو سعيد كل السعيد

فاذا كان (فورد) يعطى اديسون طراز حياته . وهو من هو في الثروة . واداً لم يكن (اديسون) سعيداً في ايامه وهو من هو في العلم . فما اصدق ما قاله المنسي من ان صاحب العقل يشقى بسب عقله في العيم ، وان أحمال الجهالة يعم في شقاوته .

وانكم لتجدون في شعر المصبي كثيراً من أشياء هذه الحكمة الرائعة استبطنها من الحياة نفسها ، فكانت الحياة قد عرصت عليه صورها الصلابة واشكالها المسايمة

فاستبسط من خيرها وشرها ومن حلاوتها ومرارتها ومن كرمها ولؤمها أمثالا
قدفها في آيات وانصاف آيات، فالرجل قد جرب كثيراً حتى احكته التجارب
وتغلغل في بواطن القلوب فأعطته مقاليد أسرارها. فلا يكاد يحدث حادث في
هذه الحياة ألا ويجد في شعره أني الطيب ما يمثل هذا الحادث. فما أقرب الحكمة
من طرف لسانه. وما أجراها على شق قلبه. والحكمة اذا كانت نت التجارب
كانت أعلق بالادخال. وأسير في الالبام، والمندى من التجارب.

اذا ما الناس حرمهم لبيب فاني قد أصكلهم وذاقا

١٧ أيار سنة ١٩٣٠

عبقريتنا لم تنبئ^(١)

١٤

أحطت من تسع عشرة سنة بآ من الشعر قاله الشاعر الفرنسي ، بوالو Bouleau ، في الشاعر ، مالرب Malherbe ، وهذا هو صدر البيت ، حتى جاء مالرب ... ، وادكر انا كما ندوس في مدرستنا نارسح لادب العربي الذي وضعه الاستاذ ، دوميك Doumic ، صاحب سر الاكاديمية ، وقد أفضى بنا لدرس الى الفصل الذي عقده ، دوميك ، في الكلام على ، مالرب ، فالاستاذ ، دوميك ، يقول في تاريخه : ان ، حتى ، هذه تنقص من مقادير من تقدم ، مالرب ، من الشعراء . —

ولما وقفت على كلمة ابن رشيق الشائعة^(٢) ، ثم جاء المنسي ، فلا الدنيا وشمل الناس ، خطرت بياني في الحال كلمة ، بوالو ، حتى جاء مالرب ... ، فقلت في نفسي أوجوز لي ان اقول في ، ثم ، هذه ما قاله ، دوميك ، في ، حتى ، تلك ، أوجوز لي ان قول ان كلمة ابن رشيق تنقص من مقادير من تقدم المنسي من الشعراء ، أفريد ابن رشيق ان يقول ان المنسي عفى على آثار من سبقه

الصحيح ان انا الطيب الذي كان مشعلة للناس ، متعبه لهم ، ولكن هل كانت عبقريته وحدها السبب في شعله للناس ، أفلم يكن لحواذته تأثير في هذا الشعل . أفلم يكن لانصاله بسيف الدولة ويكافور الاحشيبي ونار العميد ومعصد الدولة اثر في هذه الشهرة الشائعة أفلم يكن في نزاحم الملوك والامراء والوزراء عليه وتنافسهم فيه عامل من عوامل هذه الشهرة ، وعلى الخصوص فان في حملة هؤلاء المتزاحمين رجالا علت مارحلهم في الادب كان العميد مثلاً ، او كالمصاحب بن (١) هذا الفصل والذي يتلوه لم احاصرهما في كلية الاداب وانما كنتهما في

ثناء طبع المحاضرات اي بعد عطلة الكلية تنميماً للكلام على المنسي

(٢) العمدة - الصفحة ٦٤

عاد الذي لم يكن له نصيب من أماديح المتنبي ، فلم يكن في صدر أكابر رجال
 النعة على شرح ديوان المتنبي ، وفي مقدمتهم ابن جني عامل من عوامل شهرة أبي
 الطيب ، ان شاعراً يقول فيه الذماني " : وليس اليوم محاسن الدرس اعمر شعرا أبي
 الطيب من محاسن الاس ولا اقلام كتاب الرسائل اجري به من الس الخطاء
 في المحامل ولا لحن المعين والقوالين اشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين ، وقد
 امت الكتب في تفسيره وحن مشكاه وعويصه وكثرت لدفاتر على ذكر جوده
 وردية وتكلم الافاضل في الوساطة به وبين حصومه والاصحاح عن انكار كلامه
 وعونه ، وتفرقوا عرفاً في مدحه والقدح فيه والضح عنه والتعصب له وعليه . . .
 وان شاعراً يقول فيه القيرواني (١) : قد شملت الاسن وسريرت في انه ماره الاعين
 وكثر الناسخ لشعره وآخذ لذكره ، والعائص في بحر والمفتش عن جماله ودره ،
 وقد طال فيه الحلف وكثر عنه الكشف وله شبعة تعلو في مدحه وعلبه حوارج
 في حرجه . ان شاعراً هذا هو شأنه في الادب وهذا هو شأن الادباء
 فيه لا بد له من ان يملا الدنيا ويشغل الناس — !

ولكن هل ينبغي لنا ونحن ندرس شعر أبي الطيب المديء أن نتقيد بما تقيد
 به المفسرون ، أفلا يليق بنا أن نسلخ عن عوامل الشيعة التي علت في مدحه
 والحوارج التي أفرطت في جرحه حتى يكون طربا في شعره صحيحاً ، أفلا يليق
 بنا أن نسطر الى هذا الشعر من وجه الشكاف حتى يتبين لنا ما وراءه وسواء علي
 اكنت من معجدين بأبي الطيب ، العائدين له ، أم كنت من الذين يستوي عندهم
 أبو الطيب وكثير من الشعراء ، لا أستطيع ان أمر بملات عقريته دون الاشارة
 اليها أو ان أمر سحر هذه العقريه دون البقية عليه .

فلا بد لنا اذا طربا في طابع عقريه المتنبي وفي خصائصها ، ونقننا عن
 محاسنها ومساوئها من الطرب في آفاقها والسماء التي خلقت في عليائها حتى يتكشف

(١) بئمة النهر - الجزء الاول - الصفحة ٧٨

(٢) اعلام الكلام - الصفحة ٢٥

لنا. كل أفق على حدة فترى ألوان هذا الأفق سواء أكانت هذه الألوان كأمانة أم كانت زاهية باصرة، لا بد لنا من النظر في مذاهب أبي الطيب كلها . في غزله وفي نكاته وفي أماليه وفي مادبه وفي وصفه على اختلاف أشكاله وفي حكمه ومن جملة هذه المذاهب تستبين لنا طبائع شعر المتنبي .

اول ما أنعرض له من مذاهب المتنبي . انما هو الغزل ، هذا العزل الذي صدر به معظم قصائده اتباعاً لأصول بني عليها الشعراء من قبله فلم يخرم القياس ولا خرج عن الأساس على انه لم يثر عنه انه عشق ، وقد عرضنا حوداته كلها من ميلاده الى مقتله فما وجدنا فيه ميلاً الى شيء من العشق ، بل لم يهدأ النسيب في صدور قصائده ، يقول الاستاذ ، فأكبه ، في معرض كلامه على ، هوغو ، اذا لم تكن آيات الغزل آيات شاعر عاشق كانت مغلقة مضجرة ، وقد تكون هذه الآيات حسنة ، فلم يعرض المتنبي . غزله للأصجار والافلاق وان كان في بعض غزله شيء من الحسن .

لم اجد في كثير من سيب المتنبي . الا ما اجد عادة في الشعراء المتعزلين الذين جاؤا قبله ما خلا الشعراء العشاق الذين قال فيهم الفيرواني : " قد استحوذت الصنعة على أفكارهم واستغرقت دراعي الحب معاني اشعارهم فكلمهم مشغول بهواه لا يتعداه الى سواء ، لم اجد للمتنبي . في غزله الا الصور التي صورها كثير من الشعراء قبله كما جاءه الدياروكاستيقاف الصاحب عليها او كالضجر من يرن القلب ومن الشيب وما شا كل ذلك . فهذه صور مألوفة ومذاهب معروفة لم يكن للمتنبي . فيها انداع ولا اختراع وانما مشى فيها على آثار غيره

ففي قوآد الحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها

شباب من المهجر فرق لمته فصار مثل الدمع أسودها

قرأت مرة رواية واطمأ : رغائب يوحنا سريان ، وهي من روايات ، انانول فرانس ، اذكر ان يوحنا هذا ، وهو بطل الرواية ، احب فتاة رومانية مثله وقد

ملك عليه حبه عقله فكأنت الدنيا في نظره صبرة والحياة أي كآبت الدنيا في نظره صورة
 المثلة التي شهد تمثيلها والحياة التي سمعها فكان يهيم على وجهه في جنات الليل
 الهميم فلا يزال هائما حتى يصل إلى دار حبيته فيتأمل في أطرافها المطلقة ويقبل
 بابها ورما أعني عليه فلا يفيق إلا على صيرت هذه المثلة فالعاشق كل العاشق من
 نظر إلى حبيبه نظرة ، يوحنا ، هذا إلى فاته ، أفيشتمل غزل المتنبي على صور مثل
 هذه الصورة ، أمكان المتنبي في غزله مثل أولئك العشاق الذين تعرض عليهم الطبيعة
 مشاهد كثيرة فلا يحملون إلا بالمشهد الذي استولى على فكرهم وتسمعونهم أصروا أنا
 متباينة فلا بطريقتهم إلا صوت حبيهم ، أصل أنه يصعب على الباحث أن يجد في
 غزل المتنبي شيئا من هذا كله . —

نعم لم نجد في كثير من غزل أبي الطيب إلا ما أجده في غزل كثير من الشعراء
 فإذا شبه القوام شبه بالعص و إذا شبه الوجه شبه بالشمس أو بالقمر وإذا شبه
 الشعر شبه بظلام الليل ، فمن هذا الشكل قوله .

غصن على نقوي فلاة بات شمس النهار تقل ليلا مطبا

٢ فالألوان في غزل المتنبي مرادة والاصوات مكررة فالصور التي صورها إنما
 هي صور عتيقة بالسة إلى عصرنا هذا ، وبالعامة إلى عصر المتنبي نفسه فهي انداع
 في تشبيه خد ، لورد وتشبيه العين بعيون المهى أو بالسيوف :

كم قتيل كما قلت شيد ليأص الطلي وورد الحدود

وعيون المهى ولا كعيون فتكت بالمتيم المعمود

ومن هذا أنقيل قوله :

من طاعني ثمر الرجال جاذر ومن السلاح دمالج وخلخل

ولدا اسم أغابة العيون جفوها من أبا عمل السيوف عوامل

فلم يتحاشى أبو الطيب المورد العام الذي ازدحم عليه كثير من الشعراء المتغزلين
 ولا ارتفع عن السماء التي خلق فيها هؤلأ الشعراء فلم يدخل معظم غزله من الأصجار
 والأفلاق لأن هذا الشعر لم يصدر عن قلب تيمم الحب ، فالصور التي صورها إنما

هي صور بالية لانها المحيلة فامثلها الاكمل الرماد الذي يغنى من النار الهامنة ،
وعلى الرغم من قوله في بعض شعره :

جهد الصيانة ان تكون كما ارى عين مسهدة وقلب ينحصر
لم اجد في شعره اثرأ لسهد عينه وخفقان قلبه .

لولا ظباء عدي ما شغقت بهم ولا بر ورم لولا جاذبه
من كل احرور في انيابه شنب حر يتخامرها مسك تحامره
نعم محاجر دمع مواظره حر غفائره سود غدائره
هذه صفات كثيراً ما رددتها الشعراء قبل المتنبي وربما كان لهم في الاجادة
بها نصيب اوفى من نصيب ابي الطيب ، فقد سلك المتنبي في غزله طريقاً أكثر من
سلكه حتى شاركه فيه غيره من الشعراء فلم يتجاوز منهم . —
٥ وقد تعوزه رقة العاطفة في بعض غزله فهو لا يشبه اولئك العشاق المتيمين
الذين يفسون في عادة من يعشقونهم ولكنه من هؤلاء العشاق اصحاب القلوب
القاسية الذين اذا رقد احباهم وسروروا هم في التعكر فيهم اسفوا على لبائهم التي
تفصت في هذا التفكير .

من الليالي شهدت من طرب شوقا الى من بييت برؤدها
فان الضنى الذي يضناه في الهوى انما هو مثل السم في الشهد واللذة التي
يجدها في هذا الضنى اعماهي لئنة جهل :
ضنى في الهوى كالسم في الشهد كاماً لذت به جهلا وفي اللذة الخنف
فهنا العقل يمل عليه ولا اثر في هذه الاماني للعاطفة الرقيقة على ان له من
الايات ما يدك على لئانه في حقيقه :

زيدى اذى مهتني اودك هوى فاجعل الناس عاشق حاقـد
ينظر لمتنبي في بعض غزله الى الحب نظر الفيلسوف المحيط بدقائق هذا الحب
فلا يكاد يخفى عليه امر من اموره ، ينظر اليه نظر الفيلسوف الذي يعلم ان
المرء يعشق عرضاً من دون ان يدري لماذا يعشق ولكنه اذا شق رحل عقله :

وما هي الا لحظة بعد لحظة اذا نزلت في قلبه وحل العقل
ومنه قوله :

إلى م طماعجة العاذل ولا رأي في الحب للعاقل
ومنه قوله :

لهوى الفوس سريرة لانعم عرساً نظرت وحلت اني اسلم
— فعقله في عزله اكثر من عاطفته والحب لا عمل فيه للعقل وانما هو اس العاطفة ، على
انه يعلم ان الحب هو الذي يغلب على اللسان حتى لا يقدر على وصف ما في قلب
صاحبه :

الحب ما منع الكلام الا لسانا والذ شكوى عاشق ما اعلا
— نعم هذه هي حقيقة الحب ، فانه يغلب على صاحبه فلا يدري ما يقول ولكن
المتنبي لم يعاتب عليه هذا الحب وانما مثله كمثل الفيلسوف الذي يريد ان يظهر
أخلاق المرأة في الشعر لا كمثل العاشق الذي يحب ان يظهر دقائق العاطفة في شعره .
• اذا غدرت حب . وقت بعهدا فن عهدا ان لا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت اشد صابة وان فركت فادهب فما فركتها قصد
وان حققت لم يبق في قلبها رضى وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك احلاق النساء وربما يصل بها الهادي ويخفى بها الرشيد
فالمثني لم يصل باخلاق النساء . —

على انه قد وردت في طائفة من غزله ايات تكاد تلبس فيها اثر العاطفة ولست
اعني بهذه الايات قصيدته المشهورة

من الجادر في ري الاعارب حمر الخلى والمطايا والجلابيب
التي قال فيها الثعالي وماهيك بهذه الايات جزالة وحلاوة وحسن معان .
كلا ولست اعني بها اليتين المشهورين :

لنر لوشي لامتجملات ولكن كمي حسن الجالا
وضفون العذارى لالحسن ولكن حفر في الشعر الضلالا

الذين قال فيهما الثعالبى : وهذا من احسانه المشهور الذي لا يشق غباره فيه
او البيتين التاليين :

حسان التثني يفتش الوشي مثله اذا مسن في اجسادهم النواعير
ويبسم عن درة تقلد مثله كان التراقي وشحت بالماسم
او غير هذه الايات كلها من أبيات المني الحسنة في الغزل كالا اي لا
أشير الى هذا كله لان هذا الشعر كله لا يحو من أثر الصفة فهو حسن ولا شك
ولكنه قليل الصيب من العاطفة وانما أريد بالايات التي تشتمل على
العاطفة قوله :

أحبه والهوى وأدوره وكل حب صباة ووله
هذه هي روح العشاق ، وهؤلاء هم الشعراء الذين يعرفون مقدار الحب
فالعاشق يحب كل شيء من أجل حبه ، فهو يحب حبه ويحب الهوى
ويحب دار الحبيب ويقسم الهوى ودار الحبيب لان الحب ان هو الا ذهاب
العقل ومن هذا الشكل قوله :

واني لأعشق من أجلكم نحولي بوجل امرئ فاحل
ومنه قوله :

وكيف التذاذي بالاصائل والضحي اذا لم يعد ذاك العسيم الذي هبنا
ومنه :

اذا كان شم الروح أدنى اليكم فلا رحتي روضة وقول
ومنه :

فليتها لا تزال آوية ولينه لا يزال مأواها
نعم هذه هي روح العشاق وهذا هو رمز العاطفة ولكن أمثال هذه الايات
قليلة في شعر المتنبي ، فلم يكن أبو الطيب من اصحاب النسيب الخالد .
فاذا لم يجد نسيب المتنبي ، أفتحلد مرثيه . أفكان أبو الطيب في هذه المراثي
شجرة الاختراع وثمره الابداع . فانتظر في هذا كله .

ما اطر المراثي الا هذا الضرب من الشعر الذي يقرأه القاري فيقبي له في تصاعبه اثر اللوعة والحرقه ، او كرامة الميت وملح تأثير موته في اهله وقومه الى غير ذلك من الكلام على اخلاقه وخصائصه ، فاقبح المراثي هذه القصائد التي لا يرى فيها الا صوراً عامة تصلح لكل رجل يسكى عليه ، ومن هذا الشكل كثير من مراثي المتقدمين التي تشمل على الفلوي كل شيء حتى اصبحت مدعاة الى الضحك بدلا من ان تكون مجله للدمع ، فاهي حصائص مراثي المتنبي ؟

رثى ابو الطيب محمد بن اسحق السرخسي ورثى جده التي كان يحبا حبا جماً ورثى والدته سيف الدولة وانه ابا الهيثم عبد الله وعنده يماك واخيه الصغرى واخيه الكبرى وابا وائل تغلب بن داود حمدان وما شجاع فانتكا وعمه نصد الدولة

تختلف المراثي في عصمة شأها وحقارته على اختلاف موضوعاتها هذا كان المراثي جليلا استطاع الشاعر ان يجعل رثاءه جليلا وتختلف المواطف فيها على قدر اتصال الشاعر بالمراثي ، ولقد رثى ابو الطيب جماعة من أصحاب الشأن الجليل في عصرهم وورث من تنصصها بحكم الاتصال وهي جدته فلنظر الى دموعه في هذه المراثي . —

لو أوحى ابو الطيب في طائفة من مراثيه رثاء الحبال فجمع به هذا الحبال حتى يلح به أفقا مشتركا يسرح فيه كثير من الشعراء وكان هذا الامر في مستقبل عمره أي في الوقت الذي لم يتغف فيه حباله كل الشقيف وهذه حالة كثير من الشعراء فانهم يزعمون في فاتحه الامر الى التقليد ولكم اذا كانوا من أصحاب العبقرية لا يلتصون ان يخرجوا من هذا التقليد الى لانداع وهكذا كان المتنبي ففي اول رثائه كرتائه للسرخسي :

ما كنت احب قل دمعك في الثرى	انه التكو اكتب في الترابه تغور
ما كنت آمل قل معشك ان أرى	رضوى على ايدي الوجاله تتجبر
خرجوا به ولكل بك خنعه	صعقات مومي يومك الطور

والشمس في كبد السماء مريضة والارض واجفة تنكا. نمور
وحفيف أجحفة الملائك حوله وعيون أهل اللادقية صور
لجأ الى الفؤاد وصف الخطب وهذا مذهب كثير من لجأ اليه من الشعراء
فلم يكن لابي الطيب فيه اجادة او احسان في استطاعة الشاعر ان يقول هذه الايات
في كل رجل يموت وليس له طابع خاص ودواوين العرب مشتهرة على كثير
من اشياء هذه المعاني العامة .

— ولئن لم يكن لمرثية ابي الطيب في الترخي طابع خاص فان في مرثيته في جودته
طابعاً ظاهراً وقد اشرت الى هذه المرثية في كلامي على احساس المتنبي . فليست
أجد حاجة الى الدلالة على موطن من موطن العاطفة فيها فالقصيدة لها مبدولة
بدموع ابي الطيب فلم يزع المتنبي فيها الى هذه الرسوم العامة التي تكون مشتركة .
ولكن جلالة الشعر تجلت في قصيدته في أم سيف الدولة فقد وجد المتنبي
بجمال القول ذاسعة ! ووجد لساناً قانلاً فقال

أطاب اللهس انك مت موتاً تعته الوافي والحوالي
رواق المز فوقك مسطر وملك علي اسك في كمال
اي معش اكرم من معش بهشي لامراء به حدة .
مشي الامراء حولها حماء كأن المرو من رف الرئال
وأبررت الحدود مخبات بصم النفس امكة العوالي
اتهن المصيبة عافلات فدمع الحزن في دمع الدلال
لقد استنزل ابو الطيب جلالة وحيه من حلالة الميت فظهرت آثار العظمة

على شعره . —

وكذلك فقد استطاع ان يطعم بكاه على اس سيف الدولة بطابع خاص
با منك فوق الرمل مابك في الرمل وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي
كأنك أصرت الذي بي وخفته اذا عشت فاخترت احمام على الشكل
تركت خدود الغايات ووقها دموع تذيب الحسن في الاعين الجلي

نبيل الثرى سوا من المسك ووجهه وهد فطرت حراً على الشعر الخثل
فان تك في قبر فالك في الحشا وون بك طفلاً فإلى يس بالطفل
ومثلك لا يكي على قدر منه ولكن على قدر الحجة والاصل
ولم يكي المني على احد بم دولة الصغرى كان عمه قد احتقر فطر
الى الحياة نظراً صحيحاً ومزح الماسعة الشاعر طرته صادقة فيها تجربة
الفيلسوف : قالب الشاعر :

وليد الحياة أمس في العصر وأشهى من أن يمل وأحلى
واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضمف ملا
آلة العيش صحة وشاب فاداً ولبا عن المرء ولقى
اندا تترد ما تهب الدنيا فيما ليت جودها كانت بخلا
فكفت كون فرحة تورث الغم وغل بعادر الوجد خلا
ومى معشوقة على القدر لا تحفظ عهداً ولا تتم وصل
كل دمع يسيل منها عليها ويحك اليدى عنها تحلق
شيم العايات فيها فما أدري لدا أدت اسمها الناس أم لا
ولا يك يكاؤه على أخت سيف الدولة الكبرى بأقل من نكاته على أخته
الصغرى هي هذه المريعة أجرى قلبه في وصف المصيبة فكادت المصيبة تنكاه
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فرعت فيه آمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
تعثرت به في الافواه السنها والبردي الطرق والاقلام في الكتب
ثم أقاص في الكلام على أخلاق أخت سيف الدولة وأتف بين هذا الكلام
وبين صدق عاطفته وحسن وفائه وكرم مودته وقد انقطع عن سيف الدولة ولم
يبق له طمع في العودة اليه :

أرى العراق طويل الليل منذ نعت فكيف ليل في الفتيان في حلب
يطن أنف فزادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب

بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب
ومن مضت غير موروثة خلائقها وان مضت بدعا موروثة النشب
ومهما في العلى والمجد ناشئة وهم آراها في الله والمعب
يعلمن حين تحيّا حسن مبسمها وليس يعلم الا الله بالشنب
هذا هو الرثاء لا تلك الصور الجامدة التي صورتها في رثاء التوخي فان مرثيه
من بعد مرثية التوخي طبع غرط الحس وكرم العاطفة وطيب القول وعقد النظر
في الحياة وقد لحا الى الطرقات العاصية في رثائه فرة كان يختصرها :

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن بغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتقطع
أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن اصحابها حيناً ويدركها الماء فتنبع
ومرة كان يتوسع فيها :

لا يد للانسان من ضجعة لا قلب المضجع عن جبهه
ينسى بها ما كان من عجبه وما أذاق الموت من كربه
نحن نو الموتى فما بالسأ يعاف ما لا بد من شره
تبخل ايدينا بارواحنا على زمان هي من كسبه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربه
لو فكر العاشق في مشي حسن الذي يسليه لم يسبه
لم ير قرن الشمس في شرقه فشكت الانفس في غربه
يموت راعي الضأن في جهه ميتة جالينوس في طيه
وربما زاد على عمره وزاد في الامن على سره
وغاية المقرط في سلمه كفاية المقرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب قرآده يخفق من رعبه

هذه جملة القول في مرثيه فاذا كان لها طابع خاص فإ هذا الطابع الا جلالة

الشأن ولئن قدد أبو الصيب في نسيه ومشي فيه على آثار غيره فقد أبدع في مرأيه
أما أهاجيه فذرة كالسحر فيها ومجش، فن هذا الشكل قوله:
وقد أري الخنزير أبي مدحته ولو علموا قد كان يحيى بما يطارى
ومنه قوله:

أبا البشر قد قبضني بمواعيد مخافة نظم للفؤاد مروع
وقد رت من فرط الجلالة أبي تقيم على كذب وصيب مصنع
أقيم على عبد حمي مافق لثم ردي، العمل للوجود مدع
أو كفة صيدته في صفة فلا تخرج هذه الأهاجي عما يتشائم به عامة القوم
فقد كان أبو الطيب يابده به ادعة دون أن يعطياها بعطية رفيقة تستر شيئاً من
سوء القول ولم يسح من هذه الشنائم حي ولا ميت وأد كان الطعن في الميت
لا يعد من مكارم الأخلاق فالتفتي لم يتعمد عن هذا الطعن:

إن مات مات بلا فقد ولا أسف أو عاش عاش بلا خلاق ولا خلق
مه تعلم عند شق هامة حور الصديق ودس العدر في الملق
وحلف ألف يمين غير صادقة مطرودة ككبوب الرمح في سق
— ودرة كان يتهم في أهاجيه تهكما أمراً من القدح والفحش والتهكم في الهجاء
أشد إيلاماً من اسب والشنم واقتل للحصم، فمنه قوله في كافور:
من علمم الأسود المحصي مكرمة أقومه البيض أم أبوء الصيد
ومنه قوله:

من أبة الطارق يأتي مني لكرم من المهاجم يا كافور والجلم
ومن هذا الشكل

ومصر لعمرى أهل كل عمية ولا مثل ذا النخعي المحجوبة بكرا
بعد إذا عدا العجائب أولاً كما ابتدا في العد بالأصبع الصعري
فلا شك في أن هذا الضرب من الهجاء أعف من كلمات الخنزير والمناق

والثيم وما شابهها من كلام العامة فهو أشد ايجاعاً وأرفع شأنًا . —

وإذا لم يراع المتنبي حرمة كنفور في هجته أياه فقد راعى هذه الحرمة في تعرضه بسيف الدولة فكأن هذا التعريض أثر نفس ناثرة على من تحبه بفارغها عاملان . عامل الاغضاء على الادي وعامل التشبي من العيظ ولكن التشبي علب في حاتمة الامر على الاغضاء فعرض المتنبي شعير سيف الدولة وسمته دون ان يشتمل هذا التعريض على شيء من شاتم السوقة .

وذا انتقلنا من هذه الواحي كلها نواحي العزل والبكا والهجاء الى آفاق المدح والوصف والحكمة تبين لنا ان عقريه المتنبي ارضعت في هذه الآفاق الى سماء أعلى وصيغت بصياغ خاص . —

اول هذه المذاهب مذهب المدح على ان هذا المذهب لا يحلو من بعض المساويء : من حمايتها تكرار المعاني في طائفة من مدائح المتنبي . وانعوت في بعض مدحه واللحور الى صفات تكاد تكون عامة ليس عليها شيء من روق الحدة والطرافة .

١ اما تكرار المعاني فنش مدائح أبي الطيب في هذا التكرار كثر رواسيم بطمع بها الشاعر اي بمدوح شاء حتى لا تكاد يجد فرقاً كبيراً بين مدوحه . فن هذا النوع وضعه لطبيعة كرم بعض مدوحه وهو المشطط الذي قال فيه :

يعطي فلا مطلة يكدرها بها ولا مئة يسكتها

فلم تكن هذه الصفة خاصة بالمشطط ومد طمع بها المتنبي . سيف الدولة فقال له .

است الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مدل

ومن هذا التكرار وضعه للشجاعة فقد قال في الكلابي المبهجي :

لما رأوه وخيل النصر مقلة والحرب غير عوان أسلموا الخلا

وهذا القول أو ما يقرب منه قلته في سيف الدولة

فدا رأوه وحده قبل جيشه دروا ان كل العالمين فضول

ومن هذا الشكل قوله في المنبجي :

وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظمسه رحلا
وهذا القول او ما يشاكله قاله في سيف الدولة :

فكلا حلت عدوا عندم فانما حلت بالسبي والحل
والشواهد على وحدة المعاني في بعض مدائح ابي الطيب كثيرة ، فمنها قوله في
ابي المنتصر الازدي :

أمر بد مثل محمد في عصرنا لاتلنا بطلاب مالا يلحق
لم يخاف الرحمن مثل محمد أحدا وطني انه لا يحلق
ولكن الرحمن خلق مثل محمد وهو سيف الدولة الذي قال فيه المنبجي .

ومن علي بن عبد الله معرفتي بحمله من كعب الله او كعلي
مع الشواهد على وحدة المعاني كثيرة وآخر ما أذكره من هذا البيت الذي
قاله المنبجي في جعفر بن كعب

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوده به أحادره
وهذا الشيء ذاته قاله في الطرسوسي

يا من بلوذ من الرمان بطله أذا ونظراء باسمه الميسر
ولست أحاول الاستقصاء في هذا الباب وإنما رعيت في ذكر أنماط من
أماذج المنبجي استدلالا بها على وحدة المعاني في طائفة من هذه الأماديج ، فلم يكن
للمنفذ في مدح بعض منسوجه صور خاصة أي لم يصل أبو الطيب إلى أعماق الممدوح
حتى يستخرج منها صورة خاصة بهذا الممدوح تناسبه ولا تناسب غيره من الممدوحين
فلجأوا في هذا العيب إلى غيره من عيوب مدائح المنبجي ، من هذه العيوب
الغلوي في وصف الممدوح :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الطلمات صرر شموسا
أو كان صادف رأس عازر سمعه في يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لج البحر مثل يعبه ما انشق حتى جاز فيه موسى

أو كثر للثيران ضوء جبينه عجلت فكلت العالمون مجوسا
فهذا ضرب من المدح خروج عن الاعتدال حتى ليكاد يكون مبتدلا .
ومن هذه العيوب ورود المتن في بعض مدحه موارد مشتركة بردها
ويصدر عنها كثير من الشعراء ، منها قوله :

بقي الكلام ولا يحيط بفضلكم

ومنها :

من كل ايض وضاح عمامة كأنما اشتملت نوراً على قبس
والكن هذه السيئات قد تشفع لها حسرات المتن الكثير في مدحه لئلا تنفرد
بها فلا يجاريه فيها مجار ، فنما تصويره لمحة سيف الدولة :

في سبيل العلى تنالك والـلم وهذا المقام والاجسام
واذا كانت النفوس كدراً نعمت في مرادها الاجسام

ومنها تصويره لرباطة جأشه :

وقفت وما في الموت شك لو افق كأنك في جمر الردى وهو قائم
نمر بك الانطال كلمى هزيمه ووجهك وضاح وثفرك باسم
ومن هذا النوع قوله :

وفارس الخيل من خفت فوقها في الدرب والدم في اعطافه دمع
فاوحمدته وما في قلبه قلق واغضبه وما في لفظه قدع
بالجيش تمتع السادات كلهم والخيش بان ابي الهيجاء يمتنع
ومنه مدحه لكافور

وما كنت ممن ادرك المذك بالمي ولكن بايام اشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد صاعيا وانت تراها في السماء مرقيا
ابست لها كدر العجاج كأنما ترى غير صاف ان ترى الجوصافيا
وقدت اليها كل اجرد ساج يوديك عصانا ويثيك رصبا
ومنه مدحه لابي شجاع :

أبو شجاع أبو الشجعان قاضة هول بعتة من الهيجاء أهوال
نمذتك الحمد حتى ما لمصر في اخذ حاء ولا ميم ولا دال
عليه منه سرايل مصاعفه وقد كفاه من المادي سرايل

غير ان الحلية التي جلتى فيها أبو الطيب إنما هي حلية الوصف ولست اطلق هنا
الوصف اطلاقاً وإنما اريد به احية من نواحيه وهي راحة المعارك، حتى قال ان
الاثير في المثل السائر:

« واما أبو الطيب المنسي فانه راد ان يسلك مسالك اني تمام قصرت عنه
حصاه ولم يحصه شعر من فيده من أعلاه، انكبه سطحي في شعره بالحكم والامثال
وختصر بالابحار في مواضع القتال، وانا قول فيه قولاً است فيه متاعاً ولا
منه مثلاً وذاك انه اذا حاصر في وصف معركة كال انه امضى من قصائده واشجع
من اطالها وفحمت اقواله للمسامع مقام افعالها حتى يظن ان المر يقين قد تقاسلا
والسلاحين قد واصلتا طريقه في ذلك بعدل سالكه ويقوم يعذر تاركة ولا شك
انه كان يشهد الحروب مع سيف النولة فيصف لسانه ما اذاه عيانه »

— نعم، هذه هي الاحية التي رزق بها المنسي فتكاد تمثل معظم عقريه [وربما
كان لروحه واضاعه الاثر الاوسع في بريزه في وصف الحروب وأدائها فقد كان
هذا النوع من الشعر لاصفاً بطله بمرحاً بروحه فكان شعره فيه صورته الناطقة
وأيضاً هذه الصورة شعرة الحروب والاضاعه الى رؤية الدم والشاعر يمدح
في المذهب الذي مارس به نفسه . —

ولقد مثل أبو الطيب في وصف المعارك جهة من جهات عصر سيف الدولة فكان
شعره في هذا الوصف مرة مصقولة تمكس تلك الحجة فقد حفظ لنا المنسي لوحاً
طويلاً بمصحح غمارم عليه من غررات سيف الدولة وغاراه فلم يعادر امراً من
امور تلك الحروب الا وضحى حتى تجلت لنا مهابة سيف الدولة في العيون ومقادير
صله في دفع الروم عن ديار الشام وهما وصف رحل ابراهيم هذه امرواوت —

والغارات فلا يستطيع وصفهم ان يطلق ما يطلقه شعر المدي المشتمل عن صور
شتى، فاذا لاشاء ان يعرف شيئاً عن جيش سيف ندولة وعن سيفه وعن محاربة
الروم منه وعن شدة غزواته وعن صاعها القوي وصاعها الديني وعن تحريق
مارل الروم وتحرب ديارهم الا عرفاه —

فاذا تكلم على عرض الجيش ذكر نواحي الخيل ومفاصل الفرسان وترنكم
ودكر الرايات والشعار والسلاح المسمم ووصف دربة الخيل فلا يفادر لونا
او شكلا من الوان الوصف واشكاه، فكاننا بمحضر جيش متكامل العدة مسمم
الشمعة.

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه على الفارس المرحى ابتوأة منهم
حواليه بحر التجافيف مانج يسير به طود من احبل بهم
تساوت به الافطار حتى كانه يجمع اثبات السلاط ويظم
وكل متى للحرب فوق جيبه من الضرب سطر بالاسنة ومعجم
يمد يديه في المعاصرة ضرمم وعبيه من تحت الترسكة ارقم
كاجاسها راياتها وشعارها وما لسته والسلاح المسمم
وادبها طول القتال فطره يشير اليها من يمد فتهم
تجاوبه فعلا وما نسمع اوحى وسمها لفظا وما يتكلم
لها في الوغى زي الفوارس فوقها فكل حصان دارع مثلتم
وما ذاك بخلا بالنفوس على الفنا ولكن صدم الشر بالشر اجزم
فاذا كان لهذا الوصف طبيعة فطبيعته الدقة لان الطيب لم يقل عن ذكر
ما ياخذ بمجامع القلوب في عرض الجيوش، فاني بسهوي طرف في هذا
العرض انما هي ملابس الخيل وملابس الفرسان وحر كات الخيل والفرسان والمنني
تكلم على هذا كله فما سها عن صغيرة او عن كبيرة وهذا النوع من الوصف الدقيق
يفتقر اليه الشعر العربي ما

ولكن كلامه على سفن سيف السولة لا يعد في طبقة كلامه على الجيش وادوات

الوصف تنقصه في هذا المذهب حتى اضطر الى استعارة ادوات الخيل فلم يبين لنا
الالوان من الالوان في وصف السفن :

قاسمتهم نل طريق فكان لها اطفالها ولك الاطفال والحرم
تلقى بهم زبد التيار مقربة على جحافلها من نضجه وشم
دم فواوسها ركاب ابطنها مكسودة وبقوم لا بها الالم
من الجياد التي كدت العدو بها وما لها خلق منها ولا شيم
وإذا تكلم على هرب الروم هول الامر حتى نكاد نظن ان الروم يهزمون بمرأى
ما ررافات ووحدا :

مراياك تترى والدمستى هارب واصحاه قتلى وامواله مهي
ان مرعشا يستقرب العدو مقلدا واذ اقبلت يستعد القرما
كدا يرك الاعداء من يكره القنا ويقفل من كانت سمعته رعبا
وهل رد عنه باللعن وقوفه صدور العوالي والمضمة القبا
مضى بعدما تلف الرماحل ساعة يا يتلقى المذهب في الرقعة الذهبيا
ولكنه ولي والظلمن سورة اذا ذكرتها معه لمس الجسا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى وشعث النصلوى والقرابين والصلبا
ولقد اكثر من الاشارة الى هرب الروم فكان في كل مرة يشير فيها الى
خوفهم يصور الخائفين في صور ناطقة ، مرة يحملون بالخوف :

سار الدروب الى ما حلف خرشنة وزال عنها وذلك الروح لم يزل
فكلما جلس عذراء عندهم قائما احلمت بالسبي والجمل
ان كنت ترضى بان يعطوا الجزى بذلوا منها رضاك ومن للعود بالحوال
ومرة يتخبطهم المس من هذا الخوف :

وما يحا من شعار البيض منفلت بجبا ومهين في احشائه فزع
يباشر الامن دهرآ وهو مختبل وشرب الخمر حولا وهو مختقم
هذا هو الوصف الذي اعرضه ابو الطيب فلا تجاريه فيه افلام الطراء

ففي بيتين من الشعر يعرض عليا صورة الجيش :
 وجيش بنتي كل طود كأنه خريق دباح واجبت غصنا رطباً
 كأن نجوم الليل غابت مغاره فذت عليها من عجاظته حجبا
 وفي بيت من الشعر يصف لنا تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم :
 تسايها اليران في كل منزل به القوم صرعى والديار طول
 وفي بيتين من الشعر يصف لنا اضطراب القساطل واختلاط الماهل
 بدماء الروم :

وان اهدى هذا الرسول بأرضه وما كنت منذرت فيم القساطل
 ومن أي ماء كان يسقي جياده ولم نصف من مزج الدماء الماهل
 ومثل هذا الشعر كثير في شعر المنفي في غزوات سيف الدولة وغاراته
 ولست أظن أن في شعراء العرب شاعراً يعلو أبا الطيب في هذا المذهب .
 وما هذه الروائع كلها الى حب قصيدته في ساء الحدث

هل الحدث الخراء تعرف لو نها وتعلم أي الساقين الغائم
 سقتها العمام الفر قل روله فلما دنا منها سقتها الجاجم
 بماها فاعلى والقفا يفرع القفا وموح المايا حولها متلاطم
 وكان بها مثل الجنون فاصححت ومن جنث القنلى عليها تماثم
 طريفة دهر ساقها مرددتها على الدين بالخطي والدمر راغم
 وكيف ترجي الروم والروس هدمها وذا الطعن أساس لها ودعائم
 وقد حاكموها والمايا حواكم فامات مظلوم ولا عاش ظالم
 أتوك يبحرون الحديد كأنما سروا بحباد ما هن قوائم
 اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم
 حميس شرق الارض والعرب يزحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم
 تجمع فيه كل لسن وأمة فافهم الحداثك إلا التراجم
 فله وقت ذرتب الفش ناره فلم يبق الا صارم او صبارم

تقطع مالا يقطع الدرع والقدا
وفرت من الفرسان من لا يصادم
وقفت يوم في المرات شك وانف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
نمر بك الاطال كلنى هزيمة
وروحك وضاح ونفرك نائم
صممت حاجبهم على القنب صمة
تموت الخرافى تحبها والقوادم
نصر - أو الهامات والنصر عائب
وصار الى اللسات والنصر قادم
حقرت الرديت حتى صرحتها
وحنى كائن السيف للرمح شانه
ومن طاب الفتح الخليل وما
مدحه النصر الخفاف الصارم
ثم هم فوق الاحيدب ثرة
كك ثرت فوق العروس ندرهم
ندوس بك الخيل او كور عى اسرى
وقد كثر - حول الوكور المطاعم
خض فراح امدح أنك زربا
نماتها وهي العناق الصلارم
ادا رقت مشيها مطوب
كما تنمشى في الصعيد الارام

هو الطبيب شاعر الوالى والسوق اذ وعف معركة أفاض في الكلام على
دقائق الكلام على سير الخيل وسير اخيش وكالكلام على حسن الثبات وقبح هزيمة
وكالكلام على هات ادم والمهروم الى غير ذلك من الصفات التي تحتاج الى
حراس قوية معن فيها مشاهد القتال والى حبال مدد يحكي هذه المشاهد. وقد
اجتمع للمندي شيء من هذا كله وقد أضفنا الى ما اجتمع له من قوة
خوأس وامتدح الخيل منه الى خروب وشهوده أكثر العزوات والعارات
والقمة يلدو في صاحبه فمره ثم معجب من تميزه في هذا الميدان الذي لا يلحقه به
— لاحق — حله أو طبيب من معظم خلوده يكون من ناحية هذا الوصف فهو
وسف الدولة متلازم في هذا الخلود فلا يدكر سيف لدولة الا ذكر معه المنبي
ولا يدكر ابو طب لا ذكر معه سيف الدولة فلو لا وصف المنبي لمعارك سيف
الدولة لما كان هذه المعارك صور ضفة ولو لا معارك سيف الدولة لما كانت عبقرية
المنبي تخطد الا من ناحية واحدة وهي ناحية الحكمة ولكن حوصه معارك سيف الدولة
جعل له حظاً أوفى من خلود فاذا كل الأدب مرآه المجتمع وشعر المنبي مرآة عزوات

سيف الدولة في بلاد الروم .

وأذا كان في وصف المعارك شيء يسير فواحد به لمشي في هذا الشيء إلا
تكرار بعض الصور في هذا الوصف . فمن هذا التكرار قوله في مصر قصائده
وقد أراد أن يصف سرعة الخيل في سيرها

فالمقات أقصى ثوبها بل على الشكيم وأدى سيرها سرع
وهذا قريب من قوله .

و حين رآها الركب في كل لده أن عرسيت فيها فليس تعيل
ومن هذا النحو قوله وقد وصف همة سيف الدولة .

لو كانت الخيل حتى لا تحمله بحمله إلى أعدائه الهمة
وهذا شبه قوله

أكلما رمت حبشاً فأنشأ مرءى صرخت بك في آبرها اهتم
ومنه قوله وقد أشار إلى تحريق منازل الروم :

عبرت أقدمهم فيه وفي لده سكناه رمة مسكونها حم
وهذا مثل قوله :

نسايرها "بيران في كن مرال به انقوم صرعى والديار طول
الكن وحدة هذه المعاني لا تحط من قدر هذا الوصف الجليل .

مسحوق وثق مثل أبو الصيب المني . ناحية من براحي . فتي لفتيان في حب . فانه
لم يمش لنا الواحي كلها من عصر ملك حلب . فله يحدني شعر المني ما يجده
في شعر البحتري من وصف قصور بني العباس . وبعيد الخلافة وترقى . أفكل
سيف الدولة بعيداً عن مثل هذا النعم وترقى . ثم كان لمسي عارفاً في الكلام على
الحاجم والعلاصم وعن القباطل والحشم . فشعته دماء الروم عن الكلام
على شيء من المدامة واللات والنعم

ألمى المهالك عن الحرققات به قرب المدامة واللات والنعم

فلم يصل إلينا شيء من نعيم سيف الدولة إلا هذه الصورة التي صورها لنا
المتنبي فارتنا سيف الدولة جالساً في قازة من الدياج:

— عليها رياض لم تحكها سحابة واضعان دوح لم تمن حمامه
وفوق سواشي كل ثوب موجته من الدر سمط لم يشقه ناظمه
تري حيوان البر مصطلياً به يحارب ضد ضده ويساله
إذا ضربته لريح ماح كأنه نجول مذاكيه وتداي ضراغمه

ومن هذه الايات القليلة يبين لنا أن المتنبي لا يقصر إذا شاء عن التصاوير
المشتتة على ألوان برّاقة ولكنه انصرف عن هذا النوع من الشعر الى مذهب
الصق نفسه وأعاق روحه فلم يهتم بمشاهد الطبيعة على أن ما حلقه لنا من
وصف شعب بوزان يدل على أن عبقرية قد تستهويها الطبيعة في بعض الاوقات
— فإذا استهوتها الطبيعة أوحى اليها خصائص الألوان فيطبع خياله مشاهدتها بطوامع
خاصة تليق بها وقد لا تليق بغيرها:

ملاعب جنة لوسار فيها سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى خشيتوان كرمين من الحران

وكيف كان الامر فان ابا الطيب لم يتوسع في هذا المذهب توسع غيره من
شعراء الطبيعة وفي مقدمتهم البحري الا ان الوصف الذي يشتمل عليه بعض
شعره انما هو وصف دقيق لا يخلو من روح وحياة فلما وصف الخنق:

ورائتي كأنك بها حياء فليس تزور الا في الظلام
بنلت لها المطارف والحشايا فماقتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنهما فتوسعه بانواع السقام
كأن الصبح يطردها فتجري مدامها باربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدّها والصدق شر اذا القاك في الكرب العظام

نفع فيها حياة يجعل الموصوف بمنزلة شخص ناطق، ولكن الذي وفق فيه

كل التوفيق اما هو وصف الابد فقد حاص في دقائق الوصف كلها فم يعمل
عن الاشارة الى مهابة الموصوف :

وقعت على الأردن مه بلية هضدت بها هام الرقاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربا ورد الفرات رثيره واليلا
ولا غفل عن الاشارة الى هباته :

متحضب بدم العوارس لاس في عيله من لدنيه غيلا
ما قولت غياه لا طما تحت الدجى بار الفريق حلولا
ولا أهمل ذكر عيشته ومشيته :

في وحدة الزمان الا انه لا يعرف التحليل والتحريرا
بطا' الثرى مترقفا من تنه فكأنه آس يحس غيلا
ولا قصر في تصور استمداده للمجوم على دريسه :

ما زال يجمع منه في زوره حتى حامت العرص منه الصولا
ويصدق بالصدر الحجار كأنه يمي لي ما في الخصب غيلا
الى غير ذلك من اسرار الوصف التي دلت على ان الطيب يستطيع اذا
شاء ان يتغلغل في الواطن والطواهر فيستخرج منها اشكالا وبها حياة وشعور .

هذا شيء من الكلام اليسير على مدح المدي في الوصف ، فاذا برز
الطيب فان برزه في وصف المعارك واذا حلد فانما يحلد من هذه الناحية ومن
ناحية الحكمة فاذا كل المدي شاعر الهيجاء فهو شاعر الحكمة والمثل ، وهذا
اخلاق الناس وامتنع الدنيا وعرض الحياة فاستط من هذا كله روائع الحكم
وسوائر الامثال فلا خوف على خلود حقيرته ما دمتا يحتاج في كل عصر من
العصور الى شكوى الدهر والدنيا والناس والى الموعظة والاعتبار والى ما يجري
يجرى هذه الامور وشبابها ، لا خوف على خلود هذه المقريه ما دامت العربية
لده كثير من الخلق ، وما دام اهل هذه اللغة يتمشون بالابيات التي تشتمل على
صور الحياة بمجامعها ، كرمها واوقمها ، وحلوها ومرها ، وعمرها ودلها ، وراحتها

وتعها، وغيرها وشعرها وأملها وبأسها، فلا ينخطئ أبو الطيب في قوله
وما الدهر إلا مزر واة قصائدي إذ قالت شعراً صح الدهر، شدا

لر ماض بعد عداكله يعرف مصاديقه عقريه المني، من هم شعراء الذين أثروا
في هذه العقريه ومن هم شعراء والكتاب الذين نزلت فيهم عقريه أبي الطيب
وهذا رب لا احتاج فيه إلى التطويل، فإن المتقدمين من الأدباء أمثال الشماشي
والخرجاني قد عقدوا الفصول الضول في الكلام على الشعراء الذين أخذ عنهم
وعلى الشعراء الذين أخذوا عنه، فاما الذين حواضهم واستعانوا به طه ومعانيه
هم صاحب بن عمار وأبو إسحق أدهي والأساد أحمد بن إبراهيم الضبي وأبو
بكر الخوارزمي وأبو فرج السعدي والمهلي "نوزر" والسري بن أحمد وأبو الفتح
علي بن محمد البستي الكاتب وأبو الحسن السلامي وأبو القاسم الرعقاي وغيرهم
وام الذين استعارهم لمثليهم أبو تمام وابن الرومي ولأعشى وأبو سواس
وعبد الله بن محمد المهابي وموسى بن جابر الخنفي، عدد الله بن طاهر ولعمري
بن الأحف والبحتري والسحاق لمصطفى ووهمان وعبي بن الحهم ومقبوب
بن الربيع وبكر بن البطاح وابن المعتز وأبو سعيد الخزومي وأمرؤ القيس وكثير
من أمثاله من كل عصر، يعرف شيئاً من حد الواحد فيرجع إلى الخرجاني وإلى
الشماشي فقد شفى كل مذهب وكفى واسع هوى ما نافي على مذهب الذي
يقول: لحق العسل ولا سل عن عله، وسواء عني أسرق المني من الشعراء
أم سرقتهم، أن لدي عيني أمار هذا الغالب لدى حب فيه المسروق،
فما أحسن ما قاله الخاطب في هذا المعنى "١"

والمعاني مطروحة في أطريق مرقب المعجمي والعري والسوي والقروي
وأما الشان في أقامه الجور وتمت الخط ومهواته وسهولة المخرج وفي صحة ادعاء
وحودة السلك فاما الشعراء صدقة وصرت من الصنع وجنس من التصوير

لغة المستنبي

١٥

إذا كان الشعر ضرباً من الصنع وحدث من تصوير عن عود نرفه الخاط
فأمر لصاع الذي كان يصنع به و"غيب المس" ما هي لغة في كان بلج
الها في الصور ما هي مصادر هذه اللغة ما هي محاسنها ومقاييسها، ولست
اعني بلغة المديني محمد لفظه وإنما أريد بها أيضاً جملة ما يشتمل عليه هذا
الفن من المعاني والملائم

أول لغة الشاعر ما هي السحر الذي يسحر به والقصة التي يقص بها،
ولا يكون الشاعر شاعراً إلا إذا احب الألفاظ وعرف كيف ينظم، فلا ريب في
أن لغة الشاعر تأثير "بديع" في هر العواطف وتحريك الميول، فقد قرأت مرة في
مجلة فرنسية أن الدكتور "ماردروس" Mardrus، ترجم القرآن عهد أن استعد
لهذا الأمر عشرين سنة، وقد تكلم على هذه الترجمة أحد كتاب الفرنسيين فقال: لقد
بلغ من تأثير القرآن في ميول ثلاثمائة مليون مسلم مدحاً جمع فيه المشركون على
الاعتراف بهم لم يستطيعوا أن يردوا مسلماً عن دبه حتى اليوم فاستبح الدكتور
"ماردروس" من ذلك أن الكلمة أدهت وصوت مراصمها لست مارها كانت سحرأ
حلالاً

وهل تسر للمستنبي أن يكون أعطه وعاء من السحر وهو سمي شهره شعر اللفظ
شاعر المحدثه شعر اللفظ كاللآلئ والمعاني الألفاظ
قبل أن تدين هذا كله لا بأس بأن نعرف قليلاً من مصادر لغته، من هم الشعراء
الذين كان يأخذ عنهم ألفاظه.

اسماء أو الضيب يكثر من الشعراء في حجاز ألفاظه، وقد يصون الكلام
على استقصاء أسماهم فاحترى به طائفة منهم كافي نهم والحقري وابن
الرومي وأبي نواس وكثير.

أما أبو تمام فقد كان الضياء الذي يستضيء به شعر كثير الاغتراف من
بحره ، لان حبيبا كالقاضي العدل يضع اللعطة موضعها ويعطي المعنى حقه بعد طول
النظر والبحث عن اليقظة او ذالقية الورع يتحرى في كلامه ويتخرج خوفاً على
دينه .

فمرة كان يستعين بابي تمام على انتقاء الالفاظ التي يستطيع أن يصور
بها ألوان الصبح والليل فالمعروف أن الصبح أبيض وأن الليل أسود ولكن ابا تمام
قرب هذا المسمى ووصف أذربيجان فقال

وأوكأت وليس الصبح فيها بأبيض فامست وليس الليل فيها بأسود
فاستحسن أبو الطيب هذا الكلام فقال في وصف مبعج .

فالليل حين قدمت فيها أبيض والصبح مدرجحت عنها أسود
ومره كان يستعين به على اجاب الكلمات التي تسمع عن دمع عيون ، فقد
رؤى أبو تمام اسحق بن ابي ريمي فقال

شق جيوها من رجال لواء طاعوا لشقوا ما وراء الجيوب
فعمت ابا الطيب امطة شق ما وراء الجيوب فعمى بها سيف الدولة في
عده يماك :

عليها لك الاسعاد ان كان ناهياً شق قلوب لا شق جيوب
وحياً كان يستظهر بابي تمام على شكوى مشيب الفؤاد ، فان
تمام يقول

شابت رأسي وما رأيت مشيب الرأس الا من فضل شيب الفؤاد
فما احب المتنبي ان نعلته كلمة شيب الفؤاد فقال :

الا يشب فلقد شابت له كبد شيئاً اذا خضبه سلوة فصلا
وحياً كان يستظهر به على شكوى الدهر ، فقد قال ابو تمام لابي سعيد محمد
بن يوسف الثغري :

كثرت خطايا النهر في وقد يرى بذاك وهو الي مهسا نائب
فانس المتنبي تنوبة النهر فقال لعلي بن منصور الخاض:

حال متى علم ان منصور بها جاء الزمان الي مها ناسا
وكان ابو الطيب يستمرل وحيه في الكاء على الربوع من فوق ابي تمام فانه لما قال:
لك يا مازل في القلوب منازل أقهرت انت وهن منك أو اهل
كان يجعل نصب عينيه بيت ابي تمام:

وهنت وأحشاني مارل للامى به وهو قمر قد تغفت منازل
ولقد لجأ الي ابي تمام في العيش عن العاط يصور بها علو الشرف فلم يجد
احسن من قوله:

همة تطمح النجوم وجد آاب للخصيض فهو حصيص
فأسكرته لفظة تطمح النجوم فقال:

شرف بطمح النجوم بروقه وعز يقلقل الاجمالا
وعمد له في العيش عن يعاط يحمل بها الممدوح في حفظ الله . قالو تمام
يقول في المعتم.

لقد حان من يهدي - ويدها قلده لحد سنات في يد الله عامله
من نه كلمه في يد الله فاستغن بها سيف الدولة وقال:

على عائق الميث الاعر بجاده وفي يد جبال السماوات قائمه
ولم يشأ ابو الطيب ان يمر بنعيم ابي تمام لممدوحه دون الاعارة عليه فلما
قال ابو تمام في خالد بن يزيد الشيباني:

لبس الشجاعة ابا كانت له فدماً نشوغاً في الصبا ولدودا
قال المتنبي لكافور:

لست لها حكر العجاج كأنما ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا
ولما قال في اسحق بن ابراهيم:

ألا ان لدى أصحى أميراً على من الأميراني الحسين

قال ابو الطيب في بدر بن عمار:

أمير أمير عليه الذي كان له منه قللاً حسوداً

أما البحرني فقد كان يأخذ عنه المتنبي العاطف الغزل ووصف الطبيعة
لرقة أبي عباد فلما أراد أبو الطيب أن يجد صفة للمعين عرص على حائطه
بيت البحرني:

لو كان في جسدي لذي في باطريك من السقم
فأمجبه هذا السقم فقال:

أعاري سقم حميه وحلتي من الهوى ثقل ما تحوي مآزره
ولما أراد أن يحمل للاماكن لوباً من الألوان تذكر قول البحرني
في كل مشرفة حصاد أولو وتراها مسك يشاب معبر
فارتاح للعنبر واللؤلؤ فقال في وصف الثوب:

وليلاً توسدنا الثوب نحت كائن تراها عبر في المرافق
بلاد إذا زار الحمار عبرها حصى ترها ثقبه لتخافق
ولما أراد أن يشبه لماً شيء لم يجد غير العضة البيضاء فالحترني يقول في
وصف البركة

كأنما العضة البيضاء سائلة من السمائك تحري في محارها
والمتنبي يقول في وصف دار كافور:

ولو أن الذي يخر من الأمواه فيها من فصة يفضاء
وربما لجأ أبو الطيب إلى البحرني في التقبيل عن العاطف نسرها الأمثال
فلما قال المتنبي:

فإن المرح ينمر به حين إذا كان الباء على فساد
نظر إلى بيت البحرني:

إذا ما المرح رم على فساد تيزن فيه افراط الطبيب
وأما ابن الرومي فقد كان يأخذ عنه الالعاطف التي تمثل حالة من حالات

النفس او صفة من صفات العكر . فابن الرومي يقول :
ومن فرحات النفس ما يقتل

فارتاح ابو الطيب لفرح النفس فقال :

فلا تنكرون لها صرعة من فرح النفس ما يقتل

ولما اراد ابو الطيب ان يجد صفة للعكر لم يجد غير الانتقاد فقال :

اشفق عدد انتقاد فمكرته عليه منها أحاف يشتعل

وهذا الانتقاد اقتضه عن ابن الرومي :

أحشى عليك انتقاد العكر لا حذرا

وإذا نظرنا الى اخذ المتنبي عن ابي نواس تبين لنا انه كان يأخذ عنه الالفاظ

الى تدل على هبة المدح واساع منافاه فلما قال المتنبي لكافور

يبدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعاني

خطر بياله قول ابي نواس

كأنما أنت شيء حوى جميع المعاني

ولما قال في المغيث بن علي بن بشر العجلي :

إذا بداحت عيبك هيته وليس يحجه متر إذا احتجا

نذكر قول ابي نواس :

ان العيون حجتك هبة فإذا بدت لها كء من ناظر

أما كثير فقد كان يأخذ عنه كلمات السيب ، فمن شعر كثير :

رمتي سهم ريشه ذهب لم يصب طواهر حلدي وهو في القلب جارح

وهذا البيت أوحى الى ابي الطيب قوله :

راميات بأهم ريشها الذهب تشق العلوب قبل الجلود



هذه طائفة من المصادر التي كانت تصدر عنها لغة المتنبي ولا يتسع المقام

لاتباعها ، وأما ذكرت السير منها على سبيل الاستشهاد ، فابن الطيب كان

كثير الاخذ عن ابي تمام، يمشي على آثاره في ألفاظه، ويصحب على قواله، و ابو تمام مشهور باسترساله في البديع، وميله فيه الى الرخصة واخراجها الى التعدي " أفكان ابو الطيب يعيل الى شيء من البديع تحدياً لابي تمام، والصحيح ان ابا الطيب استرسل في البديع في شعره كثير من الاستعارة والتشبيه والتشخيص والترديد والمقابلة والتقسيم والتعصير والاستطراد والصرع والغلو والاطراد والتسلع والتعابير وما شابه ذلك الا انه ربما انحط به بديعه الى اسفل مراتب الاساءة

لا ريب في أن اللجوء الى البديع اما هو من المحاسن واذا كنا نعني بالبديع الجديد من الالفاظ والتراكيب (٢) فلأمندوحة للفتنا عن هذا الجديد والسبب في ذلك ان اللغة انما هي بقية صور قديمة كانت في خوالي عصورها تمثل أشكال الحياة على تباينها ثم بليت هذه الصور وعثقت فاصححت لا ألوان لها فهي ميتة لا تنز المحيطة فاذا احببنا ان ننز هذه المحيطة وحب علينا ان ندع أي أن نخلق صوراً لأن مثل الصور العتيقة كمثل الرماد الذي يبقى من النار الحامدة فالمجددون في كل عصر انما هم الذين ينفضون في هذا الرماد حتى ينلمب فلسطر في قسم من بديع المتنبي .

— من صور المتنبي : الترديد

فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا فلال عيش كلهم فلال
— ومنه قوله :

أسد فرائسها الاسود يفودها أسد تكون له الاسود ثعالبها
— ومن صوره التقسيم :

أقل أبل أقطع أحمل على سل أعد زد مش نش نعضل أدن سرصل
— ومن هذه الصور الاطراد :

فأنت ابو الهيجا بن حمدان يابه تشابه مولود كريم ووالد

— (١) الوساطة - الصفحة ٢٢٠

(٢) العمدة - الجزء الاول - الصفحة ١٧٧

وحدان حمدون وحمدون حارث وحارث لقمان ولقمان راشد
ومنها الغلو والشواهد على غلوه كثيرة:
لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
إلى آخر الآيات .

من هذه الأمثلة القليلة يبين لنا مقدار الإحصاء الذي انحصه أبو الطيب
في تقليده أبا تمام في النهج الجديد
والى جنب هذه المطاعن مطاعن كثيرة منه عليها الأئمة في القديم وفي
طلبهم الثعالي فلم يتركوا في هذا التنبه بحالا القتل ولو أعملوا الرويه في بعض
لغة المنى لتحقيق عند ان حملة مقامه اللعوبه ناشئة عن فساد ذوقه العائى سواء
أكات هذه المقامح في شاعة لا تبدأ آت .

أحاد أم سداس في آحاد ليننا المدونة بالتادي
} أم في تعقد اللفظ وسوء الترتيب :

وماؤ كما كالربع أشقاء طاسمه بان نسمدا والدمع أشقاء ساحه
أم في الذي ينشأ عن هذا التعقد من انعاب الفكر .

فتيت تستد مستدا في بها اسأدها في المهمه الانضاء

أم في استعمال العريب الوحشي من الالفاظ كالانتشاك والساحي والوطس

والعكهور .

أم في المعاصح نوافر الالفاظ وشواد الكلام كالحش والتوراب

أم في الاستكثار من قول : ذا في الشعر ، أم في تكرير اللفظ في البيت الواحد

من غير تحسين :

ولا الضعف حتى يقع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل أمثلة الف

أم في اللجوء الى المصطلحات الفلسفية المجردة من لصور كالجوهر والملكوت

واللاهوت وأشباه ذلك .

أظن ان هذه المقامح كلها أصلها فساد مسامع المتنبى فكان أبا الطيب لا ذوق

له في الموسيقى على انه يعلم ان الشعر قائم بالعاطفة الموسيقية فقد ذكر عنه ان
مشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي اولها .

جللا كما بي فليك التبريح

وينبغي فاذا توقف بعض التوقف رجع بالاشاد من اول القصيدة الى حيث
انتهى بها . وفي هذه الرواية دليل على تنوع في الشعر واكثر الذين يتعبون في
الشعر بمطعم نصيبهم من سلامة الذوق الموسيقي فعلم كان انما اصاب يلجأ الى ما
يؤيد فساد ذوقه في هذا الوجه .

شبهوا يا الطيب بالمدك الجبار باحد ما حوله ففرا وعدوه وشبهوه بالشجاع
الحري . بهجم على ما يريد لا يبالى ما بقي ولا حث وقع " " من كانت هذه
صماته فاحلق شعره ان يكون مطووعا بكثرة العاوت وقلة السبب وتنافر الاطراف
وتخالف الاليات . فالى جنب هذه المساوي اللطيفة التي اشترت اليها والتي لم اشتر
مدا كدب للغة والاعراب ووضع الكلام غير مواضعه وقطع الكلام قبل استيعابه
الى غير ذلك مما تعصب له فيه القاصي الجرجاني في وسطه واحتج بحجج تكاد
تكون قاطعة . الى جنب هذه المساوي كلها فلتاكد ومرتد رما من تقدمه واباس
مها من تآخر عنه فما اصح ما قاله الثعالبي في تفاوت شعره .

ب . يجمع بين البديع النادر والصعيف الساقط فبما يصوغ افصح حلي ويطم
أحسن عقد وينسج افسر وشي ويختال في حديقة ورد اذا به وقد رمى بالبيت
والبيتين في ابعاد الاستعارة او تعويض اللفظ او تعقيد المعنى الى المبالغة في التكلف
والزيادة في التعمق والخروج الى الاطراف والاحالة والسفسفة والركاكة والتبرد
والوحش استعمال الكلمات الشاذة فمجا تلك المحاسن وكدر صفاتها وأعقب
حلالاتها مرارة لامساع لها واستهدف لاسهام العائين وتحكم بالسبب الطاعنين
فمن تمثّل بقول الشاعر :

(١) العدة - الجزء الاول - الصفحة ١٤١

(٢) العدة - الجزء الاول - الصفحة ٨٧

است العروس لها حال رائق لكها في كل يوم تصرع
ومن مشه اياه من يفة مائدة شتمل على غرائب الماء كولات وبدائع
الطيبات ثم يتبعها طعام وشراب عكر فصار يشرب من شرب
هذا ما قاله الشعالي في المنسي ومقاله صحيح من كل وجهه والظاهر ان التفاوت
في الشعر صفة الكار الشعراء قليلا ما تناسب وعندهم وقليل ما تطرد حساسهم
وبينا الطيب يقول في بعض قصائده .

تمل الحصور الشم طول زالا فلقني البيا اهلها وتزول
اذ يقول

اغركم طول الحيوث وعرصها علي شروب للجيوث اقول
فلست ادري ما الفرق بين قوله : علي شروب . وبين قول العامة في
القوي الذي لا ياتي بالصعب باكله اكلا . فقد اثاروا نعام في المنسي تأثيرا
حمله فيه كثيرا من سيئاته فان هذه الكلمات : شروب ، اقول احدها المنسي عن ابي
نعام نفسه من قصيدة يطبع فيها الثغري :

في مكر المروع كت اكلا الدايا في طله وشربا
وبينا نجلده يقول

ابن فضلي اذا فعت من الدهر عبث معجل السكد
اذ يقول :

لامة فاضة اصابة دلاص احكت سبحا يدا داود
هذا دليل على حرصه على كلامه ومحاوطة عليه فهو لا يسمح بحذف شيء
من هذا الكلام .

ولكن فلان اني الطيب غطت عن هذه المعونات علم تذكر له سيئة الا ذكرت
له حسنات فلان قبح مطلع في قصائده فلقد حسنت مطالع :

أعلى الممالك ما بيني على الامل

ولئن عوص بعض شعره فقد سهل كثير من هذا الشعر :

ترفق ايها المولى عليهم فان الرقيق مالخاني عتاب

ولئن استعمل الوحشي من الالفاظ فقد استكثر من استعمال ما توسها :

واذا كانت الهوس كارة نعمت في مرادها الاحسام

ولو عرصا امثاله التي سارت وقوافيه التي شردت لوجدنا لفظه فيها وليد
الحصر ، عدي المدر مما يتش به الخاص والعام والكبير والصغير والعالم والجاهل
وهذه خصائص لغة الامثال والحكم

ولئن عمد في بعض شعره مصطلحات الفلسفة والمطلق التي لا تحلو من شيء
من الجماف فقد عمد لالفاظ كثيرة غالية من هذا الجفاف فيها نغمات موسيقية حلوة
على السمع اذكر منها قوله : مشى عليها الدهر - شية الزمان وهرمه - يمع طلاماً -
مكرمات مشيت على قدم الدر - دمع الحزن - دمع الدلال - دموع تذيب الحسن -
نبتوا تحت ربابه - مسح القمع عليها رافع - التمت دماء الروم طاعتها - الى غير
ذلك من آثار اللغة الشعرية

١- ولئن وفق ابو الطيب في بعض لفظه فقد وفق في بعض صماته فحذت
مطابقة للوصوفات كل المطابقة لانشبه الصفات العامة التي قد تطلق على كل
موصوف دون شيء من التمييز فمن هذه الصفات قوله : الحدث المراء - الحسب
الاجر - الرشاش الرديب - المروح الصبح - لجب الوفود - الارض الواجمة .

لكن هذه الالفاظ الموسيقية وهذه الصفات الخاصة قد لا تستقيم في شعره
ولا تشبه لغة المتنبي لغة الشعراء اصحاب الفن الذين ارادوا ان يشعروا
فعوا ، فلا يدخل ابو الطيب في جملة الشعراء الذين يحسون الالفاظ فاذا اردنا ان
نوازن بينه وبين البحري مثلاً من ناحية الالفاظ وجدنا بينهما فرقاً فالمتنبي لا
يسحرنا بالالفاظ ولا يفتننا بلغة الشعرية ، ومع هذا فالتنا لا نجح من سحره
وقنته فهو كالمالك الجار نهولاً جبرياًؤه فيلسافاً مشيتنا فدع لسطانه سواء
اعدل ام عسف أو كالصورة الحسة في حملتها القبيحة في بعض تعاريفها سطر الى
جملة ألوانها فتحس في نظرنا وتنازل في بعض تعاريفها فتعطي متاعاً لجملة على

شناعة التفريق فلا تنالي بالقبح اليسير الذي يصحبه حسن كثير لم
قد نستطيع ان نعييب له المتنبي بامور كثيرة فالامور التي ذكرتها في صدر
هذا الفصل او كالامور التي لم أشر اليها ومنها وحده الآثوب في بعض شعره
مثل قوله :

أمتعتر الليث الهرر بسوطه لمن ادحرت الصارم المصقولا
وقوله :

بن المعتر في محم فوارسها سبعة وله كوفات والحرم
ومن هذا النوع قوله :

فاندو كل شطة وحسان ود راما الاسراع والالجام
وقوله :

وخيل راما الركص في كل ليله اذا عرست فيها فليس نقل
ومن هذا الجنس قوله :

لا يخذلن ركابي نحره أحد ما دمت حيا وما قفيل كيراما
وقوله :

وما تقر سيف في ممالكها حتى تغفل دهرأ قبل في الملل
فالتعير واليري والقلعة ألقاط يكررها المتنبي في بعض قصائده وقد يكرر
غيرها من الألقاط وفي هذا التكرير ما فيه من وحدة الألقاط او وحدة الأسلوب
قد نستطيع ان نعييب ابا الطيب بمجموع هذه العيوب ولكنا لا نستطيع
ان نغفلت من تأثيره ، فقد قلت ان المتنبي انما هو شاعر الهجاء وشاعر الحكمة
والمثل واذا خلد فلما يحل من هاتين الناحيتين فالألقاط التي نحتاج اليها الحكمة
قد اهدى اليها ابو الطيب وهي ألقاط سهلة وأي كلام أسهل من هذا الكلام :
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقه بد
قلعة المثل والحكمة قليلا ما نحتاج الى شيء من التزييق وانما تزويقها
في حقيقة تعيرها وسهولته والألقاط التي تفتقر اليها الحروب قد ألقت الى المتنبي

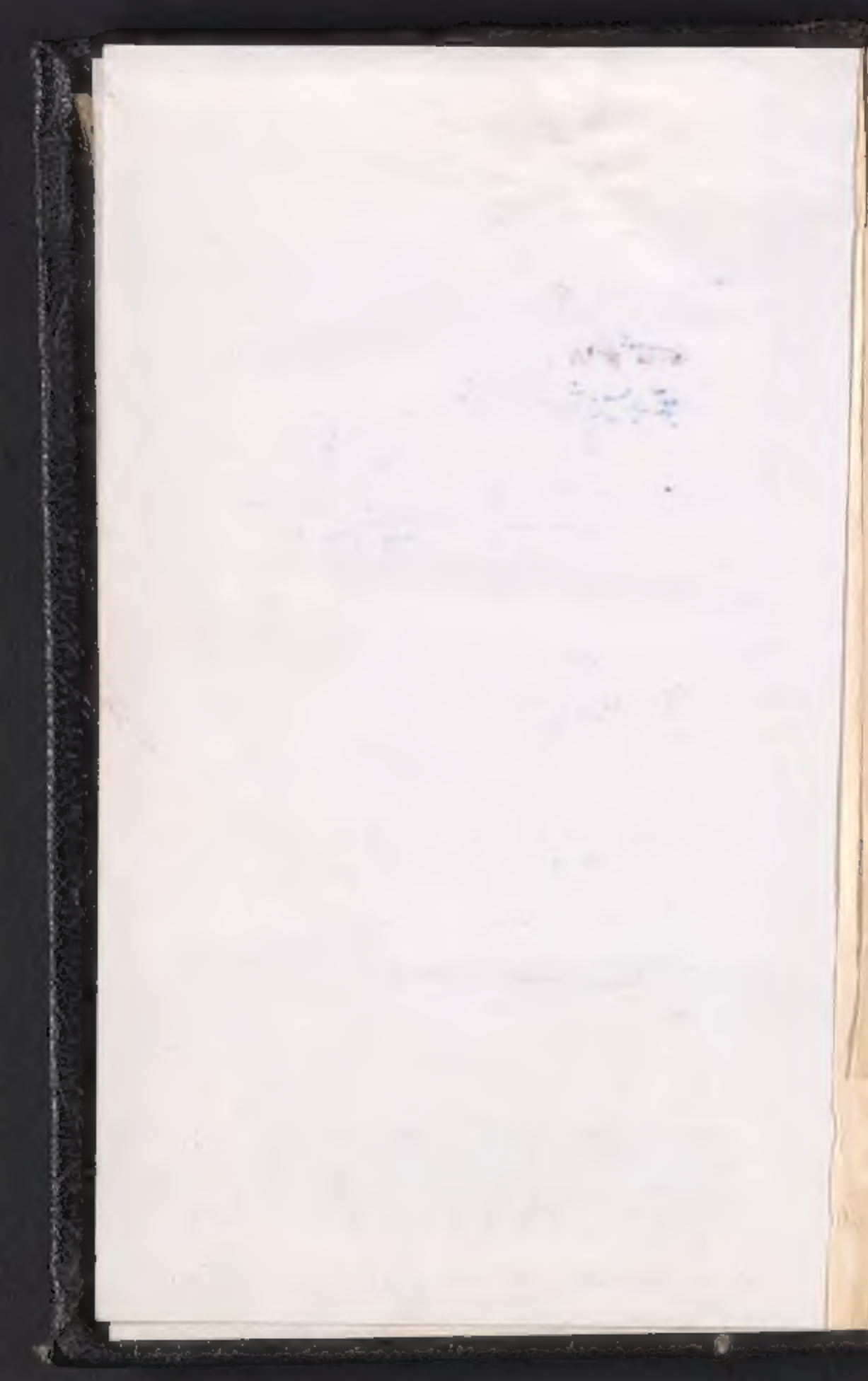
طاعتها وهي الفاظ شديدة واي لفظ اشد من هذا اللفظ :

وما تقر سيوف في ممالكها حتى تقلقل دهرأقبل في القفل

٤ فلغة الحرب تحتاج الى صور متقنة تمثل شيئاً من اتقاد الهيجاء والهيبة
فلوها والمنتبهي لم تخف عليه مذاهب هذه اللغة .

هذه خصائص لغة لونت بمختلف الألوان : مرة تسهل فتعجل معانيها الى
الذهن قبل الالفاظ ومرة تتوعر فلا يدركها الذهن الا بعد التعب والكد ،
وحيناً تسلي عليها الحضارة ما لوف الكلام ومعناه فيأس الطبع بهذا الكلام
الاسر كله وحيناً تلهيها الداوة من وحشي الالفاظ وشاذها العاطا تظن ان
صاحبها من أجف الاعراب طعماً ، هذه خصائص لغة نارة تبرز لنا مجردة من كل
صورة معرأة من كل نقش ونارة تختال في حلق سمعت صروب النقش والتلوين لكن
هذه الصور تؤذك رثائها في بعض الاحيان ويرضيك رونق جدتها في بعض
الافاق مرة يصورها صاحبها دون شيء من حشد الخاطر وتكلف الصناعة
بحسب خلوا الجوى من التعقب والتهيب ومرة لانظر هذه الصور الا بعد الحمل على
القريحة والافراط في التعسف ، هذه خصائص لغة اذا حلتقت في سماء فلا
تطاولها سماء ، لكنها اذا هبطت من عليائها هبطت الى الدرك الاسفل ، جمع
صاحبها محلف المحاسن والمساوي فكانت هذا الاختلاف عنوان عقريته
وعلامه خلوده .

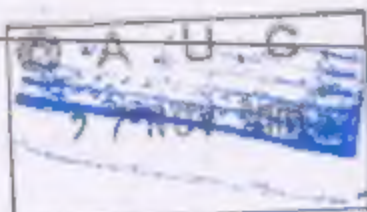
قد تهرنا في المتنبي محاسن شتى اذكر منها حسن المطالع وحسن الخروج
والانجاص وحسن التقسيم وسداقة الاعداء والابداع في التشبيهات والتشيلات
واهم خصائص ابداع المعاني وقد تؤذينا في هذا الشعر مقامح متابة اشترت الى ما
تيسر لي منها لكن هذه المقامح لا ته في على محاسنه ، وهذه المحاسن لا تؤلف جملة
عقريته فان في لغة المتنبي وفي شعره شيئاً لا ادري ما هو وامل هذا الشيء انما
هو صورة روحه فاذا كانت هذه الروح انما هي روح ملك جبار فالصورة التي
تستهوينا في شعر المتنبي وفي لغته انما هي صورة الشاعر الجبار .



AUC - LIBRARY



DATE DUE



RY

main
3

28 NOV 1992

main



00000025171

PJ 7750 MB 266 1930/c.1

1852
18